دراسات في رسائل النور

سعيد النورسي

في نظر مفكري العرب

ترجمة وإعداد

أورخان محمد علي

شركة سوزلر للنشر
SÖZLER PUBLICATIONS

سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب

ترجمة وإعداد

اورخان محمد علي

المقدمة

يعد بديع الزمان سعيد النورسي من أبرز المفكرين المسلمين ومن المجددين في القرن العشرين ولد وتوفي في تركيا (١٨٧٦-١٩٦٠م) وخلف وراءه رسائل النور التي تعد من كنوز الفكر الإسلامي، كما خلف حركة كبيرة ونشطة هي حركة (طلاب النور). وحتى سنوات قريبة لم يكن معروفا في العالم العربي، وكان من الممكن أن يظل مجهولا لنا لولا قيام الأستاذ إحسان قاسم بترجمة كليات رسائل النور إلى اللغة العربية فجزاه الله خير الجزاء . كما قمنا بكتابة سيرة حياته وفكره في كتابنا (سعيد النورسي : رجل القدر في حياة أمة) ومن قبله ألفنا بالاشتراك مع الأستاذ إحسان قاسم كتاب (سعيد النورسي: دعوته ...) حيث كان مكونا من فصلين الفصل الأول عن حياته وقمت بكتابته، والفصل الثاني عن رسائل النور وتعريف بها وشرح لخصائصها قام الأستاذ إحسان بكتابته.

أما تعريف بديع الزمان عالميا فقد تكفل به طلابه، حيث بدءوا بعقد الندوات العالمية لتعريف فكر أستاذهم ودعوا المفكرين من الغرب والشرق للاشتراك في هذه المؤتمرات التي عقدت في اسطنبول. وقد تيسر اشتراك المفكرين من العالم الغربي في هذه المؤتمرات بعد ترجمة معظم رسائل النور إلى اللغة الإنكليزية.

ألقيت في هذه المؤتمرات بحوث جيدة وعميقة حول أفكار الإمام سعيد النورسي وكنت أقوم في أكثر الأحيان بترجمة المحاضرات باللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية. وقد رأيت أن أجمع هذه المحاضرات في كتابين : الأول عن موقف المفكرين الغربيين من هذا المفكر العملاق، والثاني موقف المفكرين الشرقيين منه. وهذا الكتاب الموجود بين أيديكم هو الأول، وقد نصدر الجزء الثاني والثالث منه. كما سنقوم في القريب إن شاء الله تعالى بتقديم الكتاب الثاني أيضا إلى المطبعة.

وفي هذا الكتاب جمعت المحاضرات التي ألقيت في المؤتمرات من قبل المفكرين الغربيين الذين شاركوا فيها.

مؤتمر عام ١٩٩٢ وكان تحت شعار:(بديع الزمان سعيد النورسي وإعادة بناء العالم الإسلامي من جديد)

مؤتمر عام ١٩٩٥ وكان تحت شعار (تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي)

مؤتمر عام ١٩٩٨ وكان تحت شعار(نحو فهم عصري للقرآن: رسائل النور أنموذجا).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اورخان محمد علي

ثورة الايمان A revolution of belief

بقلم الدكتور " كولن تورنرDr. Colin TURNER

بتاريخ ١٦/ مارت / ١٩٩١ عقدت في قاعة فندق هيلتون في اسطنبول ندوة فكرية واسلامية. وقد اشترك في هذه الندوة العديد من المفكرين الاتراك والالمان والانجليز.
ونترجم للقراء الكرام البحث الذي قدمه في هذه الندوة الدكتور " كولن تورنر " الاستاذ في جامعة مانشستر في انكلترة.[1]

كثيرا ما أسأل _كشخص ولد وترعرع في بريطانيا- هذا السؤال :
-ماذا تستطيعون -كمسلمين -ان تقدموا للغرب؟
ولكن قبل الاجابة على هذا السؤال اود ان أسأل أنا سؤالا :
أنحن مسلمون لأننا نؤمن بالله تعالى؟
ام نحن نؤمن بالله تعالى لأننا مسلمون؟

لقد خطر ببالي هذا السؤال قبل أكثر من عشر سنوات خلال اشتراكي في مظاهرة طافت شوارع " لندن " للتنديد بالاحتلال الروسي لافغانستان...كنت قد اعتنقت الإسلام رسميا قبل هذا بسنوات عديدة، ولم تكن هذه هي المظاهرة الأولىالتي اشترك فيها.

كانت المظاهرة تحوي شعارات وإعلانات وهتافات أمثال:"اخرجي يا روسيا"..."الموت لبرجنيف "... " يحيا مسلمو افغانستان "، وكنا نهتف بهتافاتنا الإسلامية :" الله اكبر " ...." لا إله إلا الله "

وعندما اقتربت المظاهرة من نهايتها تقدم نحوي شاب قدم نفسه اليّ كشخص مهتم بالاسلام...قال لي :
-عفوا ... ولكن ما معنى " لا إله إلا الله ؟."
ودون أي تردد اجبته:
- معناه انه لا يوجد إله إلا الله.
قال لي :
-انا لا اسالك ان تترجم الجملة لي ... ولكني اود ان اسألك:ماذا تعني هذه الجملة حقا؟
وعندما تبين عجزي كان هناك صمت طويل ومحرج.

---

[1] * د. كولن تورنر، جامعة دورهام - انكلترة: ولد عام ١٩٥٥ في مدينة برمنغهام في انكلترة. تشرف بالانتساب إلى الإسلام عام ١٩٧٥. اكمل تعليمه العالي في جامعة دورهام واختص باللغة العربية واللغة الفارسية. قدم فيما بعد رسالة دكتوراه في موضوع "الحركات السياسية والدينية في العهد الصفوي في إيران. يدرس حالياً في جامعة "مانشستر" وعاكف على تأليف كتاب "الفلسفة الإسلامية في القرن السابع عشر".عكف على دراسة رسائل النور منذ عشر سنوات وهو متزوج وأب لثلاثة أطفال.

لاشك انكم ستقولون في انفسكم :
- ما هذا المسلم الذي لا يعرف معنى لا إله إلا الله ؟
واجيب على هذا :
-انه مسلم انموذجي A typical one
في تلك الليلة فكرت مليا حول جهلي... ولم يكن يعزيني ان الاغلبية تشاركني في مثل هذا الجهل، بل زاد ذلك من ضيقي.
اذن فكيف اصبحت مسلما؟
لاشك انكم سمعتم احدى نوادر " نصر الدين خوجا" وهي ان صديقا له مر عليه يوما فوجده جالسا وامامه سلة كبيرة مملوءة بالفلفل الاحمر وقد احمرت عيناه وانتفختا والدماء تسيل من فمه والدموع من عينيه... ولكنه وجده -على الرغم من هذا كله - مستمرا في تناول واكل الفلفل الاحمر، فقال له :
-لماذا تعذب نفسك هكذا يا صديقي ؟
اجابه " نصر الدين خوجا " وهو يأكل فلفلة اخرى:
-لانني آمل ان اعثر في السلة على فلفلة حلوة.
لقد كنت في الموقف نفسه... لم تكن هناك أي ايدولوجية، أو أي طراز من طرز المعيشة التي جربتها يمكن ان يكون مشبعا أو متجاوبا مع الحاجة الداخلية للإنسان... الحاجة والرغبة في العثور على شيء افضل ... على شيء يستحق ان نعيش من اجله ... ولكننا لم نستطع العثور على هذا الشيء ... هذا الشيء الذي يتملص من بين ايدينا ويحيرنا، والذي كنا نتوقع انه في متناول يدنا وقريب منا .
ولكي اتخلص من اوهام كل مظهر من مظاهر حياتي فقد تركت لندن وتوجهت إلى الشرق الاوسط... لم يكن هذا اختيارا شعوريا...ولكني استطعت هناك ان اعثر على الفلفل الاحمر الحلو.
رايت ان الإسلام يقدم معنى بشكل لا يشبهه أي شيء آخر،فهو يحتوي على قوانين لادارة الدولة، وله نظام اقتصادي، وقواعد تشمل كل منحى من مناحي الحياة اليومية، وهو يخاطب جميع العناصر والشعوب على قدم المساواة، وهو سهل الفهم وواضح ... وعلاوة على ذلك فله إله ... إله واحد لا شريك له...هذا الاله الذي كنت اومن به من قبل بشكل غامض ومبهم ... وهذا ما كنت اريده، لذا فقد قلت: " لا إله إلا الله " واصبحت عضوا في هذا المجتمع، ولاول مرة في حياتي ذقت طعم الانتماء.
وعادة ما يكون المهتدون متحمسين جدا لمعرفة كل ما يمكنهم معرفته حول دينهم الجديدوفي اقصر مدة ممكنة. لذا فبعد بضع سنوات من اهتدائي توسعت مكتبتي بسرعة، فقد كان هناك الكثير مما لا تعلمه، وكانت هناك كتب عديدة مستعدة لتعليمي...كتب حول التاريخ الاسلامي، وحول النظام الاقتصادي للاسلام، وحول مفهوم الدولة في الاسلام، وكتب وكراسات عديدة حول القوانين الإسلامية (النظام الحقوقي في الإسلام)، والاهم من هذه كله كانت هناك الكتب التي تبحث حول الإسلام والثورة...أي كيف يهب المسلمون ويشكلون الحكومات والجمهوريات الاسلامية. وعندما رجعت إلى بريطانيا في اوائل عام ١٩٧٩ لمتابعة دروسي في الجامعة كنت متهيئا لتقديم الإسلام إلى الغرب والتبشير به.
رجعت إلى هذه الكتب للعثور على جواب حول السؤال : ما معنى لا إله إلا الله؟ ولكني اصبت بخيبة امل ... كانت هذه الكتب حول " الإسلام " وليس حول " الله "... كان في هذه الكتب كل ما يخطر على بال الإنسان من مواضيع ... ولكن الموضوع الاهم لم يكن موجودا ... تقدمت بالسؤال إلى أمام مسجد الجامعة، ولكنه قدم لي عذرا وتركني ومضى، ولكن اخا سمع حديثي مع الامام تقدم مني وقال :

-عندي تفسير ل " لا إله إلا الله "، ونستطيع - ان أحببت -ان نقرأه معا .وقد تصورت ان هذا التفسير سيكون حوالي عشرة أو عشرين صفحةفي الاكثر، فاذا به يجاوز خمسة آلاف صفحة !! ...وكما تتوقعون فقد كان مجموعة " رسائل النور " للاستاذ سعيد النورسي.

كنت اتصور ان رسائل النور ليست إلا رسائل في التصوف،لذا فقد اهملتها، ولكن صديقي هذا قال لي :

-ان رد فعلك هذا نحو رسائل النور ليس إلا نتيجة نظرة ضيقة.

ومن دون العكازات الفكرية التي كانت كتبي القديمة تقدمها لي، كنت احس بالضياع وبالجهل . ولكني وجدت في رسائل النور لغة جديدة تماما، ونظرة جديدة.

وعندما لاحظ صديقي اضطرابي وقلقي قال لي :

-لا تقلق ...! ان الكتب التي قراتها سابقا كل لها مكانتها وفائدتها...انها مثل الجلد أو القشرة، ولكن هذا -وأشار إلى رسالة " الآية الكبرى"- يعد بمثابة الثمرة.

وبدانا معا بقراءتها .

في هذه المرة بدأ كل شيء _ بفضل من الله - يأخذ مكانه الصحيح.

كل منا يولد جاهلا تمام الجهل، ولكن الرغبة في معرفة انفسنا ومعرفة العالم المحيط بنا رغبة فطرية، لذا فكل منا يجيب بطريقته الخاصة على اسئلة عديدة امثال: من أنا ؟...ما المكان الذي وجدت نفسي فيه؟ ... ما وظيفتي هنا ؟ ... من المسؤول عن ايجادي أو خلقي؟ ...يجيب على هذه الاسئلة إما من خلال ملاحظاته ومشاهداته، أو من خلال التقبل الاعمى للاجوبة المقدمة إليه من قبل غيره.وعلى ضوء هذه الاجوبة يعين الإنسان طراز عيشه تماما في هذه الدنيا، وتتحدد لديه المعايير التي يلتزم بها ويتحرك ضمنها، وما رسالة " الآية الكبرى " إلا سياحة في هذا الكون برفقة مرشد، وهذا السائح يفتش عن اجوبة لهذه الاسئلة.

ولا تقدم " الآية الكبرى " الإيمان بالله كبديهية منذ البداية،بل تسير من "المخلوق" إلى "الخالق"، وهي تقرر وتبرهن على ان أي شخص يبحث باخلاص عن جواب لهذه الاسئلة، وينظر إلى الكون المخلوق كما هو وليس كما يرغب فيه أو يتخيله...مثل هذا الشخص سيصل حتما إلى نتيجة :" لا إله إلا الله ". ذلك لأنه سيرى نظاما وتناغما ... جمالا وتوازنا ... عدالة ورحمة ... ربوبية ورحمة ...وسيدرك ان هذه الصفات لا يمكن ان تعزى إلى المخلوقات نفسها، بل إلى " الحق " الذي هو مصدر هذا الوجود والكمال والمطلق. وسيرى ان هذا العالم المخلوق ليس إلا كتابا لاسمائه الحسنى، وفهرسا يخبر ويشير إلى خالقه وإلى صاحبه.

وفي رسالة "الطبيعة " يتوسع بديع الزمان في تفسير " لا إله إلا الله " اذ يتناول موضوع " السببية Causality "التي هي حجر الأساس للمادية، والعمود الذي شيدت عليه العلوم الحديثة. ان الإيمان بالأسباب أو بالسببية يؤدي إلى تصريحات أو اقوال عديدة مثل:(اقتضته الطبيعة) أو (الطبيعة خلقته) أو (حدثت مصادفة) أو (أوجدته الأسباب)...الخ. وضمن حوار ومناقشة منطقية يفجر سعيد النورسي ويهدم اسطورة السببية، ويكشف بكل وضوح ان المتمسكين بهذه العقيدة ينظرون إلى الكون لا كما يبدو في الحقيقة وفي الواقع، بل كما يحبون هم ان يظهر وان يبدو حسب تفكيرهم ومزاجهم .

ويبيّن بديع الزمان في رسالة (الطبيعة) بكل وضوح ان جميع المخلوقات في مختلف مستوياتها مرتبطة بعضها مع البعض الآخر بعلاقات متداخلة ومتشابكة كالدوائر المتحدة في المركز، أو كالدوائر المتقاطعة، وهو يشير إلى ان المخلوقات تبدو وكأنها جاءت إلى الوجود من العدم، وفي اثناء حياته القصيرة يقوم كل مخلوق...حسب ما كلف به من وظائف وغايات وأهداف خاصة به ... بوظيفة المرآة التي تنعكس عليها مختلف الصفات الآلهية ومختلف الأسماء الحسنى، وان ما يظهره كل مخلوق من العجز، وسرعة الزوال والوجود الطارىء، واعتماده الكلي على

عوامل موجودة خارج كيانه ليدل دلالة واضحة لا تقبل الشك أو الجدل بأنه من المستحيل ان يكون هذا المخلوق هو صاحب ومالك هذه الصفات الظاهرة فيه...فاذا كان الأمر هكذا فهو أعجز من ان يهب الصفات الكاملة والزينة والجمال لمخلوقات مثله أو لمخلوقات أكبر منه .

ولكن الماديين ينظرون إلى نفس هذه الأمور نظرة مختلفة ومن زاوية مختلفة، ومع انهم لا ينكرون النظام والدقة والتناغم في هذه الكون، إلا انهم يريدون منا ان نؤمن انه نشأ من حالة فوضى وتشوش نتيجة مصادفة عشوائية، وهم يطلبون منا ايضا ان نؤمن ان الكون قائم على التفاعلات الميكانيكية للأسباب . ولكن هذه الأسباب .. التي لا يعرف الماديون ماهيتها بشكل قاطع ... هي نفسها مخلوقة وعاجزة وجاهلة وزائلة ودون هدف ...

والماديون يرون ان هذه الأسباب هي التي انتجت _ وذلك من خلال القوانين التي ظهرت من العدم !!_ كل مظاهر الدقة والتناغم والتوازن والنظام والجمال التي نراها من حوالينا .

وكما قام ابراهيم عليه السلام بتحطيم الأوثان والأصنام في المعبد، قام بديع الزمان بتحطيم هذه الأساطير والخرافات، فهو لا يدأب يذكر انه ما دامت جميع الأشياء مرتبط بعضها مع البعض الآخر فإن هذا يعني ان من أوجد البذرة هو الذي اوجد الزهرة وأنشأها، وبما ان احدهما مرتبط بلآخر بعلاقات متداخلة فإن من أوجد الزهرة لا بد انه هو الذي أوجد الشجرة وانشأها، ونظرا لوجود علاقات متداخلة فإن من اوجد الشجرة لا بد انه هو الذي أوجد الغابة وانشأها ... وهكذا . اذن فإن القادر على خلق ذرة واحدة يجب ان يكون قادرا على خلق الكون بأجمعه، وهذا ما تعجز الأسباب عن القيام به ولا تطاله أبدا، ذلك لأن الأسباب عمياء وعاجزة وزائلة ومحتاجة وليس لها أي علم بحاجاتنا .

ويوما بعد يوم بدأ العديد من العلماء يدركون ان مساندة النظريات الميكانيكية القديمة لم يعد ممكنا، ذلك لأنه أمام هذا الجمال والروعة وهذا النظام والتناغم والاتساق، وامام هذا التناظر ووجود الغاية والهدف فإن محاولة تفسير الخلق استنادا إلى فكرة المصادفة والسببية اصبحت - وبتسارع كبير- شيئا لا يمكن الدفاع عنه إلى درجة ان نوبات الهيستريا بدأت تنتاب بعض العلماء الذين بلغ بهم الحنق درجة كبيرة وهم يشاهدون تهاوي آلهتهم القديمة وتحطمها جذاذا.

يقول احد علماء علم الحياة (البيولوجيا)-والبيولوجيا لا يزال من أكثر فروع العلم ميكانيكية - المشهورين :

-اليس من الغريب إنني كلما اكتشفت جمالا اكثر، وتناسقا افضل في الكون ازددت قناعة بعبثيته ؟.!

لا يدرك هذا الرجل المسكين انه ان كان كل شيء عبثا ودون معنى فانه وحياته ايضا دون أي معنى .

ويؤكد ايضا عالم آخر مشهور- هل لي ان اقول عنه انه سيء السمعة -وهوبيولوجي ايضا بان وجود الكائنات ولا سيما ظاهرة الشكل of form phenomenon لا يمكن عزوها أو ارجاعها إلى الحركة العشوائية للاسباب العاجزة والعمياء والتي لا تملك شيئا من العلم ومن المعرفة. وهو ليس العالم الوحيد الذي يفكر على هذا النحو، ولكنه أول عالم مشهور في العالم الغربي يصرح عن رأيه هذا بكل صراحة. والذي يلفت النظر أكثر من تصريحه هذا هو قوله ان الجو العلمي في العالم الغربي يشبه نمط ادارة الحكم في عهد بريجينيف.

ان النظرية الميكانيكية اليوم قوية ومسيطرة ومتنفذة في التفكير الغربي – ولاسيما في العلوم البيولوجية - إلى درجة ان جميع العلماء يجب ان ينحنوا امامها ويستسلموا لها ان كانوا راغبين في الاحتفاظ بوظائفهم. وهم مضطرون إلى اعلان ولائهم واخلاصهم لهذه النظرية أمام الملأ، بينما يهمسون بارائهم الحقيقية في مجالسهم الخاصة، أي يضطرون إلى ادامة هذه التمثيلية وهذه اللعبة. وعندما طبع كتابه الذي هاجم فيه " السببية " وصفت مجلة "نيوساينتستThe New Scientist

"هذا الكتاب بانه " **كتاب يستحق الحرق** "، ومنذ ذلك الحين عُدّ هذا الكاتب مؤلفا منبوذا، أي عد " سليمان رشدي " آخر، ولكن في عالم العلم في الغرب.

ان وجود مثل هذه الاراء المختلفة حول سريان أو عدم سريان نظرية الأسباب وحول صحة هذه النظرية يشير بوضوح إلى ان عزو قوة الخلق إلى الطبيعة، أو إلى القوانين الطبيعية ليس نتيجة حتمية وضرورية للبحث العلمي الموضوعي، بل هو نظرة شخصية لا أكثر ولا اقل.

ونظير هذا، فإن انكار خالق الكون _الذي وضع الأسباب الظاهرة، وجعلها ستارا ليد قدرته _ ليس نتيجة منطقية وعقلية، بل هو ميل ورغبة نفسية. والخلاصة ان اسناد الخلق للاسباب_ أي النظرية السببية _ليس إلا لعبة وحيلة ماكرة وفجة اراد بها الإنسان ان يوزع ملك الخالق بين المخلوقين لعله يبقى المالك المطلق والحاكم لكل ما يملكه، والمالك المطلق لذاته.

ليس في نيتي القيام بتلخيص " رسائل النور " ولكني اريد ان اوضح ان هناك مسافة كبيرة بين مفهومي عن الله قبل قراءة رسائل النور وبين مفهومي الحالي عنه_ سبحانه _ بعد القراءة، فقد اصبحت مقتنعا بانني عندما اقول : " لا إله إلا الله " فاني اكون قد قلت كل ما يجب قوله عن الله تعالى، لذا فاني مدين بالشيء الكثير لرسائل النور، لقد اصبحت الان قادرا على فهم ان الله تعالى كان بالنسبة اليّ في السابق شيئا ضروريا لتكملة الصورة، أو كان هو العامل والسبب غير المعروف الذي يجب وضعه في بداية الخلق لتجنب مشكلة التسلسل اللانهائي. كان بالنسبة لي سابقا "السبب الأول" أو "المحرك الأول"، أي إلها لملء الثغرات،أي شبيها بوضع " الملك الدستوري " لدى الانكليز، يقدم له اعظم انواع التوقير والاحترام، ولكن لا يسمح له بالتدخل في شؤون الحياة اليومية.

بينما تشير رسائل النور _ التي أخذت الهامها من الايات الكريمة_ ان الكائنات (التي هي مرايا لأسماء ولصفات الله تعالى) ترينا على الدوام وباشكال وصور وهيئات مختلفة ومتغيرة أدلة تقودنا إلى المعرفة وإلى التصديق وإلى التسليم، ثم إلى المحبة وإلى العبودية.وهكذا ترينا رسائل النور ان هناك خطوات وعمليات محددة يجب انجازها لكي يكون الإنسان مسلما بكل ما في هذه الكلمة من معنى... فمن التأمل إلى المعرفة، ومن المعرفة إلى التصديق،ومن التصديق إلى الإيمان أو إلى الاعتقاد، ومن الاعتقاد إلى التسليم. وما دامت كل دقيقة جديدة، وكل يوم جديد يرينا جوانب جديدة وملامح جديدة من الحقيقة الالهية فإن هذه العمليات تكون عمليات مستمرة ومتجددة، أي نستطيع القول بان المظاهر الإسلامية الخارجية (اي اشكال العبادات) ثابتة بينما الإيمان في حركة ... أي يزداد أو ينقص، وذلك حسب العمليات التي سبق وان ذكرتها، لذا فإن علينا ان نركز اهتمامنا على حقيقة الإيمان ... هذه الحقيقة التي ستتبعها حقيقة الاسلام.

لذا فانني استطيع ان اقول بانني كنت مسلما ولكني لم اكن مؤمنا، وان ما كنت احسبه ايمانا لم يكن في الحقيقة إلا عدم القابلية على الانكار، أي استحالة الانكار عندي. ومع ان بديع الزمان لم يقدم لي الإسلام _ وهذا عمل يستطيع أي شخص القيام به _ إلا انه قدم لي الإيمان ... ايمان من خلال البحث والتمحيص وليس من خلال التقليد.

والان دعونا نرجع إلى السؤال : ماذا نستطيع نحن المسلمين ان نقدم للغرب ؟.

والجواب : كل شيء ... أو لا شيء .

فنحن نملك الإيمان والإسلام وهما كل شيء، ونحن نملك فهما وتفسيرا معينا للإسلام الذي هو في كثير من الأحيان لا يسمن ولا يغني من جوع .

اما بالنسبة للكتب التي عرفتني بالاسلام، ولا سيما الكتب التي كتبت مع اخذ الغرب بنظر الاعتبار فهي ليست إلا نوعا من التبادل الثقافي البرىء...ولكن القضية المركزية الثابتة للايمان اما اهملت تماما أو ذكرت هامشيا.

تكررت كلمة " الله " تعالى في القرآن الكريم (٢٥٠٠) مرة، بينما تكررت فيه كلمة "الاسلام

" أقل من عشر مرات، غير اننا نرى ان هذه النسبة عكست في الكتب الإسلامية المعاصرة، ففي القرآن نرى ان النسبة بين الإيمان والإسلام هي (٥ : ١) (خمسة إلى واحد) وذلك لصالح الايمان، بينما نرى ان النسبة بين الإيمان وبين الإسلام في عناوين الكتب الإسلامية المكتوبة باللغة العربية حتى اواخر القرن التاسع عشر هي (٣ : ٢) لصالح الاسلام.ونرى ان هذه النسبة اصبحت في ستينيات هذا القرن (١٣ : ١) (أي ١٣ كتابا يبحث عن الإسلام مقابل كتاب واحد يبحث عن الإيمان). ولا شك ان هذه النسبة زادت في هذه الايام. والنتيجة الحتمية لهذا هي ان التوجه نحو الغرب تركز في تقديم الإسلام له كنظام وكبديل ايدولوجي، وتم هذا التقديم في الغالب دون الاشارة إلى حقائق الايمان.

والسبب الآخر في عدم نجاحنا من الاقتراب نحو الغرب هو اننا أسأنا فهم الغرب،فالغرب ليس مجرد وجود سياسي وجغرافي Geopolitical entity بل هو ايضا معنى ومجاز Metaphor لأن الغرب كان من الناحية الجغرافية أول بلد شهد عصيانا وتمردا ضد الالوهية، وحسب علمنا فالمدنية الغربية المعاصرة هي المدنية الوحيدة التي لا تملك أي عقيدة دينية ظاهرية في قلبها، وهكذا فالغرب معنى ومجاز أو رمز لكسوف شمس العقيدة وخسوف الإيمان ... رمز لاقصاء الاله. وبما ان هذا الاقصاء والكسوف لم يعد منحصرا على الغرب كموقع جغرافي، فان الإنسان يستطيع ان يقول انه اينما اقصيت حقائق الإيمان فالغرب موجود هناك. لذا يجب النظر إلى الغرب كحالة ذهنية خاصة وكمرض وكانحراف. ويشير بديع الزمان إلى ان السبب الاصلي والجذري لهذا هو " الانانية " وعبادة النفس.

فمنذ عصر النهضة الاوروبية جعل انسان الغرب نفسه المرجع والمصدر الوحيد له، والمركز الوحيد للكون حواليه، أي جعل نفسه القسطاس والميزان الوحيد لحياته البائسة، لقد حاول سرقة أردية الأسماء الحسنى لله تعالى، وحاول لبسها وتقديم نفسه كاله. ولكن هذه الاردية لم تناسبه، ولا يمكن ان تناسبه أبدا.

ان الإنسان الغربي الذي لا يتقبل فكرة ان وظيفته تنحصر في اظهار وعكس الصفات الالهية باسم الخالق وحسب ارادته ورضاه سبحانه وتعالى ... بدلا من هذا نراه يرغب في اعلان هذه الصفات وكأنها ملك له، ويصرف حياته كلها في محاولة ادخالها ضمن ملكيته المتخيلة المزعومة. وفي أثناء حياته يجره بحثه عن اللانهائي إلى منافسة حادة (بل مميتة في احيان كثيرة) مع أبناء جنسه.

ومما يزيد من ضرام الرغبات اللانهائية للإنسانمعرفته بانه محدود وعاجز ومرتبط(اي غير مستقل)، وانه سيضطر في يوم من الأياماإلى تسليم كل شيء حسبه وتخيله ملكا له، وانه سيواجه الفناء والزوال. وبدلا ان تقوده محدوديته ونقصه إلى تذكيره بعجزه وبفقره المطلق، فانه يحاول التهرب والاختباء من هذه الحقيقة، وذلك بتنويم نفسه تنويما مغناطيسيا.

والانسان الغربي الذي يحاول الهرب من الافكار الحزينة حول مصيره النهائي نراه يروم خنق واخماد ما وهب له وما ركز في فطرته من قابلية على معرفة وحب خالقه وعلى الوصول إلى انه بحد ذاته ليس بذات شيء، وانه لا يملك شيئا.

ان المجتمع الغربي الدنيوي المنهمك في شؤونه الذاتية فقط مُصمّم ومُنظّم (في جميع مستوياته) لكي يُعمي الإنسان ويستغفله، ولكي يخفي حقيقة واضحة وهي ان عقيدة الانانية فشلت في تحقيق وعودها، وان عقيدة التثليث الدنيوية وهي (التقدم بلا حدود ...الحرية دون حدود ... البهجة دون قيود)أصبحت دون معنى، مثلها في ذلك مثل عقيدة التثليث المسيحية التي نبذت قبل قرون، وكذلك ليخفي حقيقة ان مبدأ " الانسانية الدنيوية humanism secular (٣) (الذي يشكل التقدم الاقتصادي والعلمي قاعدته وروحه) قد حول الغرب إلى ارض قاحلة من ناحية الروح، واتلف أجيالا بعد اجيال، وخربها وافسدها.

ومع ذلك فإن هناك من بدأ يستيقظ ويدرك انه كان يعيش في عالم من الوهم والخداع. اذن فمن الضروري ان يُحذر هؤلاء من مرض " انا ". ان من العبث ان نقول لمن ابتلي بهذا المرض ان النظام الاقتصادي الاسلامي هو افضل نظام، أو ان نقول له ان النظام الحقوقي والقانوني للإسلام هو اعدل نظام، لانك لا تستطيع ان تشفي شخصا مصابا بمرض السرطان بان تعطيه سترة جديدة، ولكنه يحتاج إلى تشخيص صائب وإلى عملية جراحية جذرية واساسية، تعقبها معالجة ومداواة مستمرة، ورسائل النور تقوم بكل هذه الامور.

تتذكرون اني كنت قد صرفت النظر عن رسائل النور في السابق على أساس أنها كتب تصوف، وسمعت آخرين يصفونها هكذا أيضا، ولكن الحقيقة كانت شيئا آخر، ذلك لأنه ما من ابهام أو غموض في الاختيار البراق والواضح تماما الذي يضعه سعيد النورسي أمامنا :

إما ايمان أو انكار
إما سعادة أبدية أو شقاء أبدي
إما خلاص أو هلاك
جنة أو نار
وذلك في هذه الدنيا وفي الآخرة.

كما سمعت من وصف " رسائل النور " بالثورية، وأنا مع هذا الوصف ولكن ليس بالمفهوم السياسي للكلمة، فهذا غير موجود في رسائل النور، مع إنني متأكد تماما انه لو قام بديع الزمان بالدعوة إلى استعمال العنف لاسقاط الحكومات العلمانية لاصبحت رسائل النور مطلوبة للقراءة في جميع الجامعات الغربية، ولاصبح اسم بديع الزمان اسما مألوفا في كل بيت في العالم الغربي. ذلك لأن الغرب يحمل ضعفا خاصا أمام مظاهر التشدد، ولا سيما عندما يتلون هذا التشدد بعقيدة دينية، وهل هناك أحسن أو أجمل أو أشهى في عيون الوسط الغربي من منظر ينقل اليهم من بلد بعيد منظر آلاف المسلمين الغاضبين الذين يصرخون : " الموت لامريكا "، ويطالبون بالثورة وبالعودة إلى الشريعة؟ ... فالغرب لم يعد بحاجة لازعاج نفسه حول كيفية تشويه صورة الاسلام، لأننا _ نحن المسلمين _نفعل ذلك لهم، ولا يبقى لهم إلا مهمة القيام بتسجيل ذلك على الفلم بكل بساطة ثم عرضه .

وأنا أتذكر مظاهرة مماثلة شهدتها قبل أكثر من عشر سنوات في بلد يعرف فيه أمريكا بانه " الشيطان الاكبر "، ولكن الذي أذهلني آنذاك أن أرى أن ٠/٧٠ تقريبا من ذلك الزحام كانوا يلبسون الملابس من ماركة " لويز Levis "، كما ان اعقاب السجاير التي بقيت بعد انفضاض المظاهرة كانت اما من سجائر " مالبرو" أو " ونستون "، فكأن هناك يد تقطع (أو تتظاهر بالقطع)الاربطة التي تقيدنا مع الغرب، ويدا أخرى تشد هذه الاربطة وتقويها أكثر فأكثر.

ومع هذا فنحن لا نزال نقول :

_لقد تكلمنا بما فيه الكفاية، وقد حان وقت العمل.

حتى إنني سمعت القول نفسه بخصوص رسائل النور، فقد قال أحدهم عنها :

_انها عبارة عن مجرد اقوال، اذ لا تجد فيها حركة.

ولكننا في الحقيقة لم نتكلم حتى الان، كل ما عملناه هو اننا عولنا وندبنا وبكينا، ولاننا لم نتكلم، ولم يحدث أحدنا الآخر حديث أخ لأخيه، ومؤمن لمؤمن، ومسلم لمسلم، باسم الله وبلغة القرآن، وبلغة كتاب الخلق، فاننا عندما بدأنا بالعمل أخطأنا الطريق، وعملنا دون نظام ودون صلاحية ودون مقياس صحيح، أو مرجع صالح يتخذ كاطار عمل. وهذا هو السبب في اننا في النهاية لم ننجح في الوصول إلى أي نتائج باقية ودائمة، والغرب يعلم هذا تمام العلم.

كلا ... ان الثورية التي دافع عنها بديع الزمان ليست من نمط تلك الثوريات الصاخبة التي كانت تجوب شوارع طهران والقاهرة والجزائر. ان الثورية التي تصورتها رسائل النور هي ثورة

في العقل وفي القلب وفي الروح، انها ليست ثورة اسلامية، ولكنها ثورة ايمانية، وتعمل هذه الثورة في مستووين :

فهي مصممة اولا لكي تقود المسلمين من ايمان تقليدي إلى ايمان تأملي (اي قائم على التفكير والتأمل)، ثم لكي تغير المؤمنين وتحولهم من عبادة أنفسهم إلى عبادة الله، وهذا هو السبب في ان الذين يهيمنون على الغرب ويقودونه يخشون رسائل النور خشية كبيرة.

وختاما أود أن أقول ما يأتي:

بعد سنوات عديدة من البحث والمقارنة أستطيع ان أقول ان رسائل النور هي المؤلّف الاسلامي الوحيد الشامل والمتكفي بنفسه، والذي يرى الكون كما هو في الواقع، ويقدم حقائق الإيمان كما هي، ويفسر القرآن كما أراده نبينا، ويشخص الامراض الحقيقية الماحقة التي أبتلي بها الانسان، ويقدم له الدواء الناجع والشفاء.

ان مؤلّفا مثل رسائل النورالذي يعكس نور القرآن، ويضيء الكون...مثل هذا المؤلّف لا يمكن تجاهله ابدا، ذلك لأن الإسلام هو وحده الحائل والحاجز بين الإنسان وبين الكارثة، وانا اعتقد ان مستقبل الإسلام يعتمد على رسائل النور وعلى الذين يتبعونها ويستلهمون من تعليماتها ومن دروسه.

مؤتمر عام ١٩٩٢

شعار المؤتمر:

بديع الزمان سعيد النورسي وإعادة بناء العالم الإسلامي من جديد

الخط الممتد من مولانا جلال الدين الرومي إلى بديع الزمان

اوردناريوس بروفسور الدكتورة أنا ماسالا
Ord. prof. Dr. ANNE MASALA
جامعة روما - إيطاليا*

بينما كان جلال الدين الرومي يقول: "تعال!..تعال أيضاً!..تعال كما أنت" يقول بديع الزمان: "إن كنت مؤمناً فأنت - انطلاقاً من هذا الإيمان - أخ لنا مهما كنت".

اسمحوا لي أن أحييكم بأجمل أنواع التحايا: السلام عليكم!

في الحقيقة إن كل نوع من أنواع التحايا جميل: "صباح الخير"أو "مرحباً" أو "أنعمت صباحاً" فمن الجميل أن تحيي الناس.

إننا ونحن نقترب من نهاية القرن العشرين نرى في هذه الأيام بكل أسف أنه بينما تكون الأخوة والحوار بين الأديان والسلام بين الأمم مطلوباً، نرى من الجانب الآخر الأديان وهي تتصادم من جديد، ونسمع دوي الأسلحة وصرخات الجياع وأصوات الحروب السياسية والنفسية وهي تنطلق من جميع أرجاء العالم. كلنا في حاجة إلى السلام وإلىالحب، لذا فإنني أقول لكم "السلام عليكم". فهذا تحية من جهة، ودعاء من جهة اخرى.

لا أحب اليوم أن اتطرق إلى الأديان الموحدِة (١). ولا إلى علم الأديان. كما أنني لست حاضرة هنا بينكم بصفة أستاذة "بروفسورة"، بل كأمة لله سبحانه وتعالى تشعر بالحاجة للاخوة وللسلام.

كما تعلمون فإنني ولدت في بلد مسيحي، بل في بلد يعد مركزاً للمسيحية وهي روما. ولكني كمستشرقة وكعالمة للشرقيات استطعت التعرف على الأديانالأخرى في العالم.

ولا أزال أتذكر جيداً سنواتي الجامعية وكيف كنت اقرأ باهتمام بالغ الكتب المتعلقة بالاديان الكلاسيكية وأنا اتهيأ لدخول امتحان الفلسفة الهندية. وحتى في ذلك الحين - وانسجاماً مع الخط الثقافي الذي وجهني اليه اساتذتي الفضلاء - كنت أبحث عن رابطة وعن جسور معنوية بين الاديان، وكنت اتمنى ان اجد اثراً لفكرة الوحدانية حتى في الأديان الوثنية. ذلك لأنه لا شك في هذا الموضوع ايها الاشقاء الاعزاء. فباي لغة دعوت وإلى أي قبلة توجهت فإن على الإنسان أن يعرف شيئاً واحداً... أن يعرف مدى ضعفه كانسان أمامعظمة الله الواحد الاحد. وهذا معناه ترجمة كلمة التوحيد الإسلامية المباركة إلى جميع لغات الارض.

إن حظي الاكبر يرجع إلى أنني صادفت في طريق حياتي وعلى نحو غير متوقع أمة مثل الأمة التركية.

أشقائي الأعزاء! إنني أجد السلوان في كل يوم.. في كل حين.. في الأيام الحلوة وفي الأيام المرة.. في الحزن وفي الفرح، ولاسيما في هذه الأيام التي يقاسي فيها بعض الناس الآلام.. انني اجد السلوان في هذا الكنز، واجد فيه دروساً ابدية لاتقدر قيمتها بثمن، واحصل منه على تجربة حياتية.

لقد أحببت دائماً كل جانب من جوانب الثقافة التركية بدءً من تاريخهم القديم في أواسط آسيا إلى

تاريخ قبولهم الاسلام، إلى تأسيس الحضارة التركية في الاناضول. لقد أحببت أدبهم الشعبي، وادب الديوان.. لقد أحببت تاريخ الدول التركية الست عشرة.. أحببت فن الخط عندهم وأحببت فنونهم الجميلة.. أحببت الروح العميقة للتصوف.. أحببت الموسيقى التركية الكلاسيكية.. أحببت يحيى كمال (١)، واحببت الادب التركي المعاصر وكما أحببت السلطان محمد الفاتح، فإنني أحب ومن كل قلبي الجمهورية التركية العزيزة السائرة في طريق التقدم والتطور.

إنني أبصر بعين روحي في المرآة وجوهكم المشرقة كالماس، انني أرىمولانا جلال الدين الرومي(٢) ويونس أمره(٣). وبديع الزمان سعيد النورسي.. أرىمحطات توليد الكهرباء.. أرىالبسفور، وارى جبال الاناضول المغلفة بالضباب.. أرى القباب والمآذن والمدن والقرى. إن ما أريده من حب وأخوة وسلام ليس شيئاً خيالياً، بل تحقق ذلك بما علمني أساتذتي الكبار، وبما أظهرتموه أنتم منذ سنوات عديدة من حب.

النضال ضد أعداء ثلاثة

كما ذكرت سابقاً فإن الحديث يجري في السنوات الأخيرة عن حوار بين الأديان في العالم.

أرجو عفوكم فإنني أؤمن كثيراً بكلمة "الحوار"، للأنني أرى بانه عندما يكون هناك خلاف ما يأتي الحوار في إثره إلى قائمة البحث، وعندما تهب رياح الحرب يتم ذكر السلام.

إنني كعاملة في حقل العلم أعلم بان الأديان التي توحد الاله كاليهودية والمسيحية والإسلام رغم حدوث التبادل الثقافي بينها عبر قرون عديدة، هذا التبادل الثقافي الذي أثر على تقدم الحضارة الانسانية...رغم هذا فانها تعيش في قلاع مغلقة.

لقد فصلت المصالح السياسية والتجارية في بعض الأحيان- تحت أردية دينية- البلدان المسيحية عن البلدان الإسلامية لمدة طويلة. ونرى بشكل خاص في بحرنا الأبيض المتوسط عندما سقطت غرناطة الجميلة، فقد شهد التاريخ آنذاك انفصالاً بين البلدان الاسلامية، أو بتعبير أصح بين أوروبا المسيحية وبين الإمبراطورية العثمانية.

وهذا هو منبع الألم للمؤرخ الأوروبي الذي لا يعلم الوجه الآخر من العملة. فإنني منذ شبابي لم أستطع أن أقبل وأن أهضم فكرة محاربة بلدي روما لمئات السنين بلدي الآخر اسطنبول في سبيل غاية دينية ولغايات تجارية في أكثر الأحيان.

إنني أقول بانه يجب ان يتم نسيان مفاهيم الكلمات الآتية ونحن نقترب من نهاية القرن العشرين: الحرب، عدم التسامح الديني، العنصرية، الجوع، والجهل. أجل إنني تلميذة للتسامح التركي، لذا فإنني أعجب الإعجاب كله بجملة سعيد النورسي وبأمر منه. فهو يقول:

"إن أعداءنا هم: الجهل والفقر والفرقة. وسنجاهد هؤلاء الأعداء بسلاح العلم والصناعة والاتفاق"

عندما أتيت إلى تركيا في شبابي مع أهلي قمت بتوجيه آلاف اللأسئلة الدينية للأتراك، ولكن لم يقل لي أي واحد منهم " أأنت مسيحية أم مسلمة؟"

لقد كانوا يسألونني عما إذا كنت أحب تركيا أم لا.. عما إذا كنت أحب مولانا جلال الدين ويونس امره، عما إذا كنت أعرف عن موسيقى العطري٤.. عما إذا كنت اشعر بالسعادة وأنا اتطلع من "بغداد كوشكي" ومن "جاملجا" ومن "روملي حصار" ومن جسر "غلطة" إلى اسطنبول ام لا. ثم كانوا يتحدثون عن الدين، وقد وجدت أن كثيراً من المسلمين يعرفون آيات من الإنجيل ومن التوراة علاوة على معرفتهم بالقرآن الكريم. بينما يندر عندنا ان تجد مسيحياً يعرف شيئاً عن

القرآن. وقد كان هذا درساً كبيراً لي.

أود أن أنقل لكم إحدى ذكرياتي الجميلة:

في إحدى المسامرات التي بدأت من مغيب الشمس واستمرت حتى طلوع الشمس قام بعض أصدقائي من المسلمين المتدينين بقراءة جمل من الإنجيل دون الوقوع في أي خطأ. واعترف أنني قضيت اليوم التالي أبحث في ارجاء المدينة عن نسخة من الإنجيل لكي اتهيأ لمسامرة دينية أخرى.

لقد كنت ظمآنة على الدوام للتسامح، وقد وجدت هذا التسامح في التاريخ الاسلامي للاتراك. لقد وجدت التسامح في الامبراطورية العثمانية التي اعطت لجميع الأمم ولجميع غير المسلمين امكانية المحافظة على لغاتهم وعاداتهم ولاسيما المحافظة على اديانهم.

أنا لا يهمني ماذكره بعض المؤرخين الكذابين، ذلك للأنني أعلم جيداً أن المسيحيين من اليونانيين والارمن والسريان والمسيحيين في بعض دول البلقان بقوا مسيحيين نتيجة تسامح الاتراك المسلمين وبقوا يستطيعون التحدث بلغاتهم نتيجة هذا التسامح.

ولكني وجدت أجمل جوانب التسامح الديني عند أساتذة الاناضول الكبار. فمنذ مئات الأعوام خاطب مولانا جلال الدين الرومي العالم بأسره قائلاً: "تعال!.. تعال أيضا!...تعال كما أنت". أما يونس أمره فقال: " أُناديك يا مولاي ويا إلهي بجبالك وأحجارك". وبالروح التصوفية نفسه قال سعيد النورسي: "إن المحبة هي قوام الكون"، و "إن طريقنا ومشربنا هو المحبة".

إن موضوع هذه الندوة العلمية العالمية هو "بديع الزمان سعيد النورسي: البناء الجديد للفكر الاسلامي في القرن العشرين". إن حياة بديع الزمان حياة ملفتة للنظر وحافلة، وكتبه عميقة جداً. ونظراً لضيق الوقت فإن حديثي هذا ليس مع الأسف بياناً علمياً طويلاً، إنما هو عبارة عن تحية فقط، ثم إنني ادرك جيداً بأنكم تعلمون عن هذا الموضوع أفضل مني. فانا الفقيرة لم آت إلى هنا لكي ألقي عليكم درساً، بل جئت لكي أتعلم منكم.

"ما دام يملك ايماناً، فهو أخ لنا من هذا المنطلق"

كما قلت سابقاً فإن القسم الاكبر مما أعلمه تعلمته منكم ومن اساتذتكم.

إن مفهوم كل شئ في تركيا مفهوم عميق، حتى نصر الدين خوجا ونكاته وفهمه العميق لروح النكتة، وقيامه بإضحاك الشعب هو رمز من رموز التسامح التركي. وسأقوم إن شاء الله بإعداد بحث أشمل حول هذا الموضوع المهم وأقدمه لكم.

في الأيام السوداء تتفطر قلوب الناس من الأخبار الواردة إليهم من الأقطار الأخرى، ثم أسمع عن نشوء حوار بين المسيحيين والمسلمين، وبينما اعلم بان اناساً يُقتلون في الجهة الأخرى من العالم أشعر بأنني في حاجة إلى قطرة من العسل، وأنني وجدت هذه القطرة.

قبل أيام عندما كنا نتكلم عن الشاعر فيضي خالجي وعن الأستاذ سعيد النورسي خطرت ببالي جملته الآتية:

"مادام يملك إيماناً فهو أخ لنا من هذا المنطلق كائناً من كان". ونجد الفلسفة نفسها عند مولانا جلال الدين الرومي في هذه القطرة الجميلة من العسل.

وفي رأيي ان هذا هو الإيمان الحق، وهو التسامح.

والحوار الحقيقي ليس شيئا على طرف اللسان بل في القلب.

وفي شهر ايلول من هذه السنة عقد في بروكسل حوار بين الأديان اشترك فيها ممثلون عن اثني عشر ديناً. وبالقدر الذي علمته من المذياع فإن الندوة نفسها ستنعقد في ميلانو في العام القادم.

اتمنى أن يستطيع رجال الدين هؤلاء القيام بتأسيس السلام في الأرض والسلام بين الأديان. ولكني حزينة، لأن مثل هذه الحوارات التي تجري بين الأديان تكون موجهة نحو رجال العلم ولا تخاطب الجماهير.

عندما كنت اتهيأ لالقاء هذه الكلمة القصيرة تبادر إلى ذهني مثال على الأخوة بين المسلمين والمسيحيين.

اود ان يبقى هذا في قلوبكم، وعلى المسيحيين أيضا أن يعرفوا هذا.

هذه مسبحة مسيحية... وهذه مسبحة مسلمة...إن نصف العالم في هذه اللحظة تسبح بإحدى هاتين المسبحتين. ومع أنهم ينتسبون لاديان مختلفة إلا اأهم يذكرون اسم إله واحد. فكم هي صادقة تلك الكلمة المقدسة: لا اله الاّ الله.

أصدقائي الاعزاء! إنني أحيي بلدي ايطاليا من اسطنبول الساحرة وآمل أن يتقارب بلدي من تركيا يوماً بعد يوم، واخيراً أحيي تربة تركيا التي تحبونها جميعاً.

لعلكم تتقبلون مني أن اكرر شيئاً طالما ذكرته سابقاً.

إن حب تركيا شئ سهل بالنسبة إليكم، فقد ولدتم في تركيا وتعلمتم منذ صغركم محبة الثقافة التركية ومحبة الجمهورية التركية ومحبة علمكم المجيد والجميل. أما أنا فقد تعلمت محبة هذه الأشياء بعد عمل سنوات طويلة، وبعد قراءات وحوارات ومسامرات، وهكذا نفذ التاريخ التركي إلى عقلي واستقر اسم تركيا في قلبي.

دعائي لكم. والسلام عليكم.

- اوردناريوس بروفسور الدكتورة أنا ماسالا "Ord. prof. Dr. ANNE MASALA" جامعة روما - إيطاليا: ولدت أنا ماسالا في ١٥ نيسان/ ١٩٣٤ في روما. اكملت دراستها العليا في كلية الآداب في روما، تعلمت إلى جانب اللغة الإيطالية واللاتينية عدة لغات شرقية هي اللغة العربية والفارسية والعبرية والتركية. في سنة ١٩٦٨ بدأت بتدريس اللغة التركية في معهد الاستشراق في جامعة روما. وفي هذه الأثناء زارت تركيا عدة مرات حيث اتصلت بالثقافة والفلكلور التركي من قريب واهتمت بهما. واصبحت أنا ماسالا "التي هي من محبات وانصار الامة التركية" في سنة ١٩٧٢ استاذة "بروفسورة" في جامعة روما، وارتقت سنة ١٩٨٢ إلى مرتبة "اردناريوس بروفسور". نشرت في روما باللغة الايطالية العديد من الكتب الاستشراقية، ندرج ادناه بعضها: الشعر التركي المعاصر ١٩٧٢. الاغاني الشعبية التركية ١٩٧٨. بديع الزمان سعيد النورسي ١٩٧٨. الطبل ١٩٧٨. "الاغاني الشعبية التركية" و"السيف والاناشيد".

الهوامش

١- يحيى كمال: شاعر تركي مشهور من شعراء القرن العشرين. (المترجم)

٢- جلال الدين الرومي: شاعر ومتصوف معروف عاش في قونية في عهد السلاجقة وضريحه موجود هناك وهو مؤسس الطريقة المولوية. (المترجم)

٣- يونس أمره: شاعر ومتصوف. يمتاز شعره بالقوة والبساطة والسلاسة.(المترجم).

.

الحوار بين المسيحية والاسلام

الأستاذة المساعدة الدكتورة اورسولا سبولر
جامعة ماربورك: المانيا*

قبل كل شئ عندما ننظر من زاوية رسائل النور نرى ان أحد الشروط الرئيسة للحوار بين المسيحية والإسلام هو وجود نقاط مشتركة بين الدينين. وهذه النقاط المشتركة هي التي تضمن امكانية العمل المشترك بين الإسلام والمسيحية ضد الالحاد وضد المادية وضد الشيوعية في جميع ارجاء الارض.

ان الظروف الحياتية التي يعيش فيها المسلمون في عصرنا الحالي تختلف من عدة نواح عن الظروف التي كانت موجودة في السنوات الاولى لظهور الإسلام في مكة والمدينة. لقد انتشر الإسلام بسرعة كبيرة في جميع قارات العالم. ثم ان عدد المسلمين اليوم وصل إلى عدد المسيحيين. وهكذا فإن منتسبي هذين الدينين يشكلون نصف عدد سكان العالم.

فكيف كان الوضع ياترى في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ؟ لم يكن هناك في ذلك العهد يهودي واحد في مكة، اما في المدينة فكانت هناك ثلاث قبائل يهودية. بينما كانت المسيحية منتشرة في كل ارجاء الشرق الاوسط الا ان انتشارها في منطقة شبه جزيرة العرب "باستثناء منطقة نجران" كان قليلاً جداً. إلى جانب هذا فالرسول محمد(ص) كان يعرف بعض المسيحيين. ونحن نعرف قصة الراهب المسيحي الذي اخبر بمجيئه.

فان أتينا إلى يومنا الحالي نجد انه يعيش في ألمانيا "التي تبعد كثيراً عن مكة والمدينة" مليونان من المسلمين مع ٧٦ مليوناً من المسيحيين، ومقابل هذا نجد ان المسيحيين اصبحوا اقلية في الشرق الاوسط. فإن استثنينا لبنان فاننا نجد ان المسيحيين يشكلون مجموعات اقلية في مصر وفي سوريا، فكما رأينا فقد تغيرت الظروف من عدة نواحٍ منذ السنوات الاولى لانتشار الاسلام.

هناك آيات عديدة في القرآن حول المسيحيين، وكانت حسب الظروف السائدة في مكة وفي المدينة آنذاك، وفي الوقت نفسه فهذه الآيات كانت تشكل اسس قاعدة العلاقات مع المسيحيين ومع أهل الكتاب.

وقد قام سعيد النورسي بتفسير هذه الايات حسب شروط وظروف ايامنا الحالية وجعلها قابلة للاستعمال في المستقبل، ويعد قيامه بتطبيق الآيات القرآنية على ظروف حياته انموذجاً ومثالاً. ولكنه فعل هذا - كما قال الدكتور شريف ماردين - بأسلوب صعب، ولكنه زينه بامثلة تصوفية جميلة جداً. لذا فإن رسائل النور لاتفتح صدرها لكل قارئ عند قراءته الاولى لها.

والآن يحاول طلبة النور إدامة آثاره وتحقيق غاياته واهدافه. وتأسيس الحوار بين المسيحيين والمسلمين وتنظيم الحياة الدينية بشكل متقابل وهو ما كان من ضمن اهدافه هذه. فالمسيحيون يرون أن تأسيس الحوار بين هذين الدينين اصبح الآن ضرورة لامفر منها. ونحن المسيحيين نبذل جهوداً كبيرة لفهم المسلمين فهماً جيداً. إن فهم احدنا الآخر سيزيل بلاشك قبل كل شئ المخاوف

الموجودة عند الطرفين.

النقاط المشتركة عند كلا الدينين

ان المسيحيين يرون ان الدين الاسلامي دين يجب أخذه مأخذ الجد، وكما تعلمون فإن المسلمين يؤمنون باله واحد، وهذا الاله هو اله المسيحيين كذلك. هذا الله اله رحيم وعالم. ولكننا - على خلاف ما يعتقده المسلمون في عقيدتنا حول التثليث - نؤمن باله واحد. ومع ان قسماً كبيراً من المسيحيين لايتبنون هذه العقيدة الإسلامية ككل متكامل الا ان الهنا اله الرحمة واله المحبة.

لاشك ان هناك فرقاً اساسياً، فبينما ننظر نحن إلى الإنجيل نظرة فيها حيطة، الا ان هذا ليس هو نفس موقف المسلمين من القرآن. فنحن نعلم وقوع تأثير كتاب عديدين في كتابة الانجيل، إذ قام هؤلاء الكتاب باجراء التصحيحات على الإنجيل في أزمنة مختلفة. لذا فنحن مضطرون إلى فرز ما يرتبط بالزمان في الإنجيل وما يرتبط بالأبد فيه، ومع ذلك فإن الإنجيل باكمله هو كلام الله حسب عقيدتنا.

يقول بديع الزمان سعيد النورسي "مع ان الإنجيل تم تغييره من قبل الناس الا ان أسس الإيمان فيه حافظت بشكل جزئي على أصالتها" لذا فهو يقابل المتدينين المسيحيين باحترام. بل ان اكثر المسيحيين اليوم يعتقدون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فإن المسيحيين والمسلمين يفترقون بشكل اساسي عند مسألة "بنوة" المسيح وعملية صلبه على الصليب وكونه منقذاً للانسانية. والحقيقة ان المسلمين رغم كونهم يرون ان عيسى يشغل مرتبة رفيعة بين الانبياء، يرى سعيد النورسي ان فكرة إسناد "البنوة" إلى عيسى عليه السلام كانت نتيجة من الحب المفرط الذي اسبغه المسيحيون المتدينون على عيسى عليه السلام، وهو بهذا يحترم تدين المسيحيين مع انه يرد بعض اسس ايمانهم لأنه يرى فيها افراطاً.

انا لا أربفي هذا ضيراً، اذ لماذا لا تكون هناك أديان عدة تعتقد بالله الواحد الرحيم الذي خلق ارضنا والذي سيحاسب الناس يوم القيامة؟. يقول الله تعالى: انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولاتتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امةً واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون "المائدة: ٤٨".

يقول بديع الزمان سعيد النورسي فيما يتعلق بهذا:

".. لقد ثبت في الحديث الصحيح ان المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك: الزندقة. لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الإتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل هم مدعوون أيضا إلى الأتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فليتركوا مؤقتاً كلما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي"١.

هناك أديان ومذاهب عدة تعيش اليوم جنباً إلى جنب، كحقيقة من حقائق عصرنا، وهي ليست نتيجة تطور تاريخي فحسب، بل أيضا من تجليات ارادة الله سبحانه وتعالى. وقد بدأنا ندرك هذا حديثاً.

ان التقدم نحو الحوار لا يعني إننا سنرى جميع الأديان ديناً واحداً وفي صف واحد، فالاديان السماوية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام سيبقى كل واحد منهم مستقلاً. مع كون إبراهيم عليه السلام أباً للانسانية، فإن الاصل التاريخي المشترك لا يتجلى في شخصه، على العكس من ذلك

فإن الأديان تفترق وإبراهيم عليه السلام يحتل لدى المسلمين معنى ومنزلة مختلفة عما لدينا.

طراز نظرة بديع الزمان

إن بديع الزمان سعيد النورسي يدرك هذا الفرق. فمثلاً نراه يبين أن عيسى عليه السلام لم يقم بإدارة دولة ولا بتقديم الخدمات الإجتماعية فهو يقول: "... ولهذا توجد في المسيحية القوانين الدينية والحقوق العرفية فقط". وهو لهذا يجد ان المسيحية ناقصة. أما نحن المسيحيين فننظر إلى هذه المسألة نظرة مختلفة ومستعدون للتباحث والتذاكر مع المسلمين في هذا الموضوع. ولكن هذه المسألة لاتشكل اليوم المحطة النهائية، فما يجب عمله في هذا الخصوص كخطوة أولى هو قبول وجود كلا الدينين. فالله تعالى وحده هو الذي يقرر الطرق المؤدية اليه. فبعد ان تتقبل الفروق وتتوضح ويتم التعرف عليها من قبل كلا الطرفين يمكن عند ذلك اتخاذ الخطوات اللازمة. ان هذه البنية التاريخية الحرجة تستحق الاهتمام. ومع ان وقع هذا على السمع قد لايكون محبباً الا انه سيكون بنّاءاً جداً. اذ لايمكن فهم مراد الله واوامره وفهم القيم المشتركة وتحقيق سعادة الإنسانية الا عن هذا الطريق.

يجب ألاّ يقف المسلمون والمسيحيون بعضهم من البعض الآخر وكأنهم غرباء، بل عليهم أن يأخذوا على عاتقهم إيفاء وظيفة ومهمة مشتركة، فقد كان هناك شخص واحد استطاع فيما سبق الوصول إلى ادراك هذه الوظيفة والشعور بها، وهذا الشخص هو بديع الزمان سعيد النورسي الذي أبان للمسلمين وللمسيحيين طريق العصر القادم.

ففي مؤلفه "ملحق اميرداغ" يقول بان على المبشرين والروحانيين المسيحيين وعلى طلاب النور ان ينتبهوا جيداً وان يؤلفوا بينهما جبهة واحدة ضد الشيوعية وضد الالحاد ٢.

ومع ان سعيد النورسي يقف ضد الغرب المادي وضد الغرب الرأسمالي، فانه يفرق بشكل حاسم بين "الاوروبي" الرأسمالي و"الامريكي" الرأسمالي وبين "الاوروبي" و "الامريكي" المتمسك بالمسيحية من أهل الكتاب وهو عندما ينتقد الغرب يستثني هؤلاء.

لاشك ان الشيوعية أفلست وتشير البوادر إلى ان الرأسمالية أيضا ستنهار ولهذا السبب فإن العودة إلى منابع هذين الدينين ضرورة قصوى لامفر منها. ويجب بذل كل انواع العون والتأييد لكل المحاولات ولكل الجهود المبذولة في سبيل الدفاع عن حقوق الإنسان وحرياته وتأمين هذه الحريات وبذل العون لكل الحركات التي تسعى في سبيل تأمين سعادة الإنسان والتي لاتفكر في نفسها فقط "اي لاتكون انانية" والتي ترى ان القيم الاخلاقية ومايخدم الإنسانية غير محصورة بين منتسبي دين واحد فقط بل هي موجودة عند منتسبي الأديان الأخرى كذلك.

والمعاني التي تنصب في هذا الإتجاه نراها أيضا عند بديع الزمان سعيد النورسي.

لقد أدرك هو ما يأتي: لا شئ ثابت في هذه الدنيا، بل كل شئ قابل للتغير وللنمو. لذا فعلى الإنسان ان ينمي معارفه ويجد طرقاً جديدة كلما تقدم به العمر. بل الامر اكثر من هذا: ان الإنسان باعتبار ماهيته خلق بشكل قابل للتغير، ولاسيما للتغير نحو الافضل باذن الله.

وهكذا فإن الأديان وكذلك الجماعات الدينية لها الاستعداد للنمو وللتطور، فهناك اليوم مايزيد على المليار من المسلمين، ونفس هذا العدد من المسيحيين، فلو لم يحصر منتسبو هذين الدينين انظارهم على اسس ديانتهم فقط ولو كثفوا جهودهم لايفاء الوظيفة والمهمة المشتركة التي كلفنا بها الله سبحانه وتعالى وهي الوقوف بجانب العدل وضد الظلم في العالم فاننا نستطيع عمل الكثير لكي يسود الخير هذا العالم.

علينا ان نرمي بالعداوات التاريخية مثلما نرمي بمتاع قديم، وان ندفن اخطاء الامس وسلبياته في مقبرة الماضي ونحول اعيننا إلى المستقبل، ذلك لان مشاكل العالم في اتساع دائم وبدأت تأخذ اشكالاً معقدة ولانستطيع حل هذه المشاكل الا معاً.

لقد نشر بعض الزعماء المسيحيين الذين اجتمعوا في الشهور الماضية مع بعض الزعماء المسلمين "بيان القيم الاخلاقية العالمية" وذلك من اجل تأسيس قيم اخلاقية مشتركة. وهذا البيان "Weltethos Erklarung" مؤهل ان يحل محل بيان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ذلك لان بيان الأمم المتحدة لم يلق قبولاً حسناً من قبل المسلمين.

واعتباراً من المجمع الكنسي الثاني للفاتيكان وحتى الآن "١٩٩٢" والكنيسة الكاثوليكية في حوار مخلص مع اتباع الديانات الاخرى. كما ان الكنيسة البروتستانتية بحثت طرق الحوار مع المسلمين، وبدلاً من المناظرات النظرية فقد فتحت معابدها وقاعاتها للمسلمين في ألمانيا ولاسيما لطلبة النور.

ولكن بجانب هذا فإنني اود ان اشير بكل أسف إلى ناحية، وهي ان المسيحيين لايستطيعون حتى الآن اداء عباداتهم في جوامع المسلمين. وبينما يستطيع المسلمون بناء الجوامع في كل ارجاء بلدنا فإن قيام المسيحيين ببناء الكنائس في البلاد الإسلامية يكاد يكون ممنوعاً(*). اذ لاتزال المخاوف موجودة لدى المسلمين من ان دخول المسيحيين فيما بينهم سيلحق بهم ضرراً. والحقيقة انه لاتوجد مثل هذه النية لدى المسيحيين على الاطلاق.

كان سعيد النورسي يدرك بان كل دين يستمد قوته من اسسه، فبينما يستمد الإسلام قوته من القرآن استمدت المسيحية قوتها من الإنجيل وهذا يعني استمرار قوة من يبقى مرتبطاً بهذا الاساس، لذا فلا موجب للخوف للشخص المخاطب القوي، على العكس من هذا تماماً فإن هذا يكون افضل عون لكي يحافظ على اصالته عند التصدي لحل الازمات والمشاكل الحالية.

الحوار الانموذجي في المانيا

هناك مجلات تصدر في ألمانيا متخصصة في الحوار بين الأديان بشكل عام والحوار بين المسيحية والإسلام بشكل خاص. وبجانب هذا تنشر كتب حول الحوار الاسلامي- المسيحي باسلوب بعيد عن المراء، ونجد في هذه المجلات والكتب شروحاً لاعياد الدينين والعادات والتقاليد المختلفة فيما بينهما، واسس العقيدة الإسلامية والنقاط المشتركة بينهما والنقاط ذات الخلاف، كل ذلك في جو مريح.

وقد يشترك المسلمون في إعداد هذه النشريات، أو يقدمون خدماتهم كمستشارين، وأنا في فضول وترقب للعهد الذي سيتحقق فيه مثل هذه النشاطات في البلدان الاسلامية.

من المفيد بيان انه لدينا - نحن المسيحيين - اخطاء كبيرة، فالحوار بين الإسلام والمسيحية في ألمانيا اتم عامه الثلاثين، ولكنه مع هذا بقي هذا الحوار محصوراً لدى مجموعة معينة تقريباً،

(*) هذا غير صحيح، فلا توجد عوائق أمامبناء الكنائس في غالبية البلدان الإسلامية. ولكن هناك شرط واحد في بعض البلدان وهو ضرورة وجود تناسب بين عدد الكنائس وبين عدد الأقلية المسيحية في ذلك البلد ووجود حاجة إليها. أي ألا تبنى كنيسة أمامكل جامع بدافع التحدي. بل نسبة الكنائس في كثير من البلدان الإسلامية أكبر من نسبة الجوامع، فلا نجد مثلا أن المصلين المسيحيين يضطرون إلى أداء صلاتهم على أرصفة الشوارع المحيطة بالكنيسة لامتلاء الكنيسة بالمصلين ، بينما نشاهد في كثير من العواصم ومن الكبيرة في البلدان الإسلامية أن الجوامع تمتلئ بالمصلين فيضطر المصلون إلى الصلاة في الطرق المحيطة بالجامع.(المترجم)

والمؤتمرات والمحاضرات التي تعقدها هيئات مختلفة يحضرها جمع غفير من المسيحيين. بينما نرى نفس الوجوه من المسلمين المشاركين فيها. واذا كان هناك تيار يضفي الحيوية على هذا الحوار فهو الحركة النورية. ذلك لان هذه الجماعة تدير هذا الحوار وتديمه بشكل واضح جداً. وأنا لا أقول هذا الكلام لكي ارضيكم، للأننياتتبع هذه المسألة منذ عشرين عاماً خطوة فخطوة.

اذا قمنا بتقييم فكر سعيد النورسي في اطار عام فاننا نستطيع ان نقول:

اننا لانستعمل مكتشفات العلم ونتائج هذه المكتشفات في اماكنها الصحيحة، وأنا اعني بقولي هذا عدم استعمال الطاقة الذرية في الامور التي تفيد وتخدم الانسانية، وعدم ازالة المخلفات النووية، ونتائج استخدام الهندسة الوراثية في التدخل الصناعي لوحدات البناء الحيوية في الإنسان والحيوان والنبات، وتلوث التربة والغلاف الجوي بالمخلفات المعدنية واتساع الثقوب في طبقة الاوزون.

إن سعيد النورسي كعالم مسلم يستلهم الآيات القرآنية وآيات الله سبحانه وتعالى وجميل صنعه في الطبيعة وفي الانسان، بل حتى في ذبابة واحدة وفي بذرة واحدة، ولو تسنى لنظرته هذه المستلهمة من القرآن ان تبدي وتظهر تأثيرها في العالم لثابت الإنسانية إلى رشدها.

ويوجد هناك أيضا في العالم المسيحي منبهين في هذه الساحة وموقظين، ولكن اللاهوت المسيحي لايزال يجد صعوبة في اتخاذ منفعة ومصالح الناس مقياساً، مع انه موجود في الإنجيل، ومع كونه يؤمن بالفن الالهي. وأنا أربهنا نقاطاً حيوية ومهمة ومثمرة للحوار. ان العلاقات المسيحية ـ الإسلامية اليوم عميقة وذات مستوى متقدم، ولكنها تعاني في اكثر الأحيان من مفاهيم خاطئة لدى كلا الطرفين. فاذا كان مخاطبنا يتكلم عن "الحرية" و"حقوق المرأة" و"الديمقراطية" أوعن "الشورى" و"الدين" و"الدولة" وغيرها من المبادئ الإسلامية فاننا لانستطيع ان نتفاهم حول هذه المواضيع الا بتبادل الاراء والحديث وجهاً لوجه.

بجانب هذا فاننا نملك كثيراً من القيم المشتركة التي تقربنا من بعض: التدين، الاستقامة، حقوق الجار، التساند المتقابل، مساعدة المحتاجين، رعاية الفقراء والمرضى، علاقات الترابط والاحترام والحب المتبادل بين افراد العائلة ، حسن الضيافة... الخ.

***

يذكر سعيد النورسي في كتابه "ملحق قصطموني" بانه تألم جداً لما اصاب الاطفال والنساء من مصائب وآلام وقتل من قبل الاعداء في الحرب العالمية الاولى وذلك لما فطر عليه من شعور الرحمة والشفقة، ثم راى ببصيرته المعنوية ان هؤلاء الاطفال وهؤلاء الناس الذين قُتلوا يدخلون الجنة برحمة من الله تعالى، حتى وان كان هؤلاء الاطفال الابرياء من الكفار، لان رحمة الله سبحانه وتعالى ستشملهم ثم يقول:

"... وحتى لو كان هؤلاء المظلومين من الكفار فإن مكافئات ستهدى اليهم من خزينة الرحمة الالهية يوم القيامة مقابل تلك الآفة الدنيوية التي تجرعوا الامها وأنا اعلم بانه لو رفعت استار الغيب لراى هؤلاء المظلومون الرحمة الواسعة المخصصة لهم وللهجوا بالحمد: يارب لك الشكر ولك الحمد".

للرحمة موضع مهم في ديننا، والرحمة تشغل حيزاً كبيراً ومهما في مؤلفات سعيد النورسي، وهذا الموضوع يدفعنا ويجبرنا للحوار ، وفي يوم الكاثوليك الالمان قال رجل الدين المسيحي الكاردينال "آرنيز" عن هذا اليوم "ليكن عام ١٩٩١م لا عام الحوار للمعونة الإنسانية أو للمعونة الاجتماعية" ولاشك ان هذه التسمية تتماشى مع رغبة سعيد النورسي وتتوازى معها.

اجل! فنحن مضطرون إلى مد يد المعونة والحل لكل من يعاني من الحرب أو الجوع في أي موضع في هذا العالم دون ان ننظر إلى دين أو لون هؤلاء الناس.

يجب ألا تقتصر القيم المشتركة بين المسيحيين وبين المسلمين على ساحة المساعدات الاجتماعية، بل يجب ان تتجاوزها كثيراً، لاننا - لكوننا من أهل الكتاب - نؤمن باله واحد ونعبد الهاً واحداً. ومع ذلك فهناك حاجة ملحة لكي يبرز الدين الحقيقي المستند إلى الوحي وتبرز الاسس الاخلاقية إلى ميدان الحياة. وقد ادرك سعيد النورسي هذه الحقيقة واشار إلى ضرورتها في كليات رسائل النور.

نظرة بديع الزمان إلى ألمانيا وطلبة النور

هناك علاقة خاصة لسعيد النورسي مع بلدي المانيا. ففي سنة ١٩١٨ عندما هرب من الاسر الروسي مر من أراضي بولنده التي كانت محتلة من قبل المانيا، ثم انتقل منها إلى "برلين"، واستقبل هناك كضابط واسير حرب، وبقي هناك مدة شهرين استطاع التعرف خلالها على المناخ الفكري هناك بالمقابلات واللقاءات التي أجراها مع المثقفين. وقال آنذاك: "لقد كان الاتراك اصدقاء مع الالمان وكان الالمان اصدقاء مع الاتراك طوال التاريخ" وقد اهتم الاتراك بالحفاظ على هذه الصداقة اكثر من الالمان٤.

وبعد ٣٦ سنة أرسل تلميذه محسن علوي سنة ١٩٥٤ إلى برلين. وقبل هذا كان قد اهدى إلى أمامجامع برلين كتابه "ذو الفقار"، وبدأ محسن علوي بخدمة وبنشاط كبيرين، وبعد ان تشكلت في برلين جماعة بمرور الزمن نجحت هذه الجماعة في تأسيس مطبعة، حيث قاموا بطبع المصحف التوافقي(*) هنا عندما لم يجدوا امكانية طبعها في تركيا. وأنا اجد نفسي محظوظة جداً لكوني املك نسخة من هذا المصحف. ثم طبع طلبة النور كتبا مختلفة من مجموعة رسائل النور في برلين باللغة التركية وارسلوها إلى تركيا.

لقد قامت جماعة النور في ألمانيا منذ سنوات وفي تركيا كذلك بايفاء خدمات جليلة جداً كان بديع الزمان سعيد النورسي يتمناها ، لأنه كان يعد ألمانيا محطة وقاعدة ينطلق منها لتحويل أوروبا إلى الاسلام.

ان المطبعة الموجودة في برلين، وجماعة النور الموجودة في "كولن"، تمارسان فعالياتهما بكل حرية ودون أي عوائق في ضوء الحقوق التي اعطاها لهما القانون الألماني. وهذه الحقوق تعطى للجميع بصرف النظر عن المعتقدات التي ينتسب لها، وتعطى حتى للملحدين مع أن البعض قد لا يعجبهم هذا. ومع إننا نخوض نضالاً فكرياً الا إننا لا نستطيع ان نقلص أو نحد من الحقوق الإنسانية للملحدين. ويجب ان نبذل جهدنا كمسيحيين وكمسلمين لكي نعيش ديننا بشكل مثالي لكي نجذب هؤلاء الملحدين إلى الإيمان .

ان ألمانيا اليوم مسرح لسلسلة من الاضطرابات، وليس في الامكان التنبؤ بالنتائج التي

(*) المصحف التوافقي: ذكر الأستاذ النورسي أنه إن تم تحقيق شرطين اثنين عند كتابة المصحف فستظهر آنذاك توافقات عجيبة، منها أن اسم الجلالة " الله" يظهر الواحد منه تحت الآخر تقريبا. والشرطان هما أولا: أن يُكتب المصحف بحيث تشغل سورة الإخلاص سطرا واحدا كاملا. ثانيا:أن تشغل أطول آية في القرآن (وهي آية الدَين) صفحة واحدة كاملة. أي أن هناك معجزة في القرآن يمكن مشاهدتها بنظرة واحدة من قبل جميع الأشخاص، أي حتى من قبل الأشخاص الذين لا يستطيعون فهم المعجزات الأخرى للقرآن الأدبية منها والعلمية وغيرها من المعجزات لقصور في ثقافتهم ودراستهم، بينما يجب ظهور إعجاز القرآن للجميع. (المترجم)

ستتمخض عنها، فالولايات الفدرالية الجديدة التي كانت تشكل سابقاً ألمانيا الشرقية لم تستطع بعد القضاء على البذور التي بذرتها الشيوعية فيها، ومن الخطأ الفاضح الاعتقاد باختفاء المبادئ الالحادية بعد ان عاشت خمسين سنة، وذلك بمجرد انهيار النظم الشيوعية. وهنا تقع على كاهل المسيحيين مهمات ووظائف كبيرة، مثلما تقع على عاتق المسلمين مهمات كبيرة في الدول التي ظهرت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي مثل اوزبكستان، وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجاكستان.

***

أرسلت جماعة النور في "كولن" بمناسبة عيد الفصح رسالة تهنئة إلى البابا تستحق الاعجاب. في هذه الرسالة كان يتم التعبير عن الدور الكبير للبابا المنحدر من أصل بولندي في خلاص الكتلة الشرقية من الشيوعية، وكمثال على النضال المشترك ضد الشيوعية كانت الرسالة تشير إلى قيام المسلمين باخراج الروس من افغانستان، وكانت الرسالة تستمر وتقول: "نحن نعي جيداً بان مهمتنا لم تنته بعد كل هذه الاحداث. فكما ذكر سيادتكم فإن الإنسانية بحاجة إلى الإيمان وإلنظام عالمي جديد".

لقد سطرت رسالة التهنئة هذه لعيد الفصح بنفس نظام تفكير سعيد النورسي. والدليل على هذا هو ان سعيد النورسي أرسل سنة ١٩٥١ إلى البابا نسخة جميلة جداً من أحد كتبه المخطوطة.

لقد ادركت الكنيسة البروتستانتية والكنيسة الكاثوليكية منذ زمان مدى الاهمية القصوى للحوار بين الإسلام والمسيحية لمستقبل عالمنا.

وقد اشتركت في ألمانيا وبشكل فعال ولسنوات عديدة في اجتماعات الحوار. ففي يوم البروتستانت الالمان من كل عام يشترك عدد من المسلمين الذين يجيدون اللغة الالمانية ويقيمون علاقات وثيقة جداً مع الالمانيين، ولكني لاحظت ان عددهم قليل. ولكن بجانب هذا فانه لكي يستمر الحوار فهناك حاجة إلى طاقة جديدة وإلفكر جديد وإلقاعدة عريضة.

ولكوننا من أهل الكتاب فلا توجد هناك حاجة لكي يحرص كل طرف على جذب الطرف الآخر إلى دينه، اما ادخاله بالقوة فغير مقبول قطعاً، لأنه لا اكراه في الدين "البقرة: ٢٥٥" وبدلاً من ذلك علينا ان نعيش كما امرنا ديننا وان نكون اسوة حسنة وحية. وبدلاً من سرد وعرض الفروق الموجودة بين اديانا، علينا ان نصل إلى وحدة فكرية حول المسائل المشتركة بينهما.

كيف ينظر بديع الزمان إلى المسيحية؟

اود هنا ان الخص نظرة بديع الزمان سعيد النورسي التفصيلية إلى منتسبي الأديان الأخرى ولاسيما الجزء المتعلق بالمسيحيين في ثلاث نقاط رئيسة:

النقطة الاولى:

يعتقد بديع الزمان بان القسم الاكبر من الإنسانية سوف يتقبل الدين الاسلامي. ويرى بان الجهد اللازم لتحويل أوروبا إلى الإسلام يجب ان ينطلق من المانيا. وهو يتناول هذه المسألة في رسالته المشهورة "دعوة لاهل الكتاب" وفي مواضع مختلفة أيضا من رسائل النور.

عندما يقوم القرآن الكريم بتشويق أهل الكتاب للايمان فانه يبدي لهم أنساً وسهولة،حيث يقول لهم:

يا أهل الكتاب! انكم لن تقابلوا أي مشقة عند قبولكم الاسلام. فلا يثقل ذلك على انفسكم لأنه لا يأمركم ان تتخلوا عن دينكم تخلياً تاماً. بل يقترح عليكم مجرد اكمال عقيدتكم وبناء ذلك على

الاسس الدينية الموجودة لديكم. ولكون القرآن جامعاً لكل جمالات الكتب السابقة ولكل القواعد الاساسية للشرائع القديمة فانه يعد بذلك مكملاً ومعدلاً في الاصول، أي يقوم بوظيفة التعديل والاكمال. وهو مؤسس فقط في الفروع التي تتعرض للتبدل وللتحول نتيجة تغير الزمان والمكان.

"وهذا هو السر في قيام القرآن بنسخ بعض اقسام الاحكام الفرعية. إذ اصدر حكمه بان هذه الاحكام انتهى وقتها وان احكاماً اخرى اتى دورها"٥.

ان بديع الزمان يعترف بالحقائق الدينية للانجيل ولكنه يرى ان هذه الحقائق تتكامل في القرآن وانه لم تعد هناك حاجة للمسيحية - التي هي دين مستقل - بعد مجئ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا يوجد أي شئ يمكن تقديمه للمسلمين خارج ما هو موجود الآن في القرآن. واذا قمنا نحن المسيحيين بتقييم آخر لهذا فمعنى هذا اننا لم ندرك هذه الحقيقة القرآنية حق الادراك. وقد اوضح بديع الزمان هذه المسألة ايضاحاً براقاً، ويعد هذا من أهم غاياته الرئيسة، ومن الطبيعي ان هذا الفهم وهذا التفكير بقي ملازماً له بشكل لايمكن الاستغناء عنه.

النقطة الثانية:

لقد كان تأسيس دولة براغماتية من بين اهداف سعيد النورسي، وذلك بالنسبة لوضع العناصر غير المسلمة في الدول الاسلامية. وهكذا فعلى ضوء سياسة الدولة فان غير المسلمين سيكون لهم نفس حقوق المسلمين في البلدان الاسلامية ويُعاملون على هذا الاساس لكي تعامل الدول غير المسلمة المسلمين على نفس الاساس.

وقد شرح السيد "صفاء مرسل" هذه المسألة في كتابه "بديع الزمان وفلسفة الدولة" وذلك استناداً إلى كتاب الاستاذ النورسي "المناظرات" كمصدر له. وفي سنة ١٩١١ وفي عهد المشروطية قبل بديع الزمان اعطاء الحرية للارمن على الأسباب ان ذلك "موافق للاسلام":

"افرضوا ان حريتهم ستكون سيئة كما تتوقعون، ولكن لايمكننا ان نوجه أي ضرر لاهل الاسلام"٦.

وهذا الامر ينطبق على المسيحيين، فاذا لم يقم المسلمون بالاضرار بالدين المسيحي وبثقافته واذا لم يخلوا بالدستور فانهم يملكون نفس الحقوق التي اعطاها سعيد النورسي للمسيحيين في الدولة الاسلامية، فاذا لم يعترف غير المسلمين بقوانين الدولة أو قاموا بنشاطات تبشيرية ظهرت المشاكل آنذاك.

ويبين بديع الزمان سعيد النورسي أيضا في كتابه "المناظرات" بانه من الممكن للمسلمين ان يكونوا اصدقاء لليهود وللمسيحيين. إذ يمكن عقد صداقات في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية رغم الفروق الدينية. فاذا كان طلبة النور يرون في استاذهم رائداً في الحوار بين المسيحية والاسلام في هذا العصر فان المسيحيين يتقبلون هذا ويوافقون عليه.

وهكذا يستطيع المسيحيون والمسلمون ان يتفاهموا فيما بينهم على الأسباب من الحقوق الدولية. أي تكون الاختلافات الدينية مقبولة بحيث لاتؤثر تأثيراً سلبياً على إمكانية التعايش معاً. ولاشك ان قيام اقلية بالتدخل في ادارة الدولة وفي دستورها من الناحية الدينية امر خارج عن هذا الموضوع.

ان هذه النظرة تعبر عن تقليد إسلامي طالما تكرر في التاريخ ووجد لها مجالاً للتطبيق. لقد عد بديع الزمان هذه النظرة مبدأ مهماً جداً لتأمين التعايش المشترك في زماننا هذا. وهذه النظرة ليست الا عبارة عن نظرة مرنة في التعايش معاً.

النقطة الثالثة:

احد الشروط الأساسية في الحوار المسيحي الإسلامي - ان نظرنا من زاوية رسائل النور - هو وجود نقاط مشتركة بين الدينين. وهذه النقاط المشتركة هي التي تعطي للمسيحية وللاسلام إمكانية العمل المشترك ضد الالحاد وضد المادية وضد الشيوعية... الخ في جميع انحاء العالم. ويشير بديع الزمان سعيد النورسي للاية رقم ٤٨ في سورة الانعام كدليل على دعواه هذه. ان تنافس الاديان السماوية في اعمال الخير، ولاسيما نضالهم المشترك ضد الالحاد سيؤدي إلى الاتحاد الذي سيأتي اولاً قبل ظهور الامة الواحدة. والقرار في حق هؤلاء لايصدره الناس بل سيصدره الله سبحانه وتعالى. فمن اجل غاية عامة وهي السعي في سبيل الله وعمل الخير من اجله يجب الا نبخل باية تضحية أو باي جهد. وليس لهذا الا معنى واحد وهو قيام الاديان بالتساند والتعاون المشترك والمتقابل عند العمل في سبيل الله تعالى وعند تقديم الخدمات في الخير في سبيله . ولو كنا نحن مسلمين لاستندنا في عملنا هذا إلى الآية رقم ٤٨ في سورة الانعام مثلما فعل بديع الزمان سعيد النورسي.

لقد رأى في المسيحيين الحقيقيين وفي ألمانيا "التي لعبت التقاليد المسيحية دوراً كبيراً في تشكيل سماتها" صديقاً وحليف دعوى في نضاله ضد جميع اعدائه في العالم. ان العمل المشترك في سبيل الله تعالى لم يكن عنده مجرد ابداء مرونة في زماننا الحالي بل بقي كرغبة قلبية كانت أهم عنده حتى من تحويل المسيحيين إلى الاسلام. وكل شئ خارج هذه المهمة وهذه الوظيفة يعد اقل اهمية من زاوية هذا الحوار.

وختاماً اريد الاشارة إلى ان الخلافات بين الاديان ربما ستستمر حتى يوم القيامة.

إن بديع الزمان - الذي ينطلق من هذا الاساس الواسع - يرى ان أهم هدف من الحوار المسيحي - الإسلامي هو اكتشاف النقاط المشتركة لكلا الدينين والنظر إلى الانجيل كقوة مهيأة وموجودة بجانب القرآن عند النضال ضد الالحاد. وعندما يتم ايفاء هذه الخدمات يجب الا يقول أي دين "انني فقط أمثل الحق" والا يسلك هذا السبيل. ان عملية الاشتراك هذه أهم بكثير من المرونة المتقابلة التي ذكرناها سابقاً واسمى منها. لذا فاننا نحن المسيحيين نفتح كنائسنا عن طيب خاطر لكي يؤدي المسلمون فيها عباداتهم. فاذا كان تصرفنا هذا يعطي زخماً وقوة لنضالنا المشترك ضد الالحاد فلماذا لانؤدي العبادات بشكل مشترك؟

واذا تناولنا الاساس الذي عبر عنه بديع الزمان في كتابه "اللمعات" حيث قال: "ان المتدينين الحقيقيين للنصارى سيتفقون مع أهل القرآن في آخر الزمان..." اذا تناولنا هذا الاساس كلمة كلمة فانني استطيع القول بانه ما كان ليكتفي بتأييد هذا الحوار بل كان يشترك فيه شخصياً.

ماهي أهم مسألة في الحوار المسيحي - الاسلامي؟

لقد اظهر بديع الزمان كيف انه استاذ حقيقي في هذا الامر ايضاً. يمكن جمع هذه المسألة في ثلاث نقاط:

١- قبل كل شئ يجب العمل في سبيل الله تعالى بقيمنا الدينية المشتركة.
٢- اعلاء اسم الله سبحانه وتعالى.
٣- العمل على زيادة الاشخاص الذين يذكرون اسم الله.

- الاستاذة المساعدة الدكتورة اورسولا سبولر "جامعة ماربورك: المانيا": ولدت اورسولا

سبولر في ألمانيا عام ١٩٣٩. اكملت دراستها في لوس انجلس في امريكا وفي كلية الاداب في جامعة اسطنبول. حيث تعلمت في هذه الاثناء علم الاديان والاستشراق واللغة الفارسية والعربية والتركية. قدمت رسالة الدكتوراه في جامعة بون حول الادب التركي المعاصر. تقوم ارزولا حاليا في جامعة ماربورك باعطاء دروس حول التاريخ الاسلامي، والقرآن والسنة والدين واسس الدين الإسلامي والتصوف والفكر الإسلامي الحديث وذلك ضمن اطار علم الاديان. والسيدة ارزولا تجري ابحاثها منذ عشرين عاماً حول بديع الزمان سعيد النورسي وحول الحركة النورية. وكانت قد نشرت اول مقالة لها عن بديع الزمان قبل عشرين عاماً.

الهوامش

١- بديع الزمان سعيد النورسي: "اللمعات" ص: ٢٢٩.
٢- بديع الزمان سعيد النورسي: "ملحق اميرداغ" القسم الثاني ص: ١٥٦..
٣- بديع الزمان سعيد النورسي: "ملحق قسطموني" ص: ٤٥..
٤- نجم الدين شاهين آر: بديع الزمان سعيد النورسي: جوانبه غير المعروفة ص: ١٦٣.
٥- بديع الزمان سعيد النورسي: "اشارات الاعجاز" ص: ٥٣- ٥٤..
٦- بديع الزمان سعيد النورسي: "مناظرات" ص: ١٩..

.

التجديد وبديع الزمان

الدكتور كولن تورنر
جامعة دورهام - انكلترة

إنني أعتقد بان رسائل النور هي المؤلَفْ الإسلامي الوحيد الذي يقدم الكون كما هو، ويفسر القرآن كما اراده رسول الله(ص)، ويقدم العلاج الشافي للإنسان الحديث الذي سيطرت عليه الامراض الخطيرة. لذا فانني أرى ان بديع الزمان يستحق لقب المجدد.

جاء في سنن أبي داود في فصل "كتاب الملاحم" معنى الحديث الآتي: "سيبعث الله على رأس كل مئة عام من يجدد لهذه الامة دينها.."

إن تأويل الأحاديث كان دائماً أكثر صعوبة من تفسير القرآن. واوضح سبب لذلك هو عما إذا كان الحديث صحيحاً أو غير صحيح (طبعاً هناك أسباب اخرى كذلك إلا انها لاتعنينا هنا). فمن المعلوم أن الأحاديث لا تعد كلها صحيحة، فالحقيقة ان العلماء لم يتفقوا إلا على احاديث قليلة من الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن استثنينا الأحاديث الواردة في "الموطأ" وفي "المسلم" و" البخاري" فاننا نجد أن الأحاديث الموضوعة والضعيفة موجودة جنباً إلى جنب مع الأحاديث الصحيحة في كتب الأحاديث الأخرى. بل ان الأحاديث التي عدت صحيحة لم تسلم من بحث ومن نقد علماء الحديث.

وحديث التجديد لا يخرج خارج هذه القاعدة. فأبو داود نفسه يشك في نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما علماء الحديث الآخرون فقد أشاروا إلى سند الحديث وقالوا بان الحلقتين الأخيرتين منه ضعيفتان وتستدعيان الشك فيهما. وهناك محدثون اوردوا الروايات المختلفة لهذا الحديث دون ذكر أي مصدر، ونقلوه كأنه من اقوالهم، أو نسبوا هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ذكر السند.

ولكوني غير مختص بعلم الحديث فلا يحق لي إبداء الرأي في مدى صحة هذا الحديث. ولو كان لي أن أعبر عن رأيي الشخصي لقلت بان هناك مسائل تشغل تفكيري حول موضوع "التجديد"، وليست مسألة صحة هذا الحديث، أي صحة نسبته إلى الرسول(ص) أو عدم صحته من ضمن هذه المسائل. ذلك لأنه سواءً أكان الحديث صحيحاً أوغير صحيح فانه يعبر عن حقيقة عاشتها المجتمعات قديماً وتعيشها في زماننا حتى ونحن مجتمعون هنا حالياً.

إن الموضوع الذي يقلقني في الواقع هو قيام المسلمين في أكثر الأحيان بتفسير هذا الحديث بما يوافق مقاصدهم. والواقع إن هذا ليس وضعاً خاصاً بالحديث، فكثير من آيات القرآن - الذي لايشك أحد في صحته - فسرت تفسيراً خاطئاً وحسب الملاحظات والميول الشخصية ومتمشية مع مقاصد معينة.

تنظيم قائمة المجددين

لقد انصب اهتمام علماء المسلمين وتمركز بالنسبة لهذا الحديث في الاغلب على اشخاص هؤلاء المجددين. أما التجديد وماهيته وضرورته فلم تناقش - ان نوقشت اصلاً - إلا نادراً. وكلما انتشر هذا الحديث بين المسلمين وانتقل من جيل إلى جيل، نظمت قوائم مختلفة للمجددين. ولن استغرب أبدا أن تظهر قوائم مختلفة للمجددين بعدد الذين قاموا بتنظيمها. إن عدد القوائم التي اطلعت عليها حتى الآن يزيد على العشرين. ومع أن بعض الأسماء وردت في أكثر من قائمة، إلا أن كل قائمة لا تتطابق مع أي قائمة اخرى. إن من يقوم بتدقيق هذه القوائم المتعلقة بمن عدوا مجددين سيلاحظ دون شك أن كل قائمة تأخذ صيغة المدرسة التي ينتمي إليها واضعها. فإن كانت القائمة منظمة وموضوعة من قبل شخص حنبلي فإن هناك احتمالاً كبيراً ان تكون القائمة مؤلفة من أهل التصوف(*). والخلاصة إن أي عالم ينتسب إلى تيار معين أو إلى ساحة معينة أو جماعة ايدولوجية معينة، فسيميل لتطبيق هذا الحديث على اساتذته. وهناك قائمة لا يشك أحد بانها نظمت من قبل عالم منتسب لقصر ملكي، فكل اسم في هذه القائمة يعود إما إلى ملك أو إلى سلطان.

كيف نعرف المجدد وكيف ينتخب شخص لشغل مرتبة المجدد؟

لا يوجد في هذا الخصوص إجماع رأي، ذلك لأن التجديد ليس مقاماً ولا عنوان وظيفة، بل هو عنوان شرف، لذا فمن الطبيعي أن تتعدد هذه القوائم. ولكن هناك ايضاح آخر لهذا الاختلاف قد يكون أقل لفتاً للنظر ولكنه ايضاح أكثر واقعية، وهو اننا نتهافت كثيراً على الاشخاص، واذا ارتفع أحد منا إلى مرتبة عليا فإن هذا يولد في نفوسنا نوعاً من الفخر والاشباع النفسي.

هناك مواضيع اخرى مطروحة للنقاش في هذه المسألة، فمثلاً يتفق كثير من العلماء على ان أول المجددين هما عمر بن عبدالعزيز والامام الشافعي(رضي الله عنهما)، وقد توفي الأول عام ١٠١ للهجرة وتوفي الثاني عام ٢٠٤ للهجرة. ولايستطيع أحد انكار الخدمات التي قدمتها هاتان الشخصيتان الفاضلتان لدعوة الاسلام. ولكن لايملك أحد نفسه من ملاحظة ان التواريخ المتخذة اساساً لهذين المجددين هي تواريخ الوفاة. صحيح ان هذا ينسجم مع التقاليد المرعية في السير الإسلامية التي تتخذ تواريخ الوفاة اساساً، إلا انه لا ينسجم مع لفظ الحديث كثيراً. ذلك لأن هاتين الشخصيتين توفيتا بعد بداية العصر بقليل، لذا فيستحيل عليهما تجديد الدين أو تعميره، ولهذا فإن العلماء الذين أتوا بعدهم اشترطوا أن يكون المجدد حياً بعد بداية العصر وفعالاً. وفي هذه الحالة فإن وضع العلماء (الذين لا يستطيع أحد انكار خدماتهم الجليلة للإسلام) الذين لا تتطابق تواريخ وفاتهم مع تعريف الحديث جعلهم خارج عنوان "المجدد"، وهذا الأمر أصبح مشكلة اخرى.

أما قيام العديد من العلماء بصرف جهود كبيرة ووقت ثمين في نقاش القوائم التي أعدها العلماء الاخرون وردها فهو موضوع آخر.

والخلاصة أن هناك احاديث قليلة يمكن أن تؤدي إلى مثل هذا التحزب. ومع ذلك فإن هذه المناقشات لاتتعلق بحديث المجدد، لذا فلا تشكل سبباً لرد الحديث كما فعل بعض العلماء. وأنا اظن بان المناقشات التي جرت حول هذا الموضوع - قبولاً أو رداً - بعيدة عن أساس الموضوع مع انها قد تكون مفيدة في ساحتها. فكما ان هناك أقوالا نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا انها يجب ردها لكونها تخالف القرآن وتخالف المنطق، كذلك فهناك حقائق يؤيدها القرآن والمنطق إلا انها لم تعبر عنها بحديث. ولكي نختبر صحة حديث ما فإن الطريق الامين نسبياً والذي يرد

(*) الحنابلة من مدرسة الحديث، وليسوا من مدرسة التصوف. (المترجم)

للعقل هو ما اشير إليه من قبل رسول الله نفسه فيما معناه: "ان سمعتم قولاً يُنسب اليّ فاعرضوه على كتاب الله، فإن كان موافقاً له فهو لي وان لم اقل به".

واستناداً إلى هذا المقياس فانني لا أرى داعياً لرد حديث المجدد، إلا إنني لا أرى أيضا سبباً يدعوني إلى قبوله.

غير إنني استطيع قول ما يأتي تحت بعض القيود: انه لقبول هذا الحديث - في الأقل من ناحية المعنى- يجب الاخذ بنظر الاعتبار وجود بعض الابهام، أو بتعبير آخر بعض المطاطية في تعبيره. فكلمة "من" الواردة في الحديث قد تعني الشخص الواحد أو عدة اشخاص في اللغة العربية، لذا فنحن مضطرون إلى الاخذ بنظر الاعتبار احتمال وجود عدة مجددين في العصر الواحد. اما تعبير مئة عام فهو تعبير شعبي رائج وهو - مثله في ذلك مثل رقم سبعة ورقم اربعون - لايعني بالضبط تكرر دورة التجديد على الأسباب مئة عام بالضبط. وانا اعتقد بان معنى الحديث هو ان انساناً أو اناساً يقومون بالهام من الله تعالى وحسب الحاجات التي يقتضيها الزمن بتقديم الإسلام بشكل يوافق روح الوحي وحاجات العصر إلى الناس وذلك بكتبهم وبطراز حياتهم. وهكذا يكون المجدد قد حقق في الوقت نفسه شيئين مهمين جداً:

الاول: تقديم القرآن إلى الناس في عصره كما انزل وكما اريد تبليغه للناس عند نزول الوحي.

الثاني: ان يقوم بهذا حسب افهام اناس عصره وبشكل يناسب مستوياتهم. وهكذا يكشف عن المعاني التي بقيت خافية عن اهالي مكة والمدينة في القرن السابع. وانا اعتقد بان هذا هو المعنى الحقيقي للتجديد. وان العبارة المكتوبة على غلاف مجلة "النور" "*" تذكرني دائماً بهذه الحقيقة والعبارة هي "كلما شاخ الزمن تجدد شباب القرآن وتوضحت رموزه".

وقد اشار رسولنا الحبيب إلى ان هناك معاني في القرآن سوف تفهم من قبل الاجيال القادمة "**"، وبذلك فقد اومأ إلى مفهوم التجديد.

ضرورة المجدد واهميته

هناك ادلة عقلية ونقلية عديدة حول ضرورة المجدد واهميته. إذ لما كان القرآن - كما تقول الآية الكريمة - خطاباً الهياً لكل البشر وفي كل الازمنة وانه - تحقيقاً لوعد الخالق - يدل كل من يطلب الهداية إلى الصراط المستقيم فإن هذا يعني وجود شخص أو اشخاص في كل عصر تكون وظيفته القيام بتفسير القرآن من جديد وبيان معاني حقائقه، هذه المعاني التي لاتظهر إلا عندما يحين وقتها. وهؤلاء الأشخاص هم العلماء، واقصد بالعلماء هنا ما ورد في القرآن:(إنما يخشى الله من عباده العلماءُ " فاطر: ٢٨" وليس المختصين في الشريعة أو في القانون، فهم مع كونهم أصحاب معلومات إلا انهم ليسوا علماء بالمعنى الذي قصده القرآن.

ومن ضمن هؤلاء العلماء سيتميز بعضهم ويكون فهمهم للكون ولمعاني القرآن اشمل، وهؤلاء هم المجددون.

والمجددون العلماء هم - كما ورد في حديث آخر- "ورثة الانبياء" لذا يُعد التجديد امتداداً للنبوة. ويُعد المجددون ورثة للانبياء في عصورهم. فالوحي لايتجلى لهم كالانبياء، والمجدد قد يخطأ وقد يكون فيه قصور، وكلمات القرآن المنزلة بالوحي على رسول الله كلمات معينة لايمكن تغييرها، بينما يمكن تبديل كلمات المجدد وتصحيحها، بل يجب هذا إذا اخذنا بنظر الاعتبار ان التجديد حركة مستمرة وغير متوقفة، وبينما هناك خاتم للانبياء وختم لهم، فليس هناك خاتم للمجددين، فطوال عمر الدنيا هناك مجددون يحتلون مراكز سابقيهم ويقومون بشرح اسرار اخرى للقرآن لم تكن

معروفه في السابق.

بديع الزمان وحركة التجديد في عصرنا

فاذا اتينا لعصرنا فانه يكفي القاء نظرة على وضع الامة الإسلامية لكي نعرف ان حاجتنا إلى التجديد لم تكن في أي يوم من الأيامشديدة كحاجتنا إليه الآن. وليست هناك حاجة إلى مزيد من الشرح لهذه الناحية.

ولاتكمن المشكلة في اننا لسنا مسلمين، على العكس من هذا فعددنا يقارب المليار. ولكن المشكلة تكمن في ان اكثريتنا ليست مؤمنة، وحتى هؤلاء المؤمنين يؤمنون بشكل غير كافٍ، فبدلاً من الإيمان بالله وحده يؤمنون أيضا بشركاء له وان آية (ولايؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون) "يوسف: ١٠٦" تتعلق بعصرنا وبايامنا هذه من قريب. فالذي يتعرض الآن للهجوم ليس القلاع الخارجية للاسلام، بل اسس الإيمان نفسه، لذا فقد اصبح من اوجب واجبات المجدد في عالمنا المعاصر انقاذ الايمان، والارتفاع إلى مستوى قدرة التصدي الحاسم لكل الهجمات الموجهة إلى الدين وإلى العقائد. وهذا يتطلب زاوية نظر تخاطب العقل الانساني وكذلك قلبه وسائر ملكاته النفسية، وهذا يستوجب فهم كتاب الكون بشكل يشبع الروح والعقل. وعصرنا يذكرنا بعصر الجاهلية الذي سبق نزول القرآن. فعصرنا هو عصر الانانية وعصر النفس الامارة بالسوء المنطلقة حسب أهوائها. أما حركة التجديد فتتطلب في الأقل انشاء الإنسان وتكوينه من جديد، وهذا يعني إلباس روح الإنسان ايماناً يتبدى فيه الله واسلاماً واحساناً. وهذا هو وظيفة المجدد في هذه الايام.

لقد كثر الحديث في العشرين سنة الاخيرة عن "الصحوة الاسلامية" وعن الدول الإسلامية وعن ضرورة تقديم القوانين الاسلامية. بل لقد شاهدنا ثورة "اسلامية". وكلمات "الاسلام" و"المسلم" و"الاسلامي" تتكرر حوالينا، ولكننا نادراً مانسمع عن "الله" و"الايمان". ولهذا السبب فإن رسائل النور تنتصب وحدها في الميدان.

ولكن قبل ان نعود إلى رسائل النور وإلى مؤلفها، لندقق العبارات التالية التي تحتوي على تعريف المجدد: "ان خدام الدين من ذوي المراتب الرفيعة الذين وردت في الأحاديث بشائر مجيئهم على رأس كل قرن سيكونون مُتَّبعين وغير مبتدعين، أي لن يحدثوا من انفسهم شيئاً جديداً ولن يأتوا باحكام جديدة، بل يتبعون الأسس والاحكام الدينية والسنن المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والتسليم اتباعاً حرفياً، وبهذا الاتباع يقومون بتقويم الدين وتقويته واظهار حقيقته الاصلية الناصعة ورفع وازهاق كل الاباطيل التي الصقت به، واقامة الاوامر الربانية والاحكام الالهية واعلان واظهار علوها وسموها، غير انهم يؤدون خدماتهم بطرق جديدة للايضاح لا تخل بروح الشريعة ولاتتصادم مع اسسها بل تكون متوافقة مع روح وفهم العصر ومجهزة باساليب جديدة للاقناع"

ومن يقم بتدقيق رسائل النور على ضوء هذا التعريف للتجديد لن يجد صعوبة في رؤية علامات التجديد، وختم المجدد على كل صفحة من صفحات رسائل النور البالغة خمسة آلاف صفحة.

ذلك لأن رسائل النور تفسير يطل من خزائن القرآن إلى عصرنا الحاضر. فاذا فهمنا القرآن ككتاب ارشاد للكون فإن رسائل النور تعد كتاباً مرشداً إلى القرآن. ان مؤلف رسائل النور الذي نجح في تشخيص افظع امراض العصر، وهو عدم الإيمان تشخيصاً صحيحاً، فسر المبادئ

الرئيسية للإسلام بالقرآن نفسه، دون ان يضيف اليها شيئاً من عنده. والفرق بين رسائل النور وبين التفاسير الأخرىهو ان رسائل النور اعطت الاولوية للايمان التحقيقي "اي الإيمان المطمئن القائم على الادلة" وخاطب انسان القرن العشرين بشكل يحمل معنى حقيقياً.

وحسب ما اعلم فإن رسائل النور تتفرد بانها تتناول مشاكل الناس المتعلقة بالايمان بشكل يتسم بالانسجام مستنداً في ذلك إلى القرآن، وضمن اطار كلي وشامل من الارشاد، فاذا اراد الإنسان ان يتخلص من تهديد الفناء الابدي وينقذ نفسه منه فعليه ان يفهم الإيمان ويتشرب به ويعمقه في نفسه. وانا أؤمن بان رسائل النور تكسبنا مثل هذا المفهوم. فهي تُظهر للملحدين عدم جدوى الحادهم، اما للمؤمنين فهي تطلب منهم اعادة تقييم ايمانهم واسناده وتقويته، وهي تشرح الطرق المؤدية إلى ذلك. وهذه الناحية مهمة جداً، ذلك لأن سبب التأخر العام في العالم الإسلامي لا يعود إلى قصور التعاليم أو المذاهب التي تظهر نتيجة التقدم العلمي -كما حدث في المسيحية- بل يعود إلى الضعف الذي أبداه المسلمون في المحافظة على إيمانهم. عندما نحى الغرب المسيحية جانباً حقق تقدماً مادياً، وهذه حقيقة لاشك فيها. أما في العالم الإسلامي فإن إهمال الدين ادى إلى التأخر، وهو تأخر لا يزال يلازمنا حتى الآن، والظاهر انه ينوي إلا يتركنا.

إن من أهم نقاط ضعفنا هي أننا - كما رأينا سابقاً - وجهنا اهتماماً أكثر من اللازم إلى الأمور الفرعية والثانوية وإلى المسائل من الدرجة الثانية من الأهمية بدلاً من الأمور الاساسية. ورسائل النور ازالت عدم التوازن هذا فاعطت الأهمية الأولىللحقائق الايمان، هذه الحقائق التي ان توضحت ظهرت بان المسائل الفرعية الأخرىباجمعها لاجدوى منها ولاخطر لها.

وكنتيجة نستطيع قول ما يأتي:

انني اعتقد ان رسائل النور هي المؤلّف الإسلامي الوحيد الشامل والمستكفي بذاته، والذي يقدم الكون كما هو ويقدم حقائق الإيمان كما هي، ويفسر القران كما اراده رسول الله(ص) ويشخص الامراض الخطيرة التي ابتلي بها الإنسان المعاصر، ثم يقدم لها العلاجات الشافية الدائمية.

لهذا كله فانني اعتقد بان مؤلف رسائل النور يستحق دون أي شك لقب المجدد. صحيح إنني لا اعلم عما إذا كان هو المجدد الوحيد لزماننا أم لا، ولا عما ان كانت رسائل النور هي المؤلّف التجديدي الوحيد أم لا، ولكني اريد ان اكرر ماقلته سابقاً وهو إنني لم اجد بعد ابحاثي التي استغرقت نصف عمري من يستحق لقب المجدد أكثر من مؤلف رسائل النور.

ومع ذلك فانني لم آتِ إلى هنا لكي ارص كلمات المديح والثناء في حق بديع الزمان سعيد النورسي. ذلك لأن بديع الزمان نفسه قال مرات عديدة بان المهم ليس هو الشخص بل الرسالة التي يحملها ذلك الشخص. وفي هذا الموضوع أريد أن أقول لطلاب رسائل النور:

لا تقعوا في الأخطاء التي وقع ويقع فيها اخواننا العرب منذ مئات الاعوام، هذه الأخطاء التي لايزالون يكررونها. ذلك لأن كون رسول الله(ص) عربياً ونزول القرآن عربياً جعله بعض اخواننا العرب مسألة فخر خاطئة، بل اصبح الإسلام ورسول الله إمتداداً لنفوسهم أو لانانيتهم، واصبح الإسلام في اعينهم وكأنه مِلك تحت تصرفهم وذيلاً لثقافتهم، ومتاعاً ومالاً يمتلكونه. يجب ان يحذر طلاب النور من الوقوع في هذا الفخ. إذ يجب إلا يكون ظهور مجدد من بينكم ومن منطقتكم وسيلة غرور أو وسيلة فخر وعجب. واذا كان هذا الظهور يوجب عليكم شيئاً فليكن هذا زيادة في الشعور بالمسؤولية عندكم. ذلك لأن من اوجب واجباتكم "باعتباركم قريبين من رسائل النور" قيامكم بنشر رسالتها وبمهمة السفراء والممثلين لها. ان رسائل النور ليست ملكاً لا لامة

ولالمجموعة من الافراد، انها رسالة للانسانية من رجل مخلص كان مظهراً لالهام ربه، لذا فهي ملك لنا جميعاً.

وهناك ما اريد ان اقوله أيضا للمسلمين من غير طلاب النور: ان كنتم تبحثون عن طريق آمن وسالم يوصلكم إلى الله، طريق مجرب ومفحوص... ان كنتم تريدون هذا فاقتربوا من رسائل النور بقلب مفتوح وذهن مفتوح. ان فعلتم هذا فلن تخسروا شيئاً بل ستكسبون اشياء كثيرة.

لايمكن اهمال أو ابداء عدم الاهتمام أو اللامبالاة مع مؤلّف مثل رسائل النور التي تعكس نور القرآن وتضيئ وتُكسب الوجود الانساني معنى سامياً. ذلك لأن ما يحول بين الإنسان المعاصر وبين الهلاك هو الإسلام "الذي يعنى الاستسلام للخالق" وحده. وانا اعتقد بان مستقبل الإسلام متعلق برسائل النور وبالذين يتبعونها ويستلهمونها ويسترشدون بها.

والسلام عليكم ورحمة الله.

مؤلفات بديع الزمان كانموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب

شكران واحدة "ماري ويلد"
باحثة وكاتبة*

لقد قدم بديع الزمان برسائل النور افضل انموذج للإسلام إلى الغرب فقدم بذلك افضل خدمة للقرآن وللاسلام. وبتفسيره رسالة القران لإنسان هذا العصر اثبت ان الدين الإسلامي هو دين العقل ومنبع الرقي والمدنية الحقيقية للانسانية.

عندما نقوم بتدقيق رسائل النور التي الفها بديع الزمان كانموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب، فإن أول ما يجب ان يقال في هذا الصدد هو الاشارة إلى ان بديع الزمان قد اخبر ومنذ بداية هذا القرن بان الانسانية ستتقبل الإسلام وستتحول اليه، وان الإسلام سيحكم المستقبل بالقرآن. وبتعبير بديع الزمان "فان الانسانية التي افاقت من صدمة المصائب والحروب الرهيبة التي نتجت عن التقدم العلمي بدأت تفهم ماهية الإنسان وفطرته الشاملة وتدرك انه ما من شئ يمكن ان يشبعها غير السعادة الابدية فبدأت تبحث عن الدين الحق"١. ان الانسانية ستتقبل الدين الإسلامي لكونه دين البرهان والعقل، وبذلك سيحكم الإسلام المستقبل. يقول بديع الزمان:

"لاشك ان القرآن الذي تستند جميع احكامه إلى العقل وإلى البراهين العقلية هو الذي سيحكم المستقبل الذي سيسوده العقل والعلم والتقنية"٢.

عندما قام بديع الزمان بهذه التخمينات كان العالم الإسلامي في وضع سئ جداً، فاضافة إلى كونه تابعاً للغرب من الناحية السياسية والاقتصادية كان واقعاً أيضا تحت تهديد المدنية الغربية، وكان الإسلام نفسه معرضاً للهجمات، وكانت هذه الهجمات توجه في أكثر الأحيان باسم العلم والتقدم الذي كان الغرب بطله. لذلك فإن بديع الزمان عندما قال للشيخ "بخيت" بان الدولة العثمانية حاملة بأوروبا وستلدها في أحد الايام، وان أوروباحاملة بالاسلام، وستلده، فإن الاحتمال الأول كان يبدو- مع الاسف- ممكناً، إلا ان الاحتمال الثاني كان يبدو بعيداً عن أي احتمال.

وكجميع تخمينات بديع الزمان في المواضيع الأخرى، فقد بدأت تخميناته هذه بالتحقق بشكل لم يكن في عهده من يرى أي احتمال له، ولنوضح مثالاً على هذا:

نشرت جريدة "الزمان" في نسختها ليوم ١٢/ نيسان /١٩٩٢ خبراً عن تقرير نشر في فرنسا بـ"٤٢" صفحة صدر عن مجلس الفاتيكان ويحتوي على ملاحظات المجلس وقلق الكنيسة الجدي من زيادة انتشار الإسلام في اوروبا، ولكي تقوم الكنيسة بعكس هذا التيار فقد قامت بابحاث واسعة، ويحتوي هذا التقرير على نتائج هذه الابحاث. وقد دلت هذه الأبحاث التي جرت في ستة بلدان اوروبية على دخول ٥٨١٣٥ فرداً في الإسلام، وأن الرقم المخمن لعدد الأشخاص الداخلين في الإسلام في أوروباكل عام هو ١٣٠٠٠٠ شخص. وبجانب التحليلات الدقيقة المنشورة في التقرير حول الأرقام فقد ورد في التقرير ماضي هؤلاء المسلمين وكيف ولماذا اسلموا. وما يهمنا في هذا التقرير هو الارقام، ثم الحقيقة الآتية:

لقد تبين ان ٧٤% من هؤلاء اسلموا "وعددهم ٥٨١٣٥ فرداً " لأن الإسلام انقذهم من المادية ووهب لهم الطمأنينة والسعادة وكان ٣٢% منهم قد ذكر بان رسائل النور كانت السبب في اسلامهم.

وهذا التقرير يؤيد تخمين بديع الزمان بشكل كبير، ويدل في الوقت نفسه على ان المسيحية بشكلها الحالي عاجزة عن اشباع حاجات الإنسان الغربي. وكلما تم التغلب على المفاهيم الخاطئة والشائعة في الغرب حول الاسلام، وعلى القناعات الخاطئة والاحكام المسبقة حوله، فإن أناساً باعداد متزايدة على الدوام سيقتنعون بان القرآن وحده هو القادر على الاستجابة لهذه الحاجات. وكما اشار التقرير فإن رسائل النور تمثل انموذجاً مؤثراً للإسلام المقدم للغرب وعلينا ان نبحث عن أسباب هذا هنا.

لايمكن القول بان بديع الزمان يخاطب الغرب أو غير المسلمين بشكل مباشر، إلا ان رسائل النور - التي هي تفسير للقرآن - تقوم بابلاغ الرسالة العالمية للقرآن، لذا فهي تخاطب الانسانية باجمعها.وكما نفهم من بعض كلمات بديع الزمان، فانه كان يأمل في خلاص الناس مهما كان منشأهم. أي انه مع كونه ضد جوانب عديدة من المدنية الغربية، إلا انه كان يخمن ويأمل دخول الشعوب الغربية في الإسلام واتباعهم للقرآن وخلاصهم عن هذا الطريق. ويكرر بديع الزمان في العديد من كتبه حول ظهور المسيحية الحقة في المستقبل واتباعها للقرآن، وتوحيد جهودها مع الإسلام في النضال ضد الإلحاد ٣. وكما سنرى بعد قليل فإن بديع الزمان يفرق بين الاتجاهات النابعة من الفلسفة في المدنية الغربية، والتي اصبحت مصادر للالحاد، عن الاتجاهات النابعة من المسيحية. وهذه نقطة هامة يجب تسجيلها، ذلك لأن العلاقات بين الإسلام والغرب كانت طوال التاريخ علاقات منافسة وخصام، وفي بداية هذا العصر بلغت سيطرة الغرب على العالم الإسلامي الذروة، لذا فإن مؤلفات بديع الزمان توجهت وبمقياس كبير لنقض اسس التفكير الغربي، واسس المدنية الغربية وللدفاع عن القرآن وعن الإسلام ضد هجمات الغرب. وهذا يعد في الوقت نفسه خطاباً للمسلمين المعاصرين الواقعين تحت تأثير الغرب والفلسفة الغربية، ويجعل لرسائل النور موقعاً ممتازاً، ويؤمن فهم حقائق الإسلام من قبل الغربيين بكل سهولة في الوقت نفسه، وليست هناك أي صعوبة في فهمها.

وبصعود الغرب وتدهور العالم الإسلامي وتأخره، فقد عدّ الغرب سيادته وسيطرته دليلاً على تفوق المدنية الغربية على المدنية الاسلامية، ولكي يوسع سيطرته وحاكميته فقد هاجم القرآن منبع ومصدر المدنية الاسلامية، وفعل هذا باسم العلم والرقي الذي اعلن انه اثر من آثار التفكير والمدنية الغربية، وكان بديع الزمان قد نذر نفسه منذ شبابه للدفاع عن القرآن ضد هذه الهجمات عليه، فكان عليه ان يبرهن انه بخلاف هذه الهجمات فإن المدنية الحقيقية والرقي الحقيقي والسعادة الحقيقية للانسانية لاتوجد إلا في الاسلام.

ولاجل تحقيق هذا قام بدراسة العلوم الحديثة والفلسفة، وهذا ما لم يفعله أي عالم ديني آنذاك. وبهذا كان يستطيع ان يناضل ضد اعدائه بنفس اسلحتهم. وعندما تأسست "الجمهورية التركية" واتخذت الفلسفة المادية الغربية اساساً للدولة واساساً لايدولوجية المجتمع، وتم اتخاذ تدابير ومحاولات على مستوى أبعد لقلع الإسلام من جذوره. لم يكن هناك من يستطيع النضال بفعالية ضد هذه المحاولات المشؤومة سوى بديع الزمان، ولمواجهة هذه المحاولات فقد تناول بديع الزمان المسألة من اساسها، وبدأ بتأليف رسائل النور لاثبات أن حقائق القرآن والايمان منطقية ومعقولة، وعدم منطقية الفلسفة المادية للغرب القائمة على الأسباب مفاهيم مثل "المصادفة" و "الطبيعة" وتضادها فيما بينها، وكذلك القيام بالاجابة على الهجمات الموجهة نحو القرآن، واثبات تفوق القرآن المطلق الذي لايقبل أي قياس. وعندما كانت رسائل النور تقترب من الحقائق التي يقدمها القرآن

ويعلّمها، كانت تعقد في كثير من الأحيان مقارنات بينها وبين الفلسفة، وتشرح ماهية ومصدر ونتائج كل منهما، مما كان يسهل على كل من اصطبغت نظرته للحياة وللوجود بصبغة التفكير الغربي معرفة فكرته وسلوكه بسهولة من هذه المقارنة، ويعرف مكمن الخطأ الذي وقع فيه ويصل إلى الحقيقة. وهذه الطريقة الواضحة والسهلة التي اتبعها بديع الزمان يسرت لكل امرؤ اساساً تحليلياً لفحص افكاره ووضعها في وضح الشمس لمعرفة الحقيقة والوصول اليها.

الدين والفلسفة في رأي بديع الزمان

قبل ان نلقي نظرة على الجوانب الأخرىلرسائل النور، سنلقي نظرة على آراء بديع الزمان حول الدين والفلسفة، لأن هذه الاراء تشكل الأساس لافكار بديع الزمان التي صورها واظهرها في رسائل النور.

يقسم بديع الزمان تاريخ الانسانية إلى تيارين، احدهما تيار النبوة والآخر تيار الفلسفة والعلوم، ويربط كلا التيارين بذات الإنسان ويصور نتائج كلا التيارين.

فالنبوة - التي تمثل الوحي الالهي - تخاطب قلب الانسان، اما الفلسفة فتخاطب عقله، والهدف هو اتفاق الاثنين، أي قيام الفلسفة باتباع الدين واتباع النبوة وخدمتهما، وكلما تم هذا ذاقت الانسانية طعم السعادة وعاشت في انسجام وتناغم. وعندما يفترق احدهما عن الآخر ينسحب الخير والنور إلى جانب النبوة، ويتراكم الشر والضلالة - كما حدث في الغرب - في جانب الفلسفة. والحقيقة ان بديع الزمان يتكلم عن نوعين من أوروبا، الأول: هو أوروبا التي قدمت العدل والحقيقة "المستمدة من المسيحية الحقيقية" والامور المفيدة إلى الانسانية. والثاني: هو أوروبا المادية المتبعة لفلسفة الطبيعة والتي رجحت جانب الشر في المدنية على جانب الخير فيها. واوروبا الثانية هي المسيطرة حالياً على أوروبا الأولى.

فاذا نزلنا في هذا إلى الإنسان الفرد، أي إلى "الأنا" فإن هذا هو نفس موقف الشخص الفرد الذي ينكر الوحي ويثق بعبقريته. فلكونه يعد نفسه مالكاً لنفسه فهو يظن الشئ نفسه بالنسبة للآخرين، إذ يعد كلاً منهم مالكاً لنفسه. وهذا هو الأسباب الفلسفة المادية، فبدءً من المجرات الهائلة وانتهاءً باصغر الذرات، فإن جميع الأسباب بدلاً من اضافتها بشكل مباشر إلى خالقها، يتوهم بانها هي صاحبة القدرة، إذ يفترضرن بان للاسباب تأثيراً حقيقياً، ولها قدرة الخلق من العدم. ومثل هذا الشخص يضيف قدرة الخلق إلى مفاهيم زائفة مثل الطبيعة أو قوانين الطبيعة، ويفسر كل ما يراه في الدنيا تفسيراً قائماً على الصراع وعلى النزاع.

وتنعكس رؤيته هذه في نظرته إلى المبادئ التي يطبقها في الحياة الاجتماعية. وان الزعم والإدعاء بتملك مثل هذه القدرة سيؤدي لظهور الاصنام والطغاة. وان كل الآلام تولد من هذه الضلالة، وجميع انواع السعادة الحقيقية تنشأ من الإيمان المرتبط بسلسلة النبوة. وقد اظهرت رسائل النور هذه الحقيقة بايراد قياسات عديدة، وسنلقي فيما بعد نظرة على هذه القياسات.

اما الشخص الذي يقبل الأسس التي تقدمها سلسلة النبوة والدين، فانه يعرف انه شخص مخلوق وهو لا يمثل نفسه بل يمثل معنى غيره أي انه يقبل بانه ليس إلا عبداً لله. مثل هذا الشخص سيتعلم من الكتب السماوية الماهية الحقيقية لنفسه ولجميع الموجودات في الكون، ويتعلم واجباته الحقيقية.

وكما يضيف نفسه إلى صانعه ومالكه الحقيقي فانه يفعل الشئ نفسه بالنسبة لجميع الموجودات وللكون باجمعه، فقد تحول وجهه عن الوجه الظاهري للاسباب إلى المعنى الحقيقي الكامن وراءها، وسيرى الموجودات ضمن نظام للتعاون المتقابل، وضمن تسليم كامل، وتقوم القوانين السماوية

الموازية لهذه النظرة بتنظيم حياته الاجتماعية.

واضافة إلى هذا الانموذج الديني والفلسفي، فإن هناك سبباً آخر يعطي لرسائل النور ميزة متفردة عند تقديم الإسلام إلى الغرب، وهي كونها تخاطب العقل. فليست هناك عبارة واحدة ولا ادعاءً واحداً لايستند إلى دليل. فجميع المسائل التي تتناولها وجميع الحقائق الايمانية التي تبحث فيها، تقدم بشكل منطقي وفي صورة اراء مبرهن عليها. ولكن لكون معظم هذه المسائل - بسبب طبيعتها وماهيتها- مسائل عميقة ومن الصعب فهمها، فإن بديع الزمان يستعين على ذلك - كما يفعل القرآن- بايراد القياسات وضرب الامثال، وبذلك فانه يقرب المعاني إلى الاذهان كما يفعل التلسكوب، ويسهل فهمها. ويقوم بديع الزمان بايضاح جميع الحقائق الايمانية واثباتها بهذا الشكل، ويقدمها بصورة يسهل فهم معانيها والنفوذ إلى اعماقها. ذلك لأن العقل- كما اوضح بديع الزمان - كان هو المسيطر على الغرب الذي كان منبعاً للفلسفة، اما في الشرق الذي ظهر فيه الانبياء فإن القلب هو المسيطر. اما الآن فإن البشرية التي افاقت ونهضت بدأت تبحث عن الدين الحق، وهي تريد الاقتناع قبل كل شئ، واجوبة منطقية على الاسئلة الآتية: "من أين جئت؟ وماسبب مجيئي إلى هذه الدنيا؟ وإلى أين انا ذاهب من هنا؟". والحقيقة انها تريد الايضاحات المنطقية لحقائق الايمان.

العلم والدين

وهكذا نكون قد وصلنا إلى النقطة الثالثة: إذ تبين رسائل النور كيف ان القرآن لايرى أي تناقض وتضاد بين العلم وبين الدين بياناً واضحاً لا لبس فيه، وقد ابان بديع الزمان هذه المسألة منذ شبابه حيث قال بان العلم لايعادي الدين، ليس هذا فحسب، بل يجب ان يدرّسا معاً، ففي سنة ١٩١٠ عندما تناول بديع الزمان موضوع تطوير المدارس الدينية قال:

"العلوم الدينية هي ضياء الوجدان والعلوم المدنية هي نور العقل. ومن امتزاجهما تظهر الحقيقة. فبوساطة هذين الجناحين تزيد همة الطلاب. وان افترقا ظهر التعصب في اولهما والتردد والشك في ثانيهما"٤.

لقد حاول اعداء القرآن من جانب اظهار ان القرآن لايمكن ان يكون مصدراً للرقي، كما حاولوا من جانب آخر نشر المقولة الآتية "ان بعض آيات القرآن تتناقض مع العلم" وذلك لكي يهزوا ثقة وايمان الشعب به، وقام بديع الزمان سواءً في شبابه أو في رسائل النور بالاجابة على هذه الشبهات وهذه الانتقادات ووضع الدين والعلم معاً وجنباً إلى جنب.

وهذا الموضوع مهم جداً بالنسبة للغربيين. ذلك لأن العديد من الاوروبيين يعتقدون- استناداً إلى تاريخ المسيحية وتطورها- بان العلم يناقض الدين ويعاديه. بينما يصف بديع الزمان الإسلام بانه "سيد العلوم ومرشد العلوم الحقيقية ورئيسها وأبوها". بدلاً من رد العلم ورفضه، أوعزل الدين عن الحياة الدنيوية وجعل الافراد يعيشون في دائرة ضيقة من حياة معنوية ضيقة وخاصة بهم، فإن القرآن يكسبنا معرفة الله ويأمرنا في الوقت نفسه باستعمال عقولنا في عباداتنا وفي جميع صفحات ومراحل الحياة، وبذلك يفتح الطريق امامنا لكي ينقلب العلم نفسه إلى عبادة. ان العلم الذي يكشف لنا الغاية الالهية من خلق الكون والهدف النهائي لهذا الخلق، هو نفسه مهمة الإنسان ووظيفته وعبادته كذلك. والقرآن يوجه الانظار والعقول إلى هذه الغايات ويحث الإنسان للوصول إلى هذه الحقائق عن طريق العلم وعن طريق التقدم. ولكي تتضح هذه النقاط فسنلقي نظرة على الطرق التي استعملتها رسائل النور- باعتبارها تفسيراً للقرآن- وعلى السبل الجديدة التي اختطتها.

النقطة الأولى التي يجب بيانها في هذا الخصوص هي ان رسائل النور توجه الانظار إلى

الموجودات التي حوالينا وإلى الكون وتقترب من حقائق الإيمان بوساطة الكون والتأمل فيه. وهذه الناحية من رسائل النور هي تفسير لوجه القرآن المطل على عصرنا. فالعديد من آيات القرآن تحثنا على تأمل الكون وتأمل المخلوقات الموجودة فيه وطرق سيرها وعملها، كوسيلة لمعرفة الله ولمعرفة الحقائق الايمانية الأخرىكوجود الله ووحدانيته والحشر. واكثر الآيات التي تؤكد عليها رسائل النور هي هذه الآيات، لكي تبرهن على حقائق الإيمان ولرد الهجمات الموجهة نحو القرآن.

لذلك فإن طراز اقتراب رسائل النور من الحقيقة ليس غريباً من حيث الأساس عن طريقة الإنسان للاقتراب من الحقيقة، بل يشبهها وينسجم معها. ذلك لأن عصرنا هذا هو عصر العلم. وما العلم ان لم يكن استخراج اسرار الكون؟ والغربي المعاصر ليس غريباً عن الكون وعن طريقة عمله، لأنه متعود على مراقبة الكون وتأمله، ونظره متركز على الكون.

ثم ان رسائل النور تنظر إلى الكون بمنظار العلم، وهي تقوم في الاغلب بتدقيق الكون في ضوء العلوم كالجيولوجيا والبيولوجيا.

ومع ذلك فإن رسائل النور- مستلهمة في ذلك القرآن الكريم - تدقق الكون بالشكل الذي اراده القرآن، أي ككائن "لايعبر عن نفسه بل عن معنى غيره" أي ان الكون - من زاوية هذه النظرة - "كتاب كبير" ووظيفته هي الإخبار عن كاتبه. وهذا الكتاب يُقرأ وتُتأمل معانيه لكي تُفهم هذه المعاني ويُفهم خالقه.

النوافذ المفتوحة على التوحيد

ان رسائل النور التي تتأمل الكون في ضوء الوحي القرآني بينما تبرهن من جانب عن طريق هذا التأمل على وجود الله وعلى وحدانيته وعلى الحقائق الايمانية الاخرى، تبرهن من جانب آخر على استحالة مفاهيم اسس الفلسفة المادية، كمفاهيم المصادفات والطبيعة والاسباب، وعلى مدى سطحيتها وتفاهتها، وتدحض بذلك التفسير المادي للعلم. ورسائل النور تقوم بشرح ماهية الكون والنظام والانتظام السائد في كل شئ فيه، والتوازن والمقاييس الحساسة فيه، والحكمة البادية في كل شئ، وفوائده وعلاقة وارتباط صيدلية الكون بعضها ببعض، وكونها تشكل باجزائها وحدة واحدة، وتبرهن ببراهين عديدة بان جميع الادعاءات المقدمة من قبل الفلسفة المادية هي خارج أي احتمال وخارج كل احتمال . لنشرح هذا ببعض الامثلة القصيرة:

اول مثال يتبادر إلى الذهن في هذا الموضوع هو ما جاء في "الموقف الاول" من "الكلمة الثانية والثلاثين". ففي هذا المثال يقال ان وكيل أهل الضلالة يدعى بانه - باسم الأسباب والطبيعة والفلسفة - صاحب هذا الوجود بدءً من الذرات وانتهاء بالنجوم. فاذا بدأنا بالذرة ثم بكرية حمراء في أحد شرايين الجسم الانساني، ثم انتقلنا إلى احدى الخلايا، ثم إلى الجسم الانساني ثم إلى المخلوقات الاخرى، فاننا سنرى انها ترد بلسان الحكمة جميع الادعاءات التي طرحها وكيل أهل الضلالة، وتبين ان النظام الموجود فيها وفي الموجودات ككل نظام بالغ الكمال إلى درجة انه لايسمح في أي موضع باي شكل من اشكال الشرك أو التدخل. ودليل الوحدانية هذا يعطي مثالاً واضحاً كيف تقوم رسائل النور بقراءة وتأمل الكون في ضوء العلوم المادية من أجل اثبات الحقائق الايمانية ورد الفلسفة المادية.

اي ان من يكشف نظام الكون في هذا المثال ويعرفه لنا هو العلم الحديث نفسه.

اما الهامش الطويل في "الموقف الاول" الذي يصور ويشرح لنا نظام التنفس ونظام الدورة الدموية في جسم الإنسان فهو مثال آخر في هذا الموضوع.

هناك امثلة عديدة في رسائل النور في هذا الموضوع، ورد احدها تحت اسم "نكتة الهواء" والتي وصفها بانها "نكتة توحيدية ظريفة"٦. ومثال آخر ورد في "الكلمة الخامسة والعشرون" الذي شرح فيها تفسير ومآل الآية الكريمة (ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال اوتاداً)"النبأ: ٦" فعندما يقوم النورسي ببيان صفة الشمول الموجودة في الفاظ القرآن، يشير إلى أن الجميع، بطبقاتهم المختلفة- سواءً أكانوا منتسبين إلى الأدب أم إلى العلم - يأخذ كل واحد منهم حصته ونصيبه من هذه الآية، نراه ملماً بعلوم الجغرافيا والجيولوجيا٧.

واذا أتينا إلى الطبيعة وإلى الاسباب، نرى ان رسائل النور تحتوي على ادلة عديدة حول كون هذه المفاهيم باجمعها مفاهيم متهافتة، ودون أي سند أو أي اساس. ونرى هذا في الاخص في رسالته "الطبيعة" حيث يقوم بديع الزمان بهدمها تماماً بوساطة تسعة من المحالات والمستحيلات، ويبين "ان مايطلقون عليه اسم الطبيعة ليس إلا شيئاً وهمياً لاحقيق له، إذ ليست الطبيعة في الحقيقة سوى القوانين المعنوية لنظام الكون المخلوق من قبل سلطان الازل. فهذه القوانين لا تملك إلا وجوداً علمياً ولاتملك أي قدرة على الخلق".

ويقول بديع الزمان انه لو تم افتراض النظام الموجود في الكون ناظماً، والصنعة صانعاً، والقوانين الجارية فيه مصدراً للقدرة كما يفترض الماديون. عند ذلك يجب عد كل سبب بل حتى كل ذرة صاحبة علم وقدرة لخلق الموجودات كلها، أي يجب اضفاء كل صفات واجب الوجود على كل ذرة من هذه الذرات وكل سبب من هذه الاسباب، وبعبارة اخرى يتحتم على من لا يؤمن بإله واحد ان يؤمن بآلهة لا تُعد ولا تحصى. وعلاوة على هذا فإن هذه الالهة التي لها القدرة لخلق كل شئ ماعداها هي، يجب ان تتفق مع الالهة الأخربالمنافسة لها، وذلك لكي يسود ويستمر النظام في الكون. بينما لايوجد أي مكان مهما كان صغيراً، ولا أي إمكانية ولا أي احتمال لوجود أي شريك يتدخل في هذا الكون، بدءً من جناح الذبابة صعوداً إلى نظام المجموعة الشمسية. ولو كان هناك أي تدخل من قبل أي شئ غير الخالق الواحد الاحد، لادى ذلك إلى اضطراب الكون ولما بقي أي نظام فيه.

ويشرح بديع الزمان كيف ان الأسباب لا تملك قدرة الخلق، وان الخلق أمر خاص بالله بالشكل الآتي:

"ما دامت طبيعة كل شئ مخلوقة كالشئ نفسه، لأن تكونها محدثٌ – أي غير قديم - وعليها علامة الصنعة والاتقان، وان سبب وجود هذا الشئ الظاهري هو أيضا مصنوع حادثٌ. ولما كان وجود أي شئ مفتقراً إلى وسائل وآلات واجهزة كثيرة فلابد من قدير مطلق القدرة ليخلق تلك الطبيعة في الشئ، ويوجد ذلك السب له، ولابد ان يكون - هذا القدير المطلق القدرة - مستغنياً غناءً مطلقاً، فلا يشرك الوسائط العاجزة في ايجاده للشئ وفي هيمنة ربوبيته عليه.

فحاش لله أن يكون سواه القدير المستغني المتعال، بل هو سبحانه وتعالى يخلق المسبّب والسبب معاً من علوه خلقاً مباشراً، ويوجد بينهما سببية ظاهرية وصورية، ويقرن بينهما من خلال ترتيب وتنظيم، جاعلاً من الأسباب والطبيعة ستاراً ليد قدرته الجليلة، وحجاباً لعظمته وكبريائه، ولتبقى عزته منزهةً مقدسة في عليائها، ويجعل تلك الأسباب موضع الشكوى لما يتراءى من نقائص، ولما يتصور من ظلم ظاهري في الاشياء"٨.

وفي كتاب "الآية الكبرى" الذي يحكي عن سياحة كونية خيالية يقوم فيها أحد السياح بسؤال كل طائفة من المخلوقات عن خالقها، ويتعلم من كل منها بلسان فطرتها وبطور خلقها شهاداتها. وبينما

يقوم بديع الزمان "ضمن هذا الترقي العام في مدارج معرفة الله" بتعريفنا بالطريق المؤدي إلى معرفة الله بوساطة الحقائق المشاهدة في الكون وبوساطة اسماء الله الحسنى وصفاته، فانه يقوم في الوقت نفسه بالبرهنة على وجود الله وعلى وحدانيته وعلى جماله وكماله، فنراه يقول مثلاً:

"فيكون وجوده سبحانه للبصيرة اظهر من الشمس للبصر واسطع منها، فتدركه حتى كأنها تراه؛ ذلك لأن الكتاب الجميل ذا المعنى اللطيف، والبناء المنتظم المتقن، يستدعيان بداهة فعلي الكتابة والبناء، وفعلا الكتابة الجميلة والبناء المنتظم يستدعيان أيضا بداهة إسمي الكاتب والبنّاء، وإسما الكاتب والبنّاء يستدعيان أيضا بداهة صنعة الكتابة والبناء وصفتيهما، وهذه الصنعة والصفات تستلزمان بداهة ذاتاً تكون موصوفة وصانعة، ومسمىً، وفاعلة، إذ كما لا يمكن ان يكون هناك فعل دون فاعل، ولا اسم دون مسمى، كذلك لا يمكن ان تكون صفة دون موصوف، ولا صنعة دون صانع.

وهكذا يتقرر بناء على هذه الحقيقة والقاعدة ان هذا الكون - بموجوداته كافة - قد كتب بقلم القدر، وبُني بمطرقة القدرة. فكُتب فيه ما لا يحصى مما هو في حكم الكتب والرسائل ذات المعاني اللطيفة. وبني فيه ما لا يحصى مما هو بمثابة بنايات وقصور. فيشير كل واحدة منها اشارات لاحدّ لها بآلاف الاوجه، وتشهد معاً بوجوه لا حدود لها شهادات لانهاية لها على وجوب وجود ووحدانية ذات جليلة ازلية ابدية، هي "موصوف" تلك الصفات السبعة المحيطة القدسية ومعدنها؛ بالافعال الربانية والرحمانية غير المتناهية، وبجلوات غير محدودة لألف اسم واسم من الأسماء الحسنى التي هي منشأ تلك الافعال، وبالتجليات غير المتناهية للصفات السبعة السبحانية التي هي منبع تلك الأسماء الحسنى.. وكذا فإن ما في تلك الموجودات كلها من جميع اوجه الحسن والجمال وانماط النفاسة والكمال، ومن جمال قدسي يليق بتلك الافعال الربانية والاسماء الالهية والصفات الصمدانية والشؤون السبحانية ويوافقها، كل منه - بحد ذاته - يشهد وبمجموعه يشهد بداهة على الجمال المقدس والكمال المقدس لذاته سبحانه وتعالى"٩.

وصور بديع الزمان نظرة رسائل النور إلى الكون ببيت الشعر الآتي:

"وفي كل شئ له آية تدل على أنه واحد".

وهكذا فإن رسائل النور تقوم- كما يفعل القرآن - بفتح نافذة من كل شئ نحو معرفة الله. وما يميز رسائل النور عن سائر الكتب الاخرى، مثلاً عن كتب علماء الكلام، هو انه كما استطاع بديع الزمان استحصال علم يحتاج إلى عشر سنوات في سنة واحدة فقط، فانه استطاع ان يقدم اعقد الحقائق بشكل يسهل فهمها ودون ضرر. ويشبه بديع الزمان رسائل النور بعصا موسى، فاين ما ضربها تفجر من ذلك الموضع الإيمان بالله ومعرفة الله، فحتى من الذرة الصغيرة يستطيع البرهنة على وجود الله وعلى وحدانيته وعلى علمه وارادته وقدرته وسائر صفاته الأخرى بشكل يسهل على الجميع فهمه. ولاشك ان فوائد طريق رسائل النور، التي تعلم حقائق الإسلام للإنسان الغربي وللإنسان المعاصر -الذي اخذته دوامة الحياة المتسارعة، ولم تتيسر له فرصة الحصول على العلوم الدينية ولا اكتساب الثقافة الدينية- فوائد عديدة.

وفعلاً فإن من أهم مميزات رسائل النور قدرتها على ايصال اعمق المسائل الايمانية حتى إلى الشخص العامي بشكل سهل ودون صعوبة ودون ضرر. فقبل بديع الزمان لم يكن هناك من استطاع اظهار مثل هذه الادلة الحاسمة حول الحشر وحول الآخرة. وفي بضع صفحات استطاع بديع الزمان وباسلوب واضح وبراق ان يوضح موضوع القدر والارادة الجزئية وان يبرهن على

وجود الملائكة وبقاء الروح.. هذه امثلة فقط في هذا الموضوع.

وعلاوة على هذا يتناول بديع الزمان العديد من المواضيع العويصة للدين ولعالم الوجود، ويأتي بشروحات منطقية حولها، منها ذات الإنسان أو "الانا"، ومسائل الحياة والموت، وتحولات الذرات، والفعاليات الموجودة في الكون والمستمرة دون كلل، والموجودات من أين جاءت وإلى أين تذهب؟..

وكلما تفحصنا رسائل النور يصبح الكون - لمن يستطيع مطالعته - كتاباً يفشي جميع اسرار عالم الوجود.

من الشر إلى الخير، ومن الشقاء إلى السعادة

ما يمكن ذكره في هذا الخصوص هو ان الشرور والكوارث الموجودة في الدنيا تعد مشكلة في نظر الغربيين.

وتعد هذه الشرور عادة أمراً لا يمكن تفسيره، أو أمراً ظالماً لاعدالة فيه، إلى درجة أنه يؤدي إلى الشك في وجود الله - حاشاه - وأفضل الاجوبة التي أعطيت حول هذه المسائل، واكثرها اقناعاً هي الاجوبة التي أعطتها رسائل النور.

فمثلاً يبين لنا بديع الزمان ان الخير والجمال والكمال غاية اصيلة ومطلقة في الكون وفي تنظيم الكون. وكل علم من العلوم يشرح النظام والكمال الموجودين في ساحته وفي مجال اختصاصه، ويبرهن على هذه الحقيقة. اما الشر والقبح والقصور والعبثية فقليلة، وتأتي بالدرجة الثانية وهي في مرتبة التابع للآخر، وهي لم تدخل الكون بذاتها بل دخلت كوحدة قياس لكي توضح الجمال الواحد في مراتب مختلفة وبشكل منفصل ومستقل.

ثم قد يقبل شر صغير من أجل الحصول على خير كبير. فلو تُرك وسحب شر هو وسيلة لخير عميم، فمعنى هذا انه تم اقتراف شر كبير. وهذا هو سبب خلق الشرور والكوارث والشياطين وماشابه. ذلك لأن نتائج مهمة جداً تظهر في الكون بخلق هذه الامور.

ويوضح بديع الزمان فيقول بان الشرور- حتى خلق الشيطان وتسليطه على الإنسان - تكون سبباً لرقي دائم وغير محدود للانسان، فالانسان ينال هذا الرقي والتطور إلى الافضل عن طريق النضال والسباق، فهذه الدنيا ميدان امتحان، فبالنضال والسباق تتميز الارواح الشبيهة بالفحم عن الارواح الشبيهة بالماس، والا بقي الاثنان معاً وصعب التمييز فيما بينهما. لذا ومن هذا المنطلق فإن وجود الشر وخلق الشيطان لا يكون شراً، لأن وجودهما وخلقهما يؤديان إلى نتائج مهمة.

"وعلى غرار هذا فإن الصانع الجليل قد ألبسك جسماً بديعاً مزيناً بالعين والاذن والانف وغيرها من الاعضاء والحواس. ولاجل اظهار آثار اسمائه الحسنى المتنوعة يبتليك بانواع من البلايا فيمرضك حيناً ويمتعك بالصحة احياناً اخرى، ويجيعك مرة ويشبعك تارة ويظمئك اخرى. وهكذا يقلبك في امثال هذه الاطوار والاحوال لتتقوى ماهية الحياة وتظهر جلوات اسمائه الحسنى."١١

وفي الواقع فإن السعادة الحقيقية التي يسعى اليها الإنسان هي في الإيمان بوحدانية الله، وما يتبع هذا الإيمان من توكل . ويرى بديع الزمان ان أحد الأسباب في نجاح رسائل النور وفي انتشارها في جميع الارجاء يكمن في قيامها باثبات هذه الحقيقة. وبينما ترينا رسائل النور- بعد ايراد قياسات عديدة ومختلفة - الالام الناتجة عن الذنوب وعن العصيان، تقول بان الإلحاد والضلالة تحول هذه الحياة الدنيا إلى مايشبه الجحيم، كما تصور اللذائذ الموجودة في الاخلاق

الحميدة وفي افعال الخير، لتبرهن على ان الإيمان تحول هذه الحياة الدنيوية إلى ما يشبه الجنة. ومثل هذه التحاليل هي أكثر التحاليل فائدة، ذلك لأنه يكون بمقدور كل شخص تشخيص ومعرفة وضعه. ثم ان هذه المقايسات ترينا ماهية الضلالة والنتائج المتولدة عن التطلع إلى الدنيا بمنظار الفلسفة، فمن ينظر بهذا المنظار سيحس - نتيجة حال الدنيا - بالالم لحال الناس ويحس بالالم لحاله، وكل ذلك ناتج من عدم معرفة رب الكون أو معرفته بشكل ناقص وقاصر، ولو تم النظر إلى الدنيا في ضوء القرآن لزالت كل هذه الالام وشُفيت كل هذه الجروح، ورسائل النور لا تبارى في اثبات هذه الحقيقة.

الاسلوب السهل والمقنع

لا نستطيع هنا ان نمر على هذا الموضوع دون ذكر ميزة اخرى لرسائل النور، وهي الاسلوب الناعم والسهل والمقنع لها عند ايرادها لهذه الامثلة. والحقيقة ان هذه الميزة تعد ميزة رئيسية عند تقديم وتعليم حقائق الإسلام للغرب. ونقدم هنا فقرة من تفسير الآية الرابعة من سورة البقرة كمثال على مانقول، فهذه الفقرة تبين الطريقة التي اتبعها بديع الزمان، ودافع عنها عند دعوة المسيحيين إلى الإسلام.

فالقرآن الكريم يحث أهل الكتاب على الايمان، ويستعمل معهم اسلوباً هيناً ليناً حيث يقول:

"يا أهل الكتاب! انكم لن تصادفوا أي مشقة عند قبولكم الاسلام. فلا يثقل هذا على انفسكم، لأنه لا يأمركم ان تتخلوا عن دينكم تخلياً تاماً بل يقترح عليكم فقط اكمال عقيدتكم وبناء هذه العقيدة على الأسس الدينية الموجودة لديكم. فلكون القرآن جامعاً لكل جمالات الكتب السابقة ولكل القواعد الأساسية للشرائع القديمة فانه يُعد بذلك مكملاً ومعدلاً في الاصول، أي يقوم بمهمة التعديل والاكمال، وهو مؤسس فقط في الفروع التي تتعرض للتبدل وللتحول نتيجة تغير الزمان والمكان ولايوجد في هذا الأمر أي شئ غير معقول أو غير منطقي.

إذ كما ان هناك ضرورة وحاجة لتغيير المأكولات والملبوسات والادوية حسب تغير وتبدل المواسم الاربعة، وكما يتبدل طراز تعليم وتربية الفرد حسب أطوار ومراحل حياته فكذلك فإن من الحكمة ومن المصلحة تغير الاحكام الفرعية حسب الادوار والمراحل التي قطعها عمر البشرية"١٢.

وفي النتيجة نستطيع ان نقول ما يأتي: ان بديع الزمان أعطى برسائل النور افضل انموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب وشرحه لهم، وقدم بذلك للإسلام وللقرآن خدمة لا نظير لها. لأنه بتفسيره رسالة القرآن لإنسان هذا العصر، اثبت ان الإسلام هو دين العقل وهو منبع المدنية الحقيقية ورقي الانسانية وتقدمها. وفي زمن يقدم فيه الإسلام على انه دين المتعصبين والرجعيين، أو كايدولوجية سياسية أو انه يمثل بوساطة بعض الطغاة والمجرمين، قام بديع الزمان باثبات ان جميع الكمالات الانسانية ورقيها وسعادتها كامنة وموجودة في الإيمان بالله، وفي التصديق بوحدانيته، وكامنة في الإسلام الذي يمثل العبودية المطلقة والدين الاسمى.

ويرى بديع الزمان ان السيف الماسي القاطع لبراهين الإسلام يكفي لنشر رسالة الإسلام ودفع الدعوة الإسلامية إلى أعلى. فكما كتب بديع الزمان في بداية العصر يقول: "الاقناع هو الوسيلة الوحيدة للتغلب على المدنيين وليس بالاكراه والقوة وكانهم وحوش"١٣.

وكما خمن بديع الزمان بان القرآن سيحكم في المستقبل وان الغرب سيدخل إلى الإسلام على شكل دول، فإن البلاغة ستكون امضى سلاح في المستقبل "او في آخر الزمان"، أي قابلية اقناع

الآخرين بالافكار، وهذا المستقبل آتٍ لاريب فيه. وبما اننا وُهبنا طريقاً قيماً جداً في نشر رسالة القرآن، فنحن نأمل ان يتحقق الشق الأول من توقع بديع الزمان "وهو ان القرآن سيحكم في المستقبل" ان شاء الله تعالى.

---

* شكران واحدة "ماري ويلد" باحثة وكاتبة: ولدت عام ١٩٤٨ في مدينة لانكشاير في انكلترة. تخرجت سنة ١٩٨٠ من قسم الادب التركي والفارسي في كلية الاستشراق/ جامعة دورهام. اشتغلت تحت اشراف المستشرق الالماني البروفسور الدكتور باول لونت في رسالة دكتوراه عن مؤلفات "حسين واعظ الكاشفي الهيراتي" وهو من ادباء القرن الخامس عشر. اسلمت سنة ١٩٨١ بعد ان قرأت الترجمة الانكليزية لرسائل النور واتخذت اسم "شكران واحدة" وتقيم حالياً في تركيا حيث تُعدّ بحوثاً حول رسائل النور، قامت بترجمة العديد من رسائل النور إلى الانكليزية وفي مقدمتها "الكلمات". مؤلفاتها المنشورة: (الإسلام والغرب ونحن).و (بديع الزمان مؤلف رسائل النور)

١- بديع الزمان سعيد النورسي: "الخطبة الشامية" ص: ٢٠ - ٢٢
٢- المصدر السابق. ص: ٢٣
٣- المصدر السابق. "ملحق اميرداغ" القسم الأول ص: ٥٨ - ٦٥
٤- المصدر السابق. "المناظرات" ص: ٢٢
٥- المصدر السابق. "المحاكمات" ص: ٨
٦- المصدر السابق. "الكلمات" ص: ١٤٦ - ١٤٨
٧- بديع الزمان سعيد النورسي: "الكلمات" ص: ٣٦٣ - ٣٦٤
٨- بديع الزمان سعيد النورسي: "اللمعات" ص: ٢٨٣.
٩- بديع الزمان سعيد النورسي: "الشعاعات" ص: ١٨٧-١٨٨.
١٠- بديع الزمان سعيد النورسي: "مفتاح الايمان" ص: ٨٧ - ٩٠
١١- بديع الزمان سعيد النورسي: "المكتوبات" ص: ٥٤ و بديع الزمان سعيد النورسي: الخطبة الشامية ص: ٣٣ - ٣٤
١٢- بديع الزمان سعيد النورسي: "اشارات الاعجاز" ص: ٥٣ - ٥٤
١٣- بديع الزمان سعيد النورسي: "المحكمة العسكرية العرفية" ص: ٤٩

مؤتمر عام ١٩٩٥

شعار المؤتمر:

تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي

الدعوة والارشاد في الغرب

سعيد ابراهيم*

ان هذا العصر هو عصر انقاذ الإيمان بالنسبة لبديع الزمان سعيد النورسي، ورسائل النور هي آخر جيوش الإيمان ضد الكفر. وبالرغم من اعتناقي الإسلام قبل فترة قصيرة فإنني أقوم بطرح بعض آرائي في هذا الموضوع الهام حول اشكال الخدمة وشروط احراز النجاح فيها اقتناعاً مني بان بعضاً من هذه الاراء سيكون موضع اهتمام لكونها صادرة من شخص ينتمي للعالم الغربي وكان يعتنق النصرانية سابقاً. وسأحاول جهد الامكان عرض هذه الآراء من خلال نافذة رسائل النور.

١- النتيجة هي الاهم في الخدمة وليست الوسيلة:

قبل كل شئ فاننا كمنتسبين للدين الحق –الإسلام- مكلفون جميعاً بمهمة الدعوة الدينية لغير المسلمين في العالم الغربي الذي يؤلف المسلمون اقلية فيه. والواقع ان العيش في الغرب وفقاً لاحكام القرآن والسنة يعتبر بحد ذاته دعوة فعلية للإسلام. وادامة هذه الدعوة الفعلية من شأنها جذب الانظار حتماً لتصبح وسيلة انتقال إلى حقائق الإيمان بل وتصل حتى إلى تحقق الإرشاد ايضاً. ومثل هذه النتيجة ستملأ قلوبنا بالغبطة والانشراح. المهم هنا هي النتيجة وليس من كان الوسيلة لها لأن الله عز وجل يختار من يشاء من عباده ليكون وسيلة للهداية.

من الممكن تصنيف الجماعات التي تقوم بنشاطات الدعوة والارشاد الإسلامي في الغرب على الشكل الآتي: المتصوفون امثال الشيخ ناظم حقاني وادريس شاه والشيخ مظفر في نيويورك ، والشيعة امثال سيد حسين نصر والشيخ احمد ديدات في جنوب افريقية، والمحدثون مثل سيد قطب وابو الاعلى المودودي ومريدو جلال الدين الرومي وانصار الحركة الملية "الرفاه" والوهابيون . وباعتقادي فلا يوجد ما يمنع طلاب النور من اقامة تحالف مع هذه الجماعات في سبيل نشر الدعوة والارشاد. لأن القيام بتبليغ الإسلام إلى الغربيين مهمة جسيمة إلى درجة يجعل الاتفاق بين المسلمين ضرورة ماسة، لذا فان هناك فائدة كبرى من وراء توسيع نطاق التحالف . وفي هذا الصدد يقول بديع الزمان سعيد النورسي في لاحقة أميرداغ : "على أهل الإيمان ترك المسائل المختلف عليها جانباً وعدم التنازع حولها والاتفاق ليس فقط مع اخوانهم من المسلمين بل وحتى مع الروحانيين المتدينيين من المسيحيين لأن الكفر بدأ بشن الهجوم.".

وأنا أرى بان التحالف الذي طالب به بديع الزمان سعيد النورسي لمسلمي ومسيحي القرن العشرين تحقق في الاحداث التي سبقت سقوط الشيوعية. فقد عمل النقشبنديون في الشرق والبابا مع الكاثوليك في الغرب على اضعاف الأسس التي تستند إليها الشيوعية بشكل ادى إلى انهيارها وبقائها تحت وطأة اوزارها. ومن الممكن مشاهدة نفس المثال في عصر السعادة حيث عقد النبي

صلى الله عليه وسلم اتفاقات وتحالفات تكتيكية عديدة مع اليهود ومشركي مكة وغيرهم من الاعداء عندما كان المسلمون قلة. ولاشك ان في هذا المثال دروساً عديدة وعبراً.

كان لبديع الزمان هدف واحد هو إحياء الإيمان في تركيا وفي جميع انحاء العالم وعمل طوال حياته على تحقيق هذا الهدف من خلال التحالفات التي اقامها حتى مع الجماعات والاحزاب والشخصيات السلبية من الناحية المعنوية. ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى تعاون واسع النطاق من أجل انجاح الدعوة والارشاد في الأقطار الاوربية.

٢- أساليب الاقناع أفضل من أساليب الجبر والعنف.

في بعض الاحيان يكون العنف امراً لا مفر منه. فكما حدث في افغانستان ضد الروس وفي البوسنة وفلسطين فان الدفاع عن النفس كان شرطاً اساسياً ضد هجمات الطغمة الظالمة. غير انني على قناعة تامة بان نصر المسلمين في هذا العصر سيأتي عن طريق تغلبهم على اعدائهم من الناحية المعنوية. وبنفس الشكل فقد غُلب المستعمر الانكليزي على امره في الهند على يد غاندي وفي جنوب افريقية علي يد مانديلا. والحقيقة نفسها نراها في انهيار الاتحاد السوفيتي وفي سقوط الشاه رضا بهلوي في ايران، ومستقبلاً سوف نشاهد الحقيقة نفسها في الأقطار الإسلامية الأخرى باذن الله. ولاشك ان افضل مثال على هذا الاسلوب طُبق عند فتح مكة في العهد النبوي.

في الواقع ان عدد الذين يفضلون مثل هذه الاساليب التدريجية ويحبذونها عدد لا يستهان به في اجهزة الاعلام الرئيسية وطبقة المثقفين في الغرب. غير ان تطبيق هذا الاسلوب ليس سهلاً بالمرة ويتطلب حذاقة كبيرة وتخطيطاً وتنظيماً واسعين.

٣- اختيار أسلوب الدعوة الانسب حسب الجماعة المستهدفة.

يمكن توجيه الدعوة لجماعات مختلفة، وعليه يجب ان يكون هناك تباين في أسلوب الدعوة حسب المجموعة المستهدفة، وغني عن القول ان اساليب الدعوة التي اتحدث عنها محددة في نطاق العالم الغربي ايماناً مني بمقدرتي على المساهمة في هذا المجال ضمن الحدود المذكورة.

وبمقدورنا تحديد الفروقات في الغرب على النحو الآتي:

- الفروقات القومية او العنصرية.
- التمييز بين الغربيين والمهاجرين من الأقطار الإسلامية.
- الملحدون والكفار والذين لم يتعرفوا على الخالق.
- الذين لا يطبقون مستوجبات الايمان.
- مؤيدو التساهل والاهمال في الدين.
- المؤمنون
- المحافظون
- المتعصبون
- منتسبو كنيسة او منتسبو كنيس(*) معين.
- منتسبو مذاهب مختلفة "في الإسلام والنصرانية واليهودية على السواء".

ويستوجب علينا اختيار انسب الاساليب عند توجيه الدعوة لكل من هذه الفئات. وعلى سبيل المثال لنأخذ المسلمين المستوطنين في اوربا واطفالهم واحفادهم، فنحن مكلفون بالحفاظ على دينهم

(*) الكنيس: معبد اليهود. (المترجم)

وايمانهم، وبما ان شرارة الإيمان ما تزال متوقدة في قلوبهم بشكل عام فان توجيه الدعوة إلى هذه المجموعة اسهل من توجيهها إلى الغربيين، وهنا تظهر الاختلافات في وجهات نظر القائمين بالدعوة "هل يمكن تحديث الاسلام؟ هل من الممكن حدوث توافق بين الإسلام وطرز الحياة الغربية؟ هل من الممكن عيش الإسلام في اجواء شركة تجارية غربية؟ هل يجوز ترك او تغيير او تعديل بعض السنن النبوية؟

لا يفوتنا ان نذكر ان محمد عبده ومحمد اقبال وجمال الدين الافغاني وحسن البنا قدموا اجابات مثيرة للاعجاب على هذه الاسئلة. غير ان رسائل النور تتضمن باعتقادي افكاراً وحلولاً أهم وأشمل في هذا المجال اضافة إلىعدم تقديم أي تنازل عن السنة النبوية. وعلى سبيل المثال فبالنسبة لبديع الزمان سعيد النورسي فان من الواجب عدم تقديم تنازلات في الأسس الرئيسية للدين الإسلامي اما الامور الثانوية والفرعية فلا تحوز على نفس الدرجة من الاهمية.

بالنسبة للجماعات الإسلامية اصلاً فانه يستوجب تشكيل كوادر ارشاد مختلفة حسب قومية الجماعات المستهدفة. غير ان وجود كوادر ارشاد متعددة في إحدى الدول الغربية موجهة نحو الأتراك المقيمين هناك مثلاً فباعتقادي ان من شأن مثل هذا العمل الاخلال بنشاطات الإرشاد هناك ما بين الأتراك من جهة والارشاد الموجه نحو الغربيين من جهة أخرى.

أما عن الإرشاد الموجه نحو الغربيين فارى ان لا يستهدف هديهم مباشرة لأن مثل هذا الهدف سيكون تكراراً وتقليداً للموديل المسيحي ومغايراً أيضا لروح عصرنا هذا. وبدلاً من هذا علينا ان نحدد الطريقة التي يمكننا بها اثارة تفكير الغربي حول جوهر الإسلام على اكمل وجه وكيفية ملء الفراغات الموجودة في حصيلة المعلومات لدى بعض الطبقات المتدينة في الغرب والوقوف على ماهية احتياجاتهم المعنوية . اولاً وقبل كل شئ تحقيق ما ورد، عن طريق إعداد الندوات والبرامج وما شابهها. ومن المفيد في هذا المجال تقديم المعلومات واقامة الاتصالات واعداد دورات تعليمية لتأهيل كادر متمرس واقامة تنظيمات خاصة لهذا الغرض.

والجانب الاهم في الإرشاد هو عدم الخلط بين الدعائم الرئيسية للدين والمسائل الثقافية او الثانوية. وهناك امثلة عديدة لا تقبل النقاش في هذا الصدد، فمثلاً فان الانسان الغربي غير مضطر لتناول الطعام على الارض - وليس على المائدة- لكي يكون مسلماً مخلصاً. وكذلك ليس هناك ما يدعو لرفض الملابس الغربية غير المغايرة للاداب. اما اداء الصلاة في اوقاتها الخمسة واركان الدين الأخرى وعدم تناول الخمر وتحريم القمار فهي امور رئيسية لا تقبل النقاش. في هذا الخصوص يستوجب جمع شمل المسلمين من مختلف القوميات والتوصل إلى صيغة تفاهم مشترك بينهم . ولا يمكن التعامل مع مسلم غربي بنفس أسلوب التعامل المستند إلى الملامح القومية لمسلم نيجيري او عربي او تركي او باكستاني او اندنوسي. وأتساءل هنا لماذا لم يتم لحد الان اعداد كتاب "فقه الاحوال الشخصية" الذي يتضمن اركان الإسلام وتطبيقاتها المشتركة لكافة المسلمين بشكل خالٍ من تقاليد وثقافة بلد معين وبلغة انكليزية سلسة. وأنا أرى أن هذا نقص كبير.

ان أهم جانب في أسلوب الدعوة واكثره حساسية هو البداية أي مرحلة التعريف التمهيدي. وكما ورد في الآية الكريمة(وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) فان مهمة المؤمن تنحصر في التبليغ والدعوة فقط اما الهداية فهي من الله تعالى.

ولتهيئة ذهن شخص ما لتفهم وتقبل الدعوة الدينية فعلينا ان نضع نصب الاعين وضع هذا

الشخص - فبالنسبة لمسيحي مؤمن باوامر واحكام الانجيل مثلاً فان من الاوفق القيام اولاً بتعريفه ببعض أسس الفقه الإسلامي لأن هذا يمنحه فرصة للقيام بالمقارنة ويستولي على اهتمامه. اما بالنسبة لمواطن غربي غير ملتزم باحكام المسيحية فان من الانسب اشعال نور الإسلام في ذهنه بالتقرب اليه بروح تسامح عالٍ لأن مفهوم الإسلام في الغرب مقترن مع الاسف بالاصولية. لذا يجب علينا ازالة هذا الحكم المسبق من ذهنه لانه سينظر إلى الإسلام من هذه الزاوية.

ومن جهة أخرى فانه على الرغم من النفور الذي يشعر به جيل الشباب اليوم من الروح المادية الغربية فان الكنائس المسيحية عاجزة عن سد احتياجاتهم من الناحية المعنوية. لذا فان الشباب الغربي اخذوا بالبحث عن الهداية والعون في الشرق، وفي اكثر الاحايين ينجرفون نحو البوذية او المعتقدات الباطنية والباطلة. واكاد اجزم ان للقائمين بنشاطات الدعوة الإسلامية من مريدي الطرائق الصوفية حظا اوفر مع هذا النوع من الشباب لهديهم إلى دين الحق. وكما ذكرت سابقاً فان مثل هذه النشاطات هي نتيجة طبيعية في غاية الصحة لخطة محكمة للدعوة ولنشر الدين الاسلامي.

ومن الاهمية بمكان عدم تصارع وتنازع المسلمين فيما بينهم في الغرب. فاذا ما اكتشف احد الغربيين جانباً من الجوانب السامية للإسلام بفضل احد المسلمين او تعرف بمسلم واعجب به يأتي مسلم آخر ليفند اقوال الاول ويصفها بالباطل ومخالفة الإسلام ويزعم انهم وحدهم الذين يمثلون الإسلام الحقيقي. مثل هذه التصرفات يجب التهرب منها بشكل قاطع. غير انه وبمرور الزمن وترسخ الإيمان في قلبه فان من الممكن القيام فيما بين الاخوة المسلمين بمناقشة وتدارس وجهات النظر المتباينة وخصائص المذاهب في الاسلام. وعلينا التخلي نهائياً عن الخلافات والنزاعات بخصوص المسائل الدينية وخاصة في الغرب. وفي هذا الصدد تقول الآية الكريمة (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ انما امرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) . وفي سبيل ازالة مثل هذه المشاكل التي تجابه نشاطات الدعوة فاننا بحاجة ماسة إلى اعادة التنظيم مجدداً وعلينا كذلك ايضاح ابعاد الأضرار التي لحقت بوحدة الإسلام ووحدة الامة من جراء مثل هذه الامور مع كافة الادلة والامثلة والبراهين.

٤- اهمية بعض الوسائل الخاصة في الدعوة

اقصد بهذا وبشكل خاص وسائل الاتصال الجماعية والمصادر التربوية والثقافية . هذه الوسائل تلعب دوراً خاصاً على صعيدي التبشير المسيحي والدعوة الاسلامية. ومن الممكن ايجاد هذه الوسائل بكلمة "اجهزة الاعلام" و "اجهزة الاعلام الرئيسية" وفي هذا الصدد يجوز ذكر اجهزة الصحافة والاذاعة والتلفزيون والبرامج المسجلة في الكومبيوتر والأنترنيت والفيديو وتلفزيونات الكابل اضافة إلى المدارس والجامعات وقطاع السياحة في الدول الاسلامية.

وبالرغم من المعرفة التامة لأهمية وتأثير وسائل الاعلام فان الانطباع السائد عن الإسلام ما يزال سلبياً في الغرب مع الاسف. ورغم الجهود الفردية والجماعية المنظمة في هذا السبيل فقد استمر هذا الانطباع السلبي بسبب اعمال الارهاب والحركات الاصولية وعدم تحقق مساواة المرأة واعمال الظلم والاستبداد وانتهاكات حقوق الانسان. ومما يدعو الاستغراب ان عدداً من الزعماء في الدول العربية ممن لا ينسجم طرز حياتهم مع الإسلام، يتم تقييمهم كشخصيات إسلامية يحتذى بها. وأنا لا انكر كون أمثال هؤلاء الزعماء من المسلمين غير ان تصرفاتهم ووجهات نظرهم وقراراتهم السياسية لا تنسجم قط مع الاسلام.

وللتوصل إلى نتائج ايجابية من وراء نشاطات الدعوة الإسلامية في الغرب فان من الضرورة

بمكان تغيير هذا الانطباع الخاطئ . فقبل كل شئ يتحتم تنظيم المسلمين لهذه الغاية، وعلينا الاحتذاء هنا حذو خطة اليهود الاعلامية. فرغم كثرة الامثلة على الجرائم واعمال التعسف التي يقومون بها فاننا نشاهد وباستغراب كبير الإنطباع الايجابي الكبير لأجهزة الإعلام عنهم. ويعود سبب هذا الانطباع الايجابي إلى التأثير السياسي الهائل لليهود في الغرب سواء في الولايات المتحدة الامريكية او في سائر الأقطار الغربية. وكان من المفروض ان يكون تأثير المسلمين اقوى بكثير من تأثير اليهود في العالم الغربي بسبب السجايا الحميدة التي يتحلى بها المسلمون ولكن يا للأسف فهذا غير متحقق. لذا فعلينا دراسة الاساليب التي يتبعونها في مجال الاعلام والاستفادة منها لكي يتربع خير أمة اخرجت للناس في المكانة اللائقة بها في العالم الغربي ايضاً. وانني واثق شخصياً ان نجاح اليهود في هذا المضمار ينبع من التنظيم الجيد والاختيار الصائب للقطاعات المستهدفة والالتزام المطلق بالقواعد وعدم الاستناد إلى اساليب ووسائل بالية. ان الاعلام هو الطريق الاهم والاصوب الذي سيتعرف فيه الغرب على الإسلام وهو في نفس الوقت الطريق الاكثر فاعلية لنشر الدعوة في العالم الغربي. واود ان الفت النظر إلى ان أيا من وسائل الاعلام الموجودة في عصرنا هذا لم يكن موجوداً في زمن رسولنا صلى الله عليه وسلم .

بالنسبة للقائمين بنشاطات الدعوة فان المدارس تؤلف مجال عمل هام آخر. ويقوم المسيحيون بتركيز نشاطاتهم وبشكل خاص في المؤسسات التربوية من أجل نشر افكارهم ومبادئ الانجيل. وقد اصبح بامكاننا اليوم الاستفادة من المدارس في اوربا لأن معظم الأقطار الاوربية شرعت بفتح الطريق امام جميع الاديان عند تدريس مادة التربية الدينية ولم تعد تحصرها بتعليم المسيحية فقط. وعليه فقد ادرج الإسلام في معظم مناهج التدريس في اوربا. غير ان مناهج تدريس الدين الإسلامي هذه مليئة مع الاسف بالاخطاء وتستند إلى مصادر غير إسلامية وعلى آراء المستشرقين في معظم الاحايين. ويستوجب هنا في هذا المجال اضفاء طابع ايجابي سليم وعلمي على مناهج التدريس هذه مما يشكل خدمة لها الاولوية والاسبقية. ويعتبر سن المراهقة في الشباب انسب وقت وافضله في مجال الوصول إلى الهداية والتمسك بالدين وتعزيزه اما اليوم فنرى ان اعمار معظم معتنقي الدين الإسلامي تتراوح بين ٢٥ - ٤٠ عاماً، كما يلعب الزواج أيضا دوراً في هذا المجال. وعند تدقيق النظر نجد ان اعمار اعتناق الدين في المسيحية واليهودية هي بين ١٠ - ٢٠ عاماً. وعلى ضوء هذه الحقيقة تنجلي الاضرار المترتبة على عدم تدريس الإسلام بشكله الصحيح. بل وتتبين حتى النيات السيئة الكامنة خلفه. من المعروف ان الجامعات كانت وما زالت تملك تأثيراً ونفوذاً كبيرين في الغرب بشكل خاص. وبجانب الاحكام المسبقة في بعض المناهج الدراسية والآراء المغايرة للحقائق العلمية والرقابة الجزئية فان الجامعات الغربية بشكل عام لا تفرض قيوداً على حرية التعبير والبحوث . ومع ان عدد المؤسسات الإسلامية الخاصة قد تضاعفت خلال السنين العشر او العشرين الماضية فان هناك نقصا على صعيد عدد الاشخاص العاملين فيها ومستواهم العلمي مما يشكل عائقاً امام تقييم هذه الفرص المتاحة لنشر الدعوة الاسلامية. وقد ادى نظام الانترنيت الذي يعتبر نوعاً من انواع الاعلام إلى تحقيق تقارب كبير بين المجتمع الاكاديمي العالمي. ولا يوجد الآن أي عائق امام هذا التقارب غير الصعوبات الناجمة عن تعدد اللغات. ونرى اليوم ان الانكليزية اصبحت وبشكل مطرد اللغة الاكثر استخداماً سواء في الانترنيت او في الصحف والمطبوعات الاخرى. والشهرة المحدودة التي حققتها رسائل النور لحد اليوم يجب اعتبارها خسارة كبيرة. ان توسع شهرة رسائل النور لدى الاساتذة المعروفين والمتعمقين في المواضيع الإسلامية، وجعلها

مصدراً يُرجع اليه سيكون ولا شك خدمة جليلة للغاية.

ومن جهة أخرى فان توسع السياحة العالمية وتطورها حدث هام ختم القرن العشرين بختمه. وإلى جانب كون هم السواد الاعظم من السواح الجري وراء اللهو والملذات فان هناك قسما من الشباب خاصة يبحث عن سبل الخلاص وعن افكار جديدة. واحد الاسباب التي تشكل حائلاً دون الغربيين والاسلام يكمن دون شك في التباين الثقافي والاختلافات الثقافية الهائلة القائمة بينهما. وقيام هؤلاء الشباب بزيارة بلد إسلامي بمحض رغبتهم من شأنه تخفيف حدة التأثير السلبي للتباين الثقافي المذكور. وهكذا تزداد فرص تبليغ الرسالة الالهية لهم. وعليه يجب ان لا تفوتنا مثل هذه الفرص لنشر الدعوة الاسلامية، لذا فان من المفيد تناول مواضيع الدعوة معهم بشكل منظم وليس بطريقة عشوائية.

ليس من الصعب علينا ان نخمن موقف بديع الزمان سعيد النورسي بخصوص المواضيع التي احصيناها اعلاه. فقد كان طوال حياته يتعقب عن كثب التطورات الجارية في مجال الاعلام. واعتقد جازماً ان عالماً كبيراً اهتم بالامور التربوية وتنظيمات المدارس المناهج الدراسية والجامعات كان سيشاركنا الرأي في التوصيات المدرجة اعلاه ويساندها بكل ارتياح.

٥- اساليب الدعوة

لا اود هنا الخوض في تفاصيل متشعبة حول الموضوع. ففي بداية الدعوة قُدم لنا القرآن الكريم كدليل يقودنا إلى الهداية. وبصدد الموضوع الذي نتناوله بالبحث اقدم آيتين من القرآن الكريم.

(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن)

(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

وفي رسائل النور نجد اراء كثيرة حول كيفية نشر الدعوة الاسلامية. وفيما يلي اقدم بعضاً من الامثلة العديدة التي تتضمنها رسائل النور حول الدعوة وخاصة بالنسبة للانسان الغربي:

"عليك ان لا تحيد عن الحق في اية كلمة تنطق بها، غير انه ليس من حقك ان تذكر كل حقيقة. يجب ان يكون كل ما تقوله صدقاً ولكن ليس من الصواب ذكر كل ما هو صائب"١

"ان من الممكن اقامة تحالفات بين المسلمين من مختلف العقائد والمشارب واضعين نصب الاعين وشائج المحبة والاخوة والروابط العديدة المشتركة بينهم"٢

ان سرد مثل هذه الأقوال سهلة ولكن تطبيقها في غاية الصعوبة.

الآراء المدرجة اعلاه يمكن تلخيصها في جملة واحدة وهي وجوب مشاركة الأمة الإسلامية وتعاونها جميعاً في مجال نشر الدعوة كما تقول الآية الكريمة (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) .

ان الاقناع هو الاسلوب الأمثل للنشاط العملي في الدعوة كما ان اكثر الامثلة تأثيراً هي الامثلة العملية. ويجب ان يكون هذا هو الرمز الوحيد لوحدانية الله ووحدة الاتحاد الاسلامي. ومع الاسف فان المنازعات والخلافات القائمة بين المسلمين من شأنها عرقلة الجهاد. وباذن الله فان خير امة اخرجت للناس ستعود إلى احضان التوحيد مجدداً في المستقبل، وهذه العودة هي أهم شرط بل وحتى الشرط الوحيد للنجاح في نشر الدعوة الاسلامية.

٦- ملائمة رسائل النور للدعوة في الغرب وحظها في النجاح.

ليس هناك من ينكر الشهرة العريضة لبديع الزمان سعيد النورسي في تركيا لانه قدم طوال حياته

خدمات جلى للعثمانيين وللدولة التركية.

ومع ان قيمة مؤلفاته تظهر جلياً حتى بتصفحها فحسب فان هذه المؤلفات غير معروفة تماماً على المستوى الدولي. فعلى الرغم من الجهود المبذولة في هذا المجال فان عدم وجود تراجمها في البلدان الغربية او عدم القيام بتوزيعها حال دون تعرف الاساتذة والمثقفين عليها.

وسأدرج هنا عدداً من الاسباب التي تبين وتثبت ملائمة بديع الزمان سعيد النورسي وعظمته كمفكر خارج تركيا.

- يثبت وبأمثلة وادلة لا تقبل الشك امتزاج الإيمان التام بالعلم الحديث وتصديق الحقائق العلمية وتعزيزها للدين.

- يحدد ويشخص بدقة لا مثيل لها مساوئ الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ومناوئة التطورات الثقافية الغربية للدين والايمان بالله.

- كل من يطلع على ردوده للاسئلة الدينية الصادرة من اشخاص يتبنون طرز الحياة العصرية لا يملك نفسه من التصديق عليها. ورغم التجديدات العديدة التي جاء بها بخصوص اثبات الإيمان فلم يحد قيد انملة عن احكام الكتاب المبين والسنة السنية.

- يقوم بتشذيب وتعديل مواقف المؤمنين بشكل خاص تجاه الديمقراطية والسياسة والروح القومية يضع بعدها نظماً فكرية جديدة لها.

- يقوم بديع الزمان سعيد النورسي باكتشاف طرق واساليب النشاطات التي بُرهن من قبل على نجاحها ويطرحها على بساط البحث مجدداً في مجال الاصلاح المعنوي للمؤمنين خارج نطاق الطرائق الدينية.

- إلى جانب قبول الجوانب الايجابية للحضارة والتكنولوجيا والعلوم الحديثة فان سعيد النورسي يضع اساليب جديدة لاحياء الدين وتعزيز العالم الإسلامي والوقوف بوجه الهجمة الشرسة للعلمانية الغربية وتيار التحديث.

ومن الجلي والواضح ملائمة هذه الآراء في مجال نشر الدعوة الإسلامية في الغرب.

٧- الخاتمة:

هناك مصطلح شائع في دنيا الاعمال التي اعرفها جيداً وعن كثب وهو:"لا يصل إلى الهدف من ليس لديه هدف" هذا المصطلح يشبه إلى حد بعيد قول بديع الزمان سعيد النورسي "اذا غابت الغاية أو نُسيت فان الاذهان ستدور باستمرار في فلك الانا". ولا شك ان هدف الدعوة هو تحقيق هداية الغربيين في الاكثر اضافة إلى احياء الإيمان في قلوب المسلمين المقيمين هناك. وللوصول إلى الهدف النهائي نحتاج إلى مرور جيل كامل من المسلمين المقيمين هناك وثلاثة اجيال من الاوربيين في الأقل.

لا اعرف ما اذا كانت جماعة النور ستستفيد من افكاري وآرائي المدرجة اعلاه ولكني اود ان الفت الانظار ثانية إلى نقطتين هامتين:

النقطة الاولى: بما ان عقد التحالفات والاتفاقات مهم جداً في التنظيم فان على طلبة النور في قارتي اوربا وامريكا اقامة اتصالات مستمرة وعلاقات تعاون مشترك مع الجماعات والمؤسسات الاخرى. وبرأيي فليست هناك فائدة من وراء اقامة طلبة النور لمؤسسات مستقلة في الأقطار الغربية عدا المانيا، بل ارى فيها محاذير جمة بسبب كونهم اقلية هناك. ولا يعني هذا تخلي طلبة النور عن هويتهم وافكارهم. يكفي ان يعرف الخالق كنههم وهم يقومون بمهمتهم المقدسة على اكمل

وجه ، لذا فلا بأس هنا ان يعرفهم معظم اخوانهم كأخ مسلم فحسب.

في هذا المجال يمكننا القيام بمساهمة فعلية ومباشرة الا وهو اعداد ترجمة كاملة لرسائل النور إلى اللغة الانكليزية التي تعتبر اللغة الاكثر انتشاراً في العالم والاتفاق على استراتيجية اعلامية متكاملة للتمويل والتوزيع والاعلان واقامة الاتصالات مع الجامعات . وبهذه الصورة سنتمكن من تعريف رسائل النور مما يشكل بحد ذاته خدمة كبيرة جداً في مجال نشر الدعوة الإسلامية في العالم الغربي.

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم

---

* سعيد ابراهيم: هولندي ولد في سنة ١٩٥٣ في امستردام عاصمة هولندا، وتخرج في كلية الاقتصاد في روتردام سنة ١٩٧٤ . يعمل منذ عشرين سنة في شركة شل العالمية. قضى اكثر عمره في خارج بلاده بمقتضى عمله، منها انكلترا عدة مرات، وفي دبي بين سنة ١٩٨٣-١٩٨٦ وأسلم في استانبول سنة ١٩٩١ - ١٩٩٤. نشأ في عائلة نصرانية. واهتدى إلى الإسلام في تركيا بداية سنة ١٩٩٤ بعد اطلاعه على رسائل النور وتعلم اللغة التركية في زمن قصير، ويتقن الانكليزية والفرنسية والالمانية فضلاً عن الهولندية. متزوج وله ثلاثة اولاد. يعمل الآن في شركة شل بانكتلرا بمهمة منسق التمويل.

١ مكتوبات- المكتوب ١/٢٢- ٤

٢ لمعات ١/٢٠- ٢

بديع الزمان مفكر العصر الحديث

جاجليا مريم دمير *

أيها السيدات والسادة الكرام، أخوتي الاحباء.

لقد نشأت في اسرة كاثوليكية في المانيا. والآن عندما اتحدث مع أي شخص من ابناء وطني، ألمانياً او مسلماً، يوجهون لي مباشرة او بعد فترة قصيرة السؤال الأتي: "منذ متى وأنت مسلمة؟".

وعندما اجيب "إنني كنت دوماً مسلمة"، فإن ردود فعل غير المسلم والمسلم تكون كبيرة ومدهشةً.

بالطبع إنهم ينتظرون مني ان أقول منذ كذا سنة. لكن هذا السؤال يشمل أشياء كثيرة.

والمسلمون يشاركوننى الرأي في جوابي بعد تفكير قليل. أما غير المسلمين فعندما يتعلمون معنى "الولادة على الفطرة" يتغير رد فعلهم على هذا الجواب.

والمسلم من ينتسب للاسلام، والمؤمن من يستسلم لله. وانا كنصرانية يمكن ان أتخذ مثل هذا الموقف. يعني أؤمن بالله واسلم. وكل مسلم يعرف ان كل مولود يولد على الفطرة ويجئ إلى الدنيا مؤمناً.

إن المواقف الاساسية والقطعية للناس مختبئة وراء هذه الاسئلة. ويريد الناس وضع الآخرين داخل قوالب معينة.

وهي قوالب معينة رسمها الناس لانفسهم وتعلموها من الحياة والمجتمع والبيئة والتجارب. وبهذا يبسط الناس الامور. وهكذا يظهر خطر وضع الآخرين داخل قالب بسيط. وقد روي حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم على شكل سؤال في هذا الموضوع :"وهل شققت قلبه؟".

وبالنسبة لي إن هذا السؤال يخاطب التسامح الموجود في اعتقادنا بشكل خاص. ويظهر أمامنا في القرآن والسنة ان التسامح والصبر من السلوكيات التي يجب اتخاذها تجاه الآخرين لقيمة الصدق والمرحمة التي هي من المبادئ التي يضعها الإسلام فوق كل شئ، ومقبولة عند المسلمين.

وعلى الرغم من هذا، فإن الناس في العالم الغربي- وحسب الثقافة الغربية النصرانية- يدّعون انهم يحبون مساعدة الآخرين، وأنهم أصحاب مرحمة، وتمثال السلام، وأن غيرهم، يعني المسلمين، غير متسامحين، ويتخذون سلوكاً سيئاً تجاه الاديان الآخرى. إن العالم الغربي يتهم الإسلام بانه دين تعصب، وان افكار المسلمين وسلوكهم ضيق وتعصبي. كما يدّعون أنه لا توجد حرية دينية في الاسلام، وأنه لا مكان للحقوق المقبولة للناس في الاسلام.

نعم نحن المسلمين نتعرض إلى هذه الاتهامات الشديدة في العالم. فهل المسلمون أنانيون بهذا القدر حقيقة؟

وهل كونهم مشغولين بأنفسهم بكثرة إلى درجة أنهم لا يحاولون ايجاد الحلول للقضايا المتعقلة بالمواضيع العالمية؟

هل هناك نقص في التربية وفي توفر الإمكانيات المادية؟

إن أول شئ تعلمته حول الإسلام هو استخدام عقلي والبحث عن كل شئ وفهمه. وتعلمت البحث في المواضيع الدينية. وذلك لأن الاعتقاد قضية لا تتعلق بالقلب فقط، وانما تتعلق بالمنطق أيضاً.

القرآن لا يريد تصديقاً أعمي، بل يطلب منا ان نعرف مسؤولياتنا، ونفكر بالخلق وان نشاهد ان

وراءه خالقا.

إن كل إنسان يسعى لايجاد الاجوبة للقضايا الاساسية للانسانية، مثل معنى الحياة، ولماذا نوجد في الارض، ولماذا توجد هناك امراض، وبلايا ومصائب ...إلخ. بالطبع إن لم يتجاهلها الانسان.

لقد وجدت في الإسلام اجوبة مختلفة لهذه الاسئلة توسع أفكاري وشعوري وتفتح افقي. وقد وجدت خزينة غنية جداً حول كاتب كتاب الطبيعة وخالقه الذي يعرّفه لنا باسمائه في كتابه هذا.

وهو دين، يتحد مع العلوم وخاصة العلوم الطبيعية ويتم أحدهما الآخر، وكل علم ومعرفة في الكائنات توصل إلى ذات الواحد الأحد. وقد ادهشني شموله العالمي واساسه. وقد تيسرت لي فرصة معرفة حقيقة الخالق والخلق، ومعرفة الإسلام ورأي العالم حوله منذ البداية وكنت اشعر كأنني اعرف هذه الحقائق دائماً والآن اتعلم تعريفها بأجمل شكل.

وقد كانت هناك محاضرات إسلامية تُنظم في المانيا تحت شعارات مثل "الاسلام، الدولة الأجنبية" وهدفها هدم الحكم المسبق على المسلمين والتفاهم المتقابل. وأود ان ابين هنا ان الذي هداني لعالم العقيدة هو بديع الزمان سعيد النورسي. لكنني سأتناول اثاره بعد قليل.

وبعد ذلك عندما التقيت مع المسلمين الآخرين في الندوات، واجتماعات النساء بهدف تعلم شيئ حول الدين في هذه الاجتماعات، لفت انتباهي أمر وهو إن ما يناقش ظاهري وشكلي، ولم يتم النزول إلى لب القضايا بشكل جدي.

إن مناقشة المواضيع الاصلية الدائرة حول قاعدة ما، مثلاً، مواضيع النظافة، وطول اللباس وشكل الزي، والمواد الاضافية في المواد الغذائية، وكونها من لحم الخنزير او شحمه، جلب انتباهي كثيراً. لم أكن اعتقد ان هذه المواضيع ستشبع روحي.

لا شك ان تعلم الاوامر والنواهي امر مهم، لكن يجب الانتباه كثيراً في تقييمها وتطبيقها حسب الاوضاع، ويجب عدم التغاضي عن الغايات الاصلية للقواعد والاهمية التي تحملها. كما ان هناك خطر سوق بعض الناس إلى الوسوسة والاختلاف دون حاجة لها. ويمكن ان اقدم هذا المثال:

أنا أعتقد أنه يجب التفريق بين حكم تحريم لحم الخنزير الذي وضعه القرآن عن التحريم الذي وضعه الناس على انفسهم.

يقول القرآن في سورة الاعراف في الآية ١٩٩ (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين). لكن الذي شاهدته انا ان الشيخ كلما كان صلباً ومتعلقاً بالنواهي والمحرمات يُرى متديناً أكثر. مع أنه يجب ان يكون العكس هو الصحيح.

وفي النتيجة، ان الاشتغال دوماً بهذه الفرعيات التي تظهر المنظر الخارجي فقط، تجعل اعتقاد الشخص يرتبط بها، ويظهر خطر إهمال لب الدين.

وبالطبع يكون أحياناً ترك تناول اللبن الذي يحتوي الجلاتين، اسهل من اشتغال الشخص بنفسه، وتشكيل شخصيته ، وعن الاخلاص وحب اخوانه، وتنشئة ابنائه والقيام بمسؤولياتهم.

والشئ الآخر الذي شاهدته هو ان ابناءنا ينشأون في فراغ روحي ومعنوي. وان كثيراً من الآباء ليسوا على المستوى الذي يستطيعون نقل العقيدة الصحيحة لأبنائهم. وإن اثمن سنوات الطفل الذي يستطيع تعلم كل شئ فيها بسهولة تنقضي دون تعلم أي شئ.

وكثير من الآباء والامهات لا يعرفون سوى بعض العادات والقواعد الشكلية والاوامر حول دينهم. وعلى الرغم من ذلك كله، يريدون نقل التدين لابنائهم، ويطالبونهم بتطبيق هذه القواعد بشكل اعمى وتعصبي. وهذا الموقف في المانيا يترك الآخرين والمعلمين والمربين للنقد و جهاً لوجه،

وهذا السلوك يخالف طراز التربية في القرآن الكريم.

إن منهج القرآن ليس على شكل: "هذا ممنوع، وهذا غير ممنوع، وانت مضطر لتطبيقه". بل يخاطب العقل مرارا وتكراراً، و يعرض الاوامر والنواهي بشكل بحيث يسوقنا للتفكير "أليس هذا هو الأصح؟" ويخاطب المنطق. وعلينا ان نقبل ذلك ونفهمه ونعرف مسؤولياتنا.

وبهذا نستطيع القيام بواجباتنا على شكل افضل، وعندها نشكر الله على أوامره، وعلى أصغر قواعد شريعته.

والإطاعة العمياء لا تكسب شخصيتنا أي شئ . وهذه الاطاعة العمياء تجلب التحديد، ولا تترك الإنسان حراً. مع العلم ان العقيدة والدين يجلبان الحرية.

إن السلوك الحساس المستند إلى المنطق والعقل، يحافظ على الشخص من الافراط في القضايا الدينية، وان اتخاذ هذا المقياس متوازناً يكسب معرفة التفريق بين النقاط المهمة والنقاط غير المهمة.

وقد شاهدت كثيراً من الناس ضاعوا في متاهات الفروع وكثرة الإيضاحات، أي إننا نضيّع زماننا وطاقتنا باتباع الفرعيات ومناقشتها. والقضايا الاصلية بقيت دون حلول.

إن كثيراً من علماء الفقه ورجال الدين معاندون وحديون، وغير مرنين في آرائهم وغير صابرين تجاه أي انتقاد.

إن طراز تفكير معظمهم بسيط جداً. وليس امامهم سوى بعض الخيارات مثل "نعم" أو "لا" و "ممكن" او "غير ممكن". ولسنا معتادين على تقييم قضية ما بوضع جميع وجهات النظر بعين الاعتبار ووزن فوائدها واضرارها. لكن وكما بينت في البداية انه لا توجد أسئلة سهلة دوماً مثل "الولادة على الفطرة" ، وأن الاجوبة لا تكون بسيطة جداً أيضاً.

إن مشكلتنا ليست كوننا غير مسلمين. والمسلمون يشكلون أكبر تجمع بعد النصارى. لكن إن قول الانسان انا مسلم لا يعني انه إنسان جيد ومسلم جيد.

ومن طرف آخر إن معظم المسلمين ليسوا قادرين على تحليل الاحداث الحساسة جداً في موضوع الدين من زاوية نظر دينية. وفي النتيجة لا يفهم معظمهم النقطة المهمة جداً في الحقيقة، ولا يجدون الجهة التي عينها الاسلام. إن مشكلتنا كما بينت، هي عدم الاستقامة والانشغال بفرعيات الدين.

وكلما أغلقت ابواب المنطق والعقل والدين، تبقى الابواب مفتوحة للتعصب الديني. والتعصب لا يتفق بأي شكل من الاشكال مع الدين، ويخالف العقيدة لأبعد الحدود.

وهناك حديث للرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"هلك المتنطعون" قالها ثلاثاً"(مسلم، العلم ٧، أبو داود ، السنة : ٥)

ويمكن ان نطيل قائمة الامراض التي يعيشها المجتمع المسلم.

كيف سنخرج من هذه القضايا ؟ "كيف سنتناولها؟يقدم بديع الزمان سعيد النورسي لنا أجوبة بشكل واضح وقطعي مترشحة من القرآن مباشرة.

وإن خدمته هذه هي توجيه الانظار إلى اللب والهدف الاصلي، والتوجه إلى الغاية الاولية للدين.

نعم هناك كثير من الناس لا يعرفون الدين. الدين ليس ايديلوجية سياسية، بل هو يعين وجهة الضمير، قضية وجدانية تتعلق بذات كل إنسان.

الدين هو كما بيّن بديع الزمان، أمانة مقدسة يحملها كل شخص. لذلك يجب عدم استخدامها بشكل

سيئ ابداً، وفي أي مجال كان.
إن آراء بديع الزمان وافكاره تساعدنا نحن المسلمين الذين نعيش في الخارج على تأسيس الحوار مع الناس الآخرين ومع المجتمع الذي نعيش فيه.

لقد تغيرت آراء النصارى

خلال الفترة التي قام فيها النصارى بشكل خاص بدراسات حول الاديان من أجل مفهوم الاخلاق العالمي، لا نستطيع الخروج بمواجهة النصارى بآراء مصبوبة في قوالب جامدة "مثلاً الادعاءات المتبقية عن الاجداد: عقيدة التثليث، او عيسى ابن الله، الولادة آثماً.. الخ". ولا نريد ان نترك انطباعاً سيئاً، وإذا استطعنا ان نواجه الاحكام المسبقة والجهل بشكل مؤثر، عندها سنوفق في الاجابة على أسئلة العصر مع النصارى بشكل بناء.
والحقيقة إن القرآن وضع تحت ايدينا كل شئ من أجل الحضارة الحقيقية، وان اول المبادئ التي تفيدها هي الصدق والرحمة.
وقد حلل بديع الزمان القرآن لنا من أجل هذا القرن، ووضح لنا برسائل النور الطريق الذي رسمه القرآن للمستقبل.
وقد أحيت رسائل النور القيم الحقيقية للإسلام مثل الإيمان بالله الواحد، ورحمة الله، والعبادة، والحشر والآخرة، ومسؤولية كل انسان، والصدق والاخوة واتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم وإقامة الفرائض وترك المعاصي وغيرها.
إننا مضطرون لإيضاح مفهومنا الديني للآخرين وذلك باجراء الحوار مع المجتمع، ويجب ان نضع أمام الانظار المجتمع ومشكلاته.
ولكي نستطيع تصحيح الشكل الكاريكاتوري للإسلام الذي تشكّل بالحكم السطحي المسبق والظاهر في افكار إخواننا الذين نجري معهم الحوار، يجب الوقوف عند النقاط الاساسية للدين وماهيته الحقيقية. وعلينا ان نأخذ الدروس منها.
إذا تأثر الشخص الذي نحاوره بهذا التبادل الفكري الذي معناه "توطيد الاخوة"، نكون قد توصلنا إلى الشيء الكثير.
إنني أسأل نفسي كيف سننجح في هذا الحوار لو لم تكن رسائل النور موجودة، وهل كنا نستطيع ان نجري تبادلاً فكرياً له هدف معين مع الآخرين؟
ذلك لأن رسائل النور تعطي بعداً مختلفاً بطراز السؤال الجديد حتى لعلماء الإسلام الذين قضوا عمرهم في تعلم دقائق دينهم.
فمثلاً لقد أعددنا قائمة الدساتير الآتية من أجل توحيد الجهود مع الناس الذين يرجحون عقائد وآراء مختلفة، وذلك بالإستفادة من بحث موضوع الصدق في رسائل النور.
وكلما التقينا مع الناس من اصحاب العقائد الآخرى، ،مثلا مع ممثلي الكنيسة، ومع الذين يهتمون بهذا الحوار، كانت هذه الدساتير تشكل مواضيع النقاش، وهي لا تزال هكذا. والآن اريد ان انقل لكم هذه الدساتير:

حول التعاون بين المؤمنين في موضوع الصدق

١- الحركة الايجابية، يعني عدم معاداة الآراء الأخرى بسبب حبك لرأيك.
٢- يجب التفكير بوجود روابط الوحدة ومدار الوحدة والاتفاق، مع أي مشرب من المشارب والاتفاق معها.
٣- قبول الدستور الآتي لنفسك: إن كل شخص يدافع عن فكر ما يملك حق القول "إن رأيي هوالاصح". لكن لا يستطيع الايماء بأن رأى الآخرين ظلم او قبح مثل "الحق هو رأيي فقط" او "الجميل هو مشربي فقط".
٤- التفكير بأن الاتفاق مع أهل الحق هو سبب التوفيق وهو مدار العزة في الدين.
٥-الدفاع عن الحق تجاه الباطل.
٦- حسن الظن بالآخرين ما لم يثبت العكس.
٧- السعي لكسر الانانية.
٨- الابتعاد عن الغرور والكبر.
٩- الابتعاد عن سوء الظن الذي يحرك العواطف بشكل مقصود او غير مقصود.
١٠- عدم جرح شعور الآخرين أو اثارتهم ، وعدم السماح للمراء وللنقاش.
١١- الحب والاحسان والعفو.

وعلينا ان نهتم بتطبيق هذه الدساتير كأهل الحق بسبب حبنا لله وللناس. وخلال ارتباطنا مع الآخرين علينا ان نضع امام الأعين ان القرآن يخاطب كل مؤمن بالله يهودياً كان ام نصرانيا ام مسلماً، ومن أي دين كان، وانه امر ان يكون هؤلاء في حالة تنافس لعمل الخير. وذلك لأننا سنرجع جميعاً إلى الله. وإن المتنافسين في سبيل الحق والعدالة وأعمال الخير لن يخيبوا ابداً لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وخلال لقاءاتنا مع النصارى عندما انتقل إلى الحديث عن صداقتنا معهم، لن انتقل إلى الموضوع دون ذكر توضيح لحديث قام بشرحه سعيد النورسي. واريد ان اذكره لكم:

" لقد ثبت في الحديث الصحيح ان المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فاهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي" اللمعات/ ٢٢٩

وإذا قيّمنا الموضوع من زاوية حوارنا، وبهذه المعطيات كنا موجودين في Baden Württembery في المانيا. لقد قال لنا ممثلو الكنيسة هناك ان لا نستعجل، وانهم لم يصلوا بعد إلى هذه النقطة من الفهم.

ولو كنا نحن المسلمين اكثر وعياً، ولو نذرنا انفسنا للقضايا بهذا الشكل، لاضطرت الكنيسة والمجتمع لتغيير آرائهم. ذلك لأن الحكم المسبق لا يزال معمولاً به: الإسلام غير متسامح ويظلم المرأة.. الخ..

إن الذي نريده، هو زيادة عدد المسلمين الواعين والذين يعيشون عقيدتهم. وخاصة إنه من المهم ان يكونوا واعين.

والحقيقة إن هناك تطورات وتحركات متفائلة في تركيا. إن المجلات الدينية، والبرامج العديدة للتلفاز والراديو التي تطرح نقاشات ذات ثقل معنوي.

إن آثار بديع الزمان سعيد النورسي التي تفتح الباب للإسلام والقرآن والايمان لم تصل لكل الناس بعد. ولم يخصص الناس وقتا لتشغيل وتحريك عقولهم بآثار بديع الزمان سعيد النورسي. وذلك لأن هذه الآثار على مستوى عالي لغوياً ومعنوياً. وهنا يجب طباعة كتب على شكل ترجمة واختصارات قصيرة ومفهومة.

ويجب زيادة عدد المسلمين الذين يستفيدون روحياً من رسائل النور، كي يعملوا بالقيم المعنوية الكامنة فيها، وكي يتخلصوا من وضعهم المزري من أجل مستقبل زاهر.

إن معرفة حياة بديع الزمان، يعني معرفة أفكاره، وليست معرفة هذا الانسان العظيم فقط، بل إننا قبل كل شئ نتعلم منه الإسلام، ونتعلم أسس هذه العقيدة.

لقد بدأت العمل بهذا المعنى مع زوجي، واعددنا سيرة ذاتية قصيرة لسعيد النورسي.

لقد عرفت الإسلام به وأثريت ديني وعقيدتي، وقد شعر بنفس الشعور كل من قرأ هذا الكتيب، وواجهه بتأثر عميق.

وأخيراً اريد ان اوجه هذه الدعوة لإخواني:

علينا ان لا ننسى ابداً، ان مبدأ المرحمة والعدالة في الإسلام فوق كل شئ، وليس من حقنا ابداً ان نجرح الآخرين أو نحرجهم بسلوكنا او كلامنا.

واريد ان اقول الكلمات الآتية باختصار حول رسائل النور:

لولا الله لما كان ايمان.

ولولا الإيمان لما كان دين.

ولولا الدين لبقيت اسرار وخفايا الكائنات دون حل

نرجو الله ان يهدينا إلى الصراط القويم.

---

* جاجليا مريم دمير "باحثة وكاتبة": ولدت في مدينة Edingen في المانيا سنة ١٩٦٢م. بعد ان اكملت دراستها الثانوية تخرجت في مدرسة المعيدين للهندسة العالية والكيمياء التقنية.

ومنذ سنة ١٩٨٢م وهي تكتب بحوثاً حول الدين الإسلامي في مختلف المجلات باللغة الالمانية كما نشرت باللغة الالمانية كتابين احدهما السيرة الذاتية لسعيد النورسي والآخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قامت بنشاطات لقبول الجمعيات الإسلامية والدين الإسلامي بشكل رسمي في المانيا. وهي متزوجة وأم لولدين.

مؤتمر عام ١٩٩٨

شعار المؤتمر:

نحو فهم عصري للقرآن الكريم: رسائل النور أنموذجاً

كتاب الكون
موقعه وتطوره في فكر بديع الزمان

بقلم: شكران واحدة

المقدمة

عندما يتناول بديع الزمان سعيد النورسي الكون بالبحث يستعمل تشبيهات ومجازات عدة مثل " معرض "، "مضيف"، "قصر". ولكنه في نهاية المطاف " كتاب". أي أن تشبيهه للكون بشيء "يُقرأ " يُعد علامة فارقة لرسائل النور وتعريفا ورمزا لها. ويقوم بديع الزمان في رسائل النور بتأكيد ماهية العلاقة المتكاملة بين القرآن الذي هو " كتاب صفة الكلام " وبين الكون الذي هو " كتاب القدرة ". ويحول بديع الزمان أنظار قرائه إلى الكون على الدوام ويدلهم على كيفية القيام بقراءة كتاب الكون على الطريقة القرآنية، وعلى كيفية فهم دلالة جميع المخلوقات على المعاني التي لاتعد ولا تحصى، ليستخرجوا الدروس التي يشير إليها القرآن الكريم. إذن فمفهوم قراءة " كتاب الكون " بتأمل وتفكر [٢] يشغل مركز رسائل النور، كما يشغل قلب " الطريق الموصل إلى الحقيقة " الذي فتحه بديع الزمان.

في هذه المحاضرة سأقوم بشرح هذا المفهوم وكيفية استعماله في رسائل النور، وبيان العلاقة الموجودة بينه وبين القرآن الكريم، وكيف أنه يرمز إلى طريقة رسائل النور في الفهم العصري للقرآن الكريم. وعندما أقوم بهذا سأتطرق إلى تعريف بديع الزمان نفسه وعن مسيرة تطور فكره في هذه المسألة. وفي هذا السياق سأقدم أولا بعض المعلومات عن حياة " سعيد القديم " لمعرفة السبب في قيامه بإختيار هذا الطريق وهذه الطريقة. وستحتوي هذه المعلومات على الخطوط الرئيسة لتحول " سعيد القديم " إلى " سعيد الجديد " وعلى التطور الذي حدث في أفكاره نتيجة هذا التحول. ثم أتطرق بشكل موجز إلى العلاقة المتكاملة الموجودة بين القرآن وبين الكون. ويعقب هذا قسم بعنوان " كتاب الكون ووظائفه ومعانيه".

لماذا كتاب الكون ؟

نعرف من حياة النورسي أنه كان يحس منذ طفولته وشبابه - أي منذ حياته المبكرة - بالحاجة إلى تجديد شامل وجذري في كثير من الساحات المتعلقة بالاسلام، ولا سيما فيما يتعلق بتدريس الاسلام وتعليمه. اذ كان يحس غريزيا بعدم كفاية الطرق التعليمية الموجودة آنذاك، وهذا قاده في السنوات التي تلت هذه المرحلة إلى تقديم مقترحات تجديدية في التعليم تستند إلى تدريس العلوم الحديثة جنبا إلى جنب مع العلوم الشرعية التقليدية. وكانت الساحة الاخرى لإهتمامه القيام بعملية التجديد في ساحة علم الكلام، الذي أصبح عتيقاً وغير قادر على مجابهة تحديات تقدم العلوم العصرية، ولا مجابهة الهجوم المتزايد على الاسلام بإسم العلم والتقدم. وبأخذه هذا الهدف بنظر الاعتبار نراه - خلافا لجميع العلماء آنذاك - يقوم بدراسة علوم الفيزياء والرياضيات دراسة جيدة[٣].

قام بديع الزمان بطبع العديد من الكتب التي تناولت أهم المشاكل التي يجابهها الاسلام حسب

رأيه وقدم فيها الحلول لها فقد ذكر في كتابه "المحاكمات" "١٩١١" الذي يُعد من أوائل كتبه بأن أهم عائق يحول بين العالم الإسلامي وبين التخلص من تخلفه الشديد هو التناقض المزعوم بين بعض مسائل العلم الحديث وبين بعض "ظواهر" الاسلام. وأظهر زيف هذا الأمر مع تناول عدد من المسائل الاخرى ومن ضمنها التناقض المزعوم بين العقل والمكتشفات العلمية وبين بعض الايات القرآنية. وبهذا استهدف بديع الزمان الاشارة إلى " الصراط المستقيم للإسلام "وكذلك الإجابة على كل من " أعداء الدين " ويعني به الفلاسفة الماديين و " الظاهريين "، أي بعض العلماء " الشكليين "[٤] وفي الوقت نفسه صور الكون ووصفه بأنه " كتاب "، وأشار إلى علاقته المتبادلة مع القرآن. ذلك لأن القرآن كشف عن القوانين السارية في الكون، لذا فهو المصدر الحقيقي الوحيد للتقدم. وعلى أي حال فقد كان مثل سعيد الجديد موفقا في شرح وتفسير كتاب الكون فقد كتب يقول:

ان "القرآن المعجز البيان: الذي بيّن بقواعده - من كتاب العالم - قوانين الله العميقة الجارية بيد القدر، المسطّرة بقلم الحكمة على صفحة الوجود، فيحقق باحكامه العادلة رقي البشرية وسمو نظامها ودقة اتزانها، فاصبح حقاً مرشداً وهادياً إلى سواء السبيل". [٥]

كان الاهتمام الرئيسي للشاب بديع الزمان هو القرآن وإثبات وشرح طبيعته الإعجازية بطريقة مناسبة للحاجات المعاصرة.وفي رسالة من الرسائل التي أدرجها في كتابه " ختم التصديق الغيبي " شرح وأبان عن رد فعله أمام المخاطر الموجهة ضد القرآن وضد المجتمع الإسلامي في منعطف العصر فقال:

"وغيّر إهتمامه من جراء هذا الانقلاب الفكري فيه.. جاعلاً جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه مدارج للوصول إلى إدراك معاني القرآن الكريم واثبات حقائقه. ولم يعرف بعد ذلك سوى القرآن هدفاً لعلمه وغاية لحياته. واصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلاً ومرشداً واستاذاً له" [٦] ولكنه يعترف آسفا في دوام الرسالة بأنه تأخر في حمل هذه الوظيفة عندما أفاق واستيقظ على صوت إنفجار وضوضاء الحرب العالمية الاولى. ويشير إلى إفاقته هذه في رسالة أخرى حيث يشرح فيها كيف أدرك أنه مكلف ببيان إعجاز القرآن.[٧]

وفي "إفادة المرام" الذي كتبه لمقدمة تفسيره المشهور "إشارات الإعجاز" - الذي بلغ من إدراكه لأهميته وعدم جواز تأخيره أنه استمر في كتابته وهو يقاتل الروس الغازين في الخنادق الاولى - ذكر بأنه امام التقدم السريع للمعرفة والناشيء من المكتشفات العلمية فأنه من الضروري وضع تفسير " شامل وصحيح للقرآن الكريم "لابد لكشف معاني القرآن وجمع المحاسن المتفرقة في التفاسير وتثبيت حقائقه - المتجلية بكشف الفن وتمخيض الزمان - من انتهاض هيئة عالية من العلماء المتخصصين، المختلفين في وجوه الاختصاص، ولهم مع دقةِ نظر وُسْعةُ فكرٍ لتفسيره".[٨] ويُفهم من هذا بأنه يصرح بأنه لا يمكن شرح الحقائق القرآنية إلا بمعرفة العالم المادي في ضوء التقدم العلمي. وفي تفسيره هذا الذي أمل أن يكون أنموذجا للتفاسير المقبلة نراه يشرح بأن ما اكتشفه العلم في المقام الاول من النظام الموجود في الكون وفي الكائنات متلائم تماما مع الايات القرآنية ولا يتناقض معها أبدا.

نستطيع أن نقول بإيجاز بأن بديع الزمان أدرك - منذ عمره المبكر - حقيقة عصر العلم وتطبيقاته في المعاهد وفي نظم التعليم والتربية، وعمليا في مجال التقدم المادي للعالم الاسلامي.

وكان اهتمامه الاول والعاجل هو القيام بتبديد الاوهام حول وجود تناقض وصدام بين العلم وبين الاسلام، وإرجاع علم الفيزياء وعلم الرياضيات إلى الموقع الصحيح لهما، لأن الإسلام "سيد المعارف ورئيس العلوم الحقة ووالدها" [٩] وهو يسند تقدم العلوم وما صاحبه من كشف للكون إلى القرآن وجعل مهمته إستخدام معرفته في العلوم لفهم حقائق القرآن والبرهنة على إعجازه.

ويجب أن نتذكر هنا أن تيار الفكر المادي وبالاخص الفلسفة الوضعية كانت قد سادت الفكر الغربي وأصبحت مؤثرة بشكل متزايد في الدولة العثمانية في العقود الأخيرة منها. وكان الطابع العام لمن تبنى هذه الفلسفة هو الهجوم على جميع الأديان ولاسيما على الدين الاسلامي، مع أنهم كانوا يشكلون فئة صغيرة حتى تشكيل الجمهورية التركية عام ١٩٢٣. وبعد هذا التاريخ حاولوا إدامة هذا الهجوم وتبنيها بشكل رسمي واتخاذ الخطوات لجعل الفلسفة الوضعية أساسا للايدولوجية الرسمية بدلا من الاسلام.

وقد عد بديع الزمان كتابه "إشارات الإعجاز" - الذي كتب القسم الاول منه فقط - " فاتحة " رسائل النور [١٠] وربما قصد أنه يُعد القسم الأول لرسائل النور [١١] وشهدت السنوات المرة للحرب العالمية الاولى التي أعقبتها هزيمة الدولة العثمانية ظهور " سعيد الجديد " وكتاباته باللغة العربية كثمرات لهذا التغير الداخلي الكبير الذي قاساه واجتازه بديع الزمان[١٢].

نرى أن بديع الزمان يذكر في مواضع عديدة من كتاباته الاولى هذه وفي رسائل النور الصراع الداخلي والعوامل التي ساهمت في ظهور " سعيد الجديد" و" الطريق القرآني غير المسلوك " سابقا نحو الحقيقة الذي انفتح أمامه. وستتم الاشارة هنا إلى بعض وجوهه.

لم يتوضح السبيل أمام بديع الزمان إلا بعد صراع عنيف، فهو يشرح هذا في رسالة "القطرة" فيقول: " هذه الرسالة مكالمات فجائية مع نفسي في وقتٍ مدهش. والكلمات انما تولدتْ في اثناء مجادلة هائلة كإعصار يتصارع فيها الانوارُ مع النيران، يتدحرج رأسي في آن واحد من الأوج إلى الحضيض، ومن الحضيض إلى الأوج، من الثرى إلى الثريا؛ اذ سلكتُ طريقاً غير مسلوك، في برزخٍ بين العقل والقلب" [١٣]

في هذه الأثناء ظهرت له أنوار خاصة عرف أنها " أنوار من شمس القرآن ". ونعلم من فقرات اخرى انها كانت تعليمات قرآنية حول الوحدانية الالهية.[١٤]

"ان الفرق بين طريقي في "قطرة"المستفادة من القرآن؛ وطريق اهل النظر والفلاسفة، هو اني احفر اينما كنتُ، فيخرج الماءُ، وهم تشبثوا بوضعِ ميازيب وانابيب لمجئ الماء من طرفِ العالَم ويُسلسِلونَ سلاسل وسلالمَ إلى مافوق العَرش لجلب ماء الحياة، فيلزم عليهم بسبب قبول السبب وضع ملايين من حفظة البراهين في تلك الطريق الطويلة لحفظها من تخريب شياطين الاوهام. واما ما علَّمنا القرآنُ فما هو الاّ ان أُعطينا مثلَ "عصا موسى"اينما كنتُ - ولو على الصخرة - اضربُ عصاي فينفجر ماءُ الحياة..".[١٥]

والحقيقة أن هذا الطريق يمثل حقيقة:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ثم يقول عن هذا " الطريق غير المسلوك ":

"اني ما أدري كيف صار عقلي ممزوجاً بقلبي، فصرت خارجاً عن طريق اهل العقل من علماء السلف وعن سبيل اهل القلب من الصالحين، فان وافقتهما "فبها ونعمت"وان خالفتُ في كلامي ايَّ السبيلين منهما فهو مردود عليّ ". [١٦]

وكتب في ذيل رسالة "الحُباب":

" فمسائلها وإن حصلت لي اول ماحصلت شهودية وحدسية وذوقية، لكن لدخولي في صحراء الجنون مع رفاقة عقلي مفتوح الجفون - فيما يغمض فيه ذوي الابصار - لفّ عقلي على عادته مارآه قلبي في مقاييسه ووزنه بموازينه واستمسكه ببراهينه.. صارت مسائل هذه الرسائل من هذه الجهة كأنها مبرهنة استدلالية.

فيمكن لمن ضلّ من جهة الفكر والعلم أن يستفيد منها مايُنجيه من مزالق الأفكار الفلسفية.

بل يمكن ان يستخرج منها بالتهذيب والتنظيم والايضاح عقائد إيمانية وعلم كلام جديد في غاية القوة والرصانة لردّ ضلالات أفكار هذا الزمان. بل يمكن لمن اختلط عقلهُ بقلبه، او إلتحق قلبهُ بعقله المتشتت في آفاق الكثرة ان يستنبط منها طريقة كسكة الحديد متينةً أمينة يسلك فيها تحت ارشاد القرآن الكريم..كيف لا، وكل ما في رسائلي من المحاسن ما هو الاّ من فيض القرآن".[١٧] " حتى غدت "رسائل النور" طبيبة حاذقة لذوي الجراحات من طلاب الحقيقة، واصبحت مُلزمةً ومُسكتةً لأهل الالحاد والضلالة". [١٨]

هذا التركيب بين العقل وبين القلب قاد بديع الزمان إلى " طريق من الفكر التأملي " الذي كان من أهم عناصر رسائل النور وتتمة ضرورية ل " كتاب الكون ". وفي أثناء حبسه في سجن " أسكي شهر" عام ١٩٣٥ كتب مقدمة "اللمعة التاسعة والعشرين" - باللغة العربية وسماها "رسالة التفكر " أي الجزء أو القسم الذي يجب التفكر فيه:

" لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاماً ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان كقوله تعالى **"لعلكم تتفكرون" "لعلهم يتفكرون" "أوَ لم يتفكروا في انفسهم ماخلق الله السموات والارض.." "لآيات لقوم يتفكرون"** وامثالها من الايات التي تحث على التفكر مثلما يحث عليه حثاً عظيماً الحديث الشريف كقوله "ص" "تفكر ساعة خير من عبادة سنة" [١٩]

ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي ضمن انتهاج مسلك التفكر، انوار عظيمة وحقائق متسلسلة طويلة. فوضعت بضع كلمات - من قبيل الاشارات - لا للدلالة على تلك الانوار، بل للاشارة إلى وجودها ولتسهيل التفكر فيها وللمحافظة على انتظامها.

وكنت اردد بيني وبين نفسي تلك الكلمات لساناً بعبارات عربية في غاية الاختلاف. وعلى الرغم من تكراري لها آلاف المرات خلال هذه الفترة الطويلة وانا انتهج هذا التفكر لم يطرأ عليّ السأم ولم يعتر تذوقها النقص، ولم تنتف حاجة الروح اليها. لأن ذلك التفكر لمعات تلمعت من آيات القرآن الكريم فتمثلت فيه جلوة من خصائص الآيات، تلك هي عدم الاستشعار بالسأم والملل والحفاظ على حلاوتها وطراوتها". [٢٠]

إذن كان أهم ما يميز هذا الطريق الحديث أو علامته الفارقة مزجه بين العقل وبين القلب وبالطريقة التي علمنا اياها القرآن الكريم في التأمل لتصديق الوحدانية الإلهية "فحمداً لله على ان

وُفِّق على جمع الطريقة مع الحقيقة بفيض القرآن وارشاده، حتى بيّن برسائل النور التي ألفها سعيد الجديد حقيقة:

وفي كل شئ له آية تدل على أنه واحد ". [٢١]

في هذا الصدد يجب الاشارة إلى فرق مهم بين رسائل النور وبين هذه الرسائل الاولى التي كتبها باللغة العربية والتي جُمعت فيما بعد في كتاب باللغة العربية تحت عنوان "المثنوي النوري العربي"، فهذه الرسائل العربية الاولى كانت تعبيرا عن الصراع الداخلي بين الروح وبين النفس وكانت " موفقة في فتح طريق خلال القلب والروح" أما رسائل النور فهي " تبيّن أن "المثنوي العربي"- وهو مشتل رسائل النور وغراسها - قد سعى" كالطرق الخفية إلى المعرفة الالهية، في تطهير الانفس والداخل من الانسان، فوفّق إلى فتح الطريق من الروح والقلب. بينما "رسائل النور"- التي هي بستانه اليانع - قد فتحت طريقاً واسعاً إلى معرفة الله، بتوجهها إلى الآفاق الكونية - كالطرق الجهرية - فضلا عن جهادها في الانفس، حتى وكأنها عصا موسى - عليه السلام - اينما ضربتْ فجّرت الماء الزلال.

وكذا فان "رسائل النور"ليس مسلكها مسلك العلماء والحكماء، بل هو مسلكٌ مقتَبسٌ من الإعجاز المعنوي للقرآن يُخرج زلال معرفة الله من كل شئ، فيستفيد السالك في "رسائل النور"في لحظةٍ مالا يستفيده سالكو سائر المسالك في سنة"[٢٢]..

في بداية رسالة " القطرة " شرح بديع الزمان كيف أنه خلال عمره البالغ آنذاك أربعين عاما وبعد دراسة استغرقت ثلاثين سنة تعلم " أربع كلمات " و " أربع عبارات". والكلمات الاربعة التي تهمنا هنا هي: "المعنى الحرفي والمعنى الإسمى والنية والنظر " أي زاوية النظر" ومن هذه الكلمات الاربع تحمل الكلمتان الاولى والثانية أهمية خاصة لانهما مرتبطتان مع مفهوم " كتاب الكون " بشكل مباشر.ويشرح بديع الزمان هذا باختصار فيقول:

"ان النظر إلى ما سواه تعالى، لابد ان يكون بالمعنى الحرفي وبحسابه تعالى، وان النظر إلى الكائنات بالمعنى الاسمي اي بحساب الاسباب خطأ. ففي كل شئ وجهان: وجهٌ إلى الحق، ووجه إلى الكون. فالتوجه إلىالوجه الكوني لابد ان يكون حرفياً وعنواناً للمعنى الاسمي الذي هو جهة نسبته اليه تعالى. مثلا: لابد أن يُرى النعمةُ مرآةً للانعام، والوسائطُ والاسبابُ مرايا لتصرف القدرة".[٢٣] توجد هنا نقطتان يجب أخذهما بنظر الاعتبار لكي نكون قادرين على الإجابة على سؤال هو موضوعنا في هذا القسم وهو: لماذا كتاب الكون؟ للاجابة على هذا السؤال هناك نقطتان متعلقتان بهذا الموضوع، تتعلق إحداهما بالعوامل التي أدت ببديع الزمان إلى اختيار طريق " سعيد الجديد "، والاخرى متعلقة بمكانة وبمفهوم كتاب الكون في هذا الصدد.

أولا كانت هناك ظروف ساقت بديع الزمان منذ عمره المبكر للتفتيش عن تغييرات وتجديدات في العديد من المؤسسات الاسلامية، وكان السبب الكامن في أسس معظمها هو سوء فهم العلوم الحديثة ووجود التناقضات الموهومة بين العقل والعلم وبين بعض المسائل الاسلامية والقرآن. بينما كان السبب الرئيسي لضرورة التجديد هو الحاجة إلى تفسير القرآن في ضوء التقدم الحديث للمعارف والعلوم. وبهذه الوسيلة فقط يمكن التصدي للهجوم الموجه للإسلام وإيقافه وإنهاؤه وعكس سير العالم الإسلامي من الانحطاط إلى الرقي. كانت هذه هي الخلفية التي يجب أن يبدو سعيد

الجديد ورسائل النور من خلالها.

فإن أتينا الآن إلى " كتاب الكون " فأنا أرى بأنه يجمع العناصر المختلفة التي شكلت وصاغت طريق " سعيد الجديد"، بل هو يشكل رمزا لهذا الطريق.وهو كإستعارة يملك صفة توضيحية مهمة. وهذا الطريق الجديد "غير المسلوك سابقا" الذي فُتح أمامه قاده من القرآن إلى الكون، وعلمه التطلع إلى الكون والتأمل فيه، وساقه إلى التفتيش عن المعاني في ثناياه باعتباره موجودا هناك ككتاب لقراءته وفهمه. وعلاوة على هذا فإنه بإستخدامه كلا من العقل والقلب في عملية القراءة هذه التي طورها بديع الزمان وجد في كل شيء طريقا إلى الله وطريقا لإثبات حقائق الإيمان الرئيسة الاخرى؛ فشفى بذلك القلوب التي جرحتها الشكوك، وأجاب على الفلسفة ورد هجومها. وكما سنرى فقد جمع الدين والعلم في بوتقة واحدة. ولهذا يُنظر إلى بديع الزمان كواضع لعلم كلام جديد. [٢٤]

والنقطة الأخيرة التي يجب الإشارة إليها هي ما يميز طريق سعيد الجديد عن الطرق الصوفية، وما يتعلق بمعجزة القرآن. وحسب بديع الزمان فهذا طريق علوي وسام لـ " أهل الحقيقة " أي هو طريق " الإيمان والتصديق " [٢٥] أكثر من كونه طريقا للصوفية الذي هو طريق "المعرفة والتصور". وبسبب أهميته وكون بديع الزمان يورد أسباب ضرورته فإنني سأتناوله بتعريف مفصل:

"لأن الكلمات:

تصديق وليست تصوراً.[٢٦]

وايمانٌ وليست تسليماً. [٢٧]

وتحقيق وليست تقليداً. [٢٨]

وشهادة وشهود وليست معرفة. [٢٩]

واذعان وليست التزاماً. [٣٠]

وحقيقة وليست تصوفاً.

وبرهان ضمن الدعوى وليست ادعاءً

وحكمة هذا السر هي:

ان الاسس الايمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، اذ كانت توضيحات العارفين في الامور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل.

اما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها إلى اسس الإيمان واركانه" [٣١]

القرآن وكتاب الكون

لذا نستطيع أولا أن نقول إن إستعارة " الكتاب" إستعارة ملائمة وبليغة للكون ككل عندما ننظر إليه في ضوء القرآن، وهي تنبثق من النظرة القرآنية للوجود وللموجودات، ليس لهذه الموجودات، بل لما تشير وتدل عليه هذه الموجودات. وقد كتب بديع الزمان في رسالة " الآية الكبرى " قائلا:

"فنظر السائح إلى مجموع الكون بمنظار واسع محيط قد استعاره من القرآن الكريم، فرأى ان هذا الكون منظم تنظيماً بديعا، ومنطوٍ على معاني جمة وفيرة بحيث يبدو على صورة كتاب سبحاني مجسم، او قرآن رباني جسماني، او قصر مزين صمداني، او بلد منتظم رحماني؛ اذ ان جميع سور ذلك الكتاب وآياته وكلماته، بل حروفه وأبوابه وفصوله، وصحائفه وسطوره، وما يجري على الجميع من "المحو والاثبات" ذي المعنى اللطيف، ومن التحويل والتغيير ذي الحكمة والابداع.. كل ذلك بالاجماع يفيد بداهة وجود عليم بكل شئ، قدير على كل شئ. ويعبّر عن وجود بارئ ذي جلال، ومصور ذي كمال، يرى كل شئ في كل شئ، ويعلم علاقة كل شئ بكل شئ، فيراعيه".[٣٢]

هناك مظاهر اخرى للكون تكون واضحة عندما نلاحظه من خلال القرآن والتي تجعله مثل كتاب. يقول بديع الزمان في موضع آخر بأن " النظام الكامل والتوازن المتناغم - اللذان هما نتيجة للوحدانية "هما اللذان جعلاه كتاباً معجزاً بليغا بحيث أن كل حرف فيه يفيد معاني مائة سطر وكل سطر فيه يعبّر عن معاني مائة صحيفة، وكل صحيفة فيه تبين معاني مائة باب، وكل باب فيه تفصح عن معاني مائة كتاب. فضلاً عن أن كلاً من ابوابه وصحائفه وسطوره وكلماته وحروفه يشير الواحدُ إلى الآخر ويدلّ عليه".[٣٣]

وفي الحقيقة فإن الوحدانية مفهوم أساسي إذ" بسر التوحيد يُفهم: ان الكون برمته كتاب صمداني ينطوي على معاني عميقة غزيرة، وان الموجودات بأسرها مجموعة مكاتيب سبحانية في منتهى الاعجاز، وان المخلوقات بجميع طوائفها جنود ربانية في غاية الانتظام والهيبة..". [٣٤]

الوحدانية تهب الحياة لكل حرف موجود في كتاب الكون وتجعل كلا منه يجيب على حاجة الآخر. كتب بديع الزمان في "اللمعات":

" ان سر التساند والترابط، المستتر في الكائنات كلها، المنتشر فيها.. وكذا انبعاث روح التجاوب والتعاون من كل جانب.. يبين:

أنه ليست هناك الاّ قدرة محيطة بالعالم كله، تخلق الذرة وتضعها في موضعها المناسب.

فكل حرف وكل سطر من كتاب العالم، حيّ، تسوقه الحاجة، وتعرّف الواحد الآخر، فيُلبي النداء اينما انطلق.

وبسر التوحيد تتجاوب الآفاق كلها، اذ توجّه القدرة كل حرف حي إلى كل جملة من جمل الكتاب وتبصّرها". [٣٥]

والعلم الالهي " جعل الكون بحكم كتاب كبير يضم رسائل بعدد أجزائه.."[٣٦]

بينما الحكمة الإلهية " جعلته ككتاب كبير، كتاب حكمة بليغة بحيث ان في كل حرف منه مائة كلمة، وفي كل كلمة مئات الأسطر وفي كل سطر الف باب وباب وفي كل باب الوف الكتب الصغيرة.. فشاهد الجمال بلا نظير، جمال الحكيمية الإلهية".[٣٧]

وعند شرحه لإسم " الحكيم" الذي هو ضمن الإسم الأعظم يشرح بديع الزمان أقسام كتاب الكون كما يأتي:

"ان سطح الارض "صحيفة" من هذا الكتاب الكبير، هذه الصحيفة تضم كتباً بعدد طوائف

النباتات والحيوانات، وهي تُكتب أمام أنظارنا في موسم الربيع في غاية الكمال والاتقان من دون خطأٍ، كتابةً متداخلة، جنباً إلى جنب، في آن واحد.

"والبستان "سطر" من هذه الصحيفة، نشاهد فيه قصائد منظومة، وهي تُكتب أمام أعيننا بعدد الازهار والاشجار والنباتات، كتابةً متداخلة، جنباً إلى جنب، من دون خطأ.

والشجرة النامية الزاهية أوراقُها، المفتحة أزهارُها، وقد أوشكت أن تخرج أثمارُها من اكمامها، هذه "الشجرة "كلمةٌ من ذلك السطر، فهذه الكلمة تمثل فقرةً كاملة ذات مغزى تعبّر تعبيراً بليغاً عن ثنائها وحمدها ودلالتها على "الحكم" ذي الجمال، بعدد أوراقها المنتظمة وأزهارها المزينة وأثمارها الموزونة، حتى لكأن تلك الشجرة المفتحة الازهار قصيدةٌ عصماء تتغنى بالمدح والثناء على آلاء بارئها المصور الجليل". [٣٨]

إذن فهناك علاقة متبادلة بين القرآن وبين الكون؛ فالكون يحتاج إلى القرآن في فهم معناه "أي في فهم معنى الكون"، إذ لا يكتسب معناه الحقيقي إلا بالقرآن. والقرآن بآياته المتعلقة بالظواهر الطبيعية ونظامها وبتغيراتها الغائية والقصدية يقوم بدور المفسر والشارح والترجمان للكون.

"هو الترجمةُ الازلية لهذه الكائنات، والترجمانُ الابدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّرُ كتاب العالَم.. وكذا هو كشافٌ لمخفيات كنوز الاسماء المستترة في صحائف السموات والارض.. وكذا هو مفتاحٌ لحقائق الشؤون المضْمَرة في سطور الحادثات".[٣٩] " والقرآ انما يبحث عن الكائنات استطرادا للإستدلال على ذات الله وصفاته".[٤٠]

"نعم! ان ذلك الفرقان الحكيم هو الذي يرشد الجن والانس إلى الايات الكونية التي سطَّرها قلمُ القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع ودبجها على أوراق الازمنة والعصور. وهو الذي ينظر إلى الموجودات - التي كل منها حرف ذو مغزى - بالمعنى الحرفي، أي ينظر اليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل. فيقول: ما أحسنَ خلقه! ما أجملَ خلقه! ما أعظم دلالته على جمال المبدع الجليل. وهكذا يكشف أمام الانظار الجمالَ الحقيقي للكائنات".[٤١]

والقرآن قارئ للكائنات وتال له حيث" يتلو على الانسان ما كتبتْهُ القدرة الإلهية في صحائف الكائنات من آيات حتى كأن القرآن قراءةٌ لما في كتاب الكائنات وانظمتها، وتلاوةٌ لشؤون بارئها المصّور وافعاله الحكيمة ".[٤٢]وهكذا ينقلب الكون إلى " قرآن مجسم" [٤٣] وهذا يعني أن الكون يعبر عن نفس الحقائق التي يعبر عنها القرآن. ولكن بينما القرآن صادرعن صفة الكلام، وجد الكون من تجلي صفة القدرة. [٤٤]و"المصنوعات " في الكون، أي الكائنات تشبه " كلمات مجسمة" أو " كلمات أُلبست أشكالا خارجية " و" كلمات القدرة هذه " مثلها في ذلك مثل كلمات القرآن " فكما ان صفة "الكلام" تعرّف الذات الاقدس سبحانه وتعالى بالوحي والالهامات، فان صفة "القدرة" كذلك تعرّف ذاته جل وعلا بآثارها البديعة التي هي بمثابة كلماتها المجسّمة التي تصف قديراً ذا جلال، وتعرّفه باظهارها الكون من اقصاه إلى اقصاه بماهية فرقان مادي".[٤٥] وبهذا المعنى فإن "الكائنات مفسرات لآيات القران الحكيم" [٤٦]إنه دليل للقرآن. وكتب بديع الزمان: "ان التجلي الاعظم لاسم الله الحفيظ ونظير الحقيقة الكبرى لهاتين الآيتين مبثوثٌ في الارجاء كافة، يمكنك أن تجده بالنظر والتأمل في صحائف كتاب الكائنات، ذلك الكتاب المكتوب على مِسطر الكتاب المبين وعلى موازينه ومقاييسه".[٤٧]

ونظرا لأن الكون قرآن مجسم فإن هدف كتاب الكون هو " أن صانعه وبانيه له من المحاسن والجمال مايليق به في ذاته وفي اسمائه، بحيث يقتبس العالم الجمال منه. ولأجل ذلك بني هذا العالم على وفق انوار ذلك الجمال، وكُتب كالكتاب المتقن البديع ليعبّر عن ذلك الجمال".[٤٨] " فالمصور الجميل سبحانه وتعالى الذي كتب هذه الكائنات اظهاراً لكمالاته، وابرازاً لجماله وحقائق اسمائه المقدسة.. كتبها كتابةً بديعة، لا أبدع منها؛ إذ تدل جميع الموجودات – بجهات عديدة لا حصر لها- على اسمائه الحسنى وعلى صفاته الجليلة وعلى كمالاته المطلقة وتعبّر عنها".[٤٩] " فان البارئ المصور سبحانه الذي أبدع كتاب الكون العظيم هذا يعرِّف جمالَ كمالِه ويحبّبه بألسنةِ مخلوقاته - ابتداءً من أصغر جزئي إلى أكبر كلي - فيعرِّف سبحانه ذاتَه المقدسَّة، ويفهّم كمالَه السامي، ويُظهر جمالَه البديع: بهذا الكون الرائع، وبكل صحيفة فيه، وبكل سطر فيه، وبكل كلمة فيه، بل حتى بكل حرف وبكل نقطة من كتابه العظيم هذا". [٥٠]

وظائف كتاب الكون ومعانيه

إذن كمفهوم فإن الوظيفة الرئيسة لكتاب الكون هو القيام بتعليم الذين يقرأونه وتوجيه أنظارهم إلى كاتبه وإلى صفاته. وكما قام بديع الزمان بتفسير البيت الآتي:

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل

"بمعنى: انظر بعين الحكمة إلى سطور الحوادث التي كتبها المصور الأزلي في الأبعاد الواسعة لصحيفة العالم.. كي ترفعك سلاسل تلك الرسائل الممتدة من الملأ الأعلى إلى أعلى عليي التوحيد".[٥١]

وبشكل مشابه نجد الايات القرآنية حول الايات التكوينية.[٥٢]

ونرى أن بديع الزمان يقوم في مواضع عديدة في رسائل النور بشرح مثل هذه الايات موضحا معانيها في مستويات متعددة بشكل مشوق ومثير للاهتمام. [٥٣]

لذا، فكما أن الغاية من جعل الكون بهذا الشكل هو لكي " يُقْرأ "، كذلك فإن الإنسان ايضا هو عالم مصغر وخارطة مصغرة للكائنات.

نعم، إن الإنسان هو العالم الاصغر وخارطته المصغرة وإنه جزء من هذا الكون. ومع أن هذا المظهر خارج عن موضوعنا هنا، ولكن علينا أن نذّكر هنا أن بديع الزمان يشير في مقدمة كتابه "الآية الكبرى" - الذي سنتناوله فيما بعد - بأن الغاية من وجود الإنسان هو معرفة ربه خالق جميع الموجودات وعبادته": ان حكمة مجئ الانسان إلى هذه الدنيا والغاية منه، هي: معرفة خالق الكون سبحانه، والايمان به، والقيام بعبادته".[٥٤] ويقوم بديع الزمان هنا بتفسير وشرح الاية "**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**" [٥٥]وهكذا بالتعامل مع الفكر التأملي في الآفاق بالاسلوب الذي شرحناه أعلاه والذي تم رمزه بمفهوم الكتاب كان بديع الزمان يضع أوامر القرآن في صيغة نظامية وعملية لكي يمكّن الناس في العصر الحالي من إكتساب " إيمان تحقيقي" في وجه جميع التيارات المادية وجميع التيارات المنحرفة. وهدفي هنا هو بجانب شرح وظائف ومهمات كتاب الكون هو القيام بإثبات ان هذه الطريقة لرسائل النور في الفهم يُعد " فهما معاصرا للقرآن ". أي أنها تشرح الحقائق القرآنية وتعلمها بطريقة مناسبة ومليئة بالمعاني.

نستطيع الآن الإنتقال إلى رسالة " الآية الكبرى " وطريقتها في قراءة كتاب الكون لإستخراج معانيه.

علينا ان نذكر اولا بأن بديع الزمان أشار في رسالة كتبهافي الغالب خلال الفترة الأخيرة من حياته في مدينة قسطموني" ١٩٤٣ -١٩٤٦م" بأنه كان هناك تطور مستمر في " طريقة تفكيره التأملي "خلال السنوات التي كان يكتب فيها رسائل النور. كتب يقول:

"في كل عام او عامين كان ذلك السرّ يغيّر من شكله فينتج إما رسالة عربية او رسالة تركية. وقد دامت تلك الحقيقة وهي تتلبّس الاشكال المختلفة ابتداء من رسالة "قطرة" العربية، وانتهاء إلى رسالة "الآية الكبرى"، حتى اخذت شكلها الدائمي في "الحزب النوري".[٥٦] والرسالةالأخيرة كتبها باللغة العربية وبأسلوب وجيز خلال الفترة نفسها تقريبا ساردا ومعددا عوالم الكون وممالكه ومعبّرا عن الحقائق نفسها التي عبّر عنها في " الآية الكبرى " لتكون مصدرا للفكر التأملي "٥٩".لذا سنلقي نظرة سريعة على رسالة " الآية الكبرى " التي هي الشكل الأخير لطريقة كشف بديع الزمان لكتاب الكون لكي نعرف الطريقة التي استخدمها لإثبات وجوب الوجود الالهي ووحدانيته، والحقائق الرئيسة التي أثبتها وشرحها.

تشغل رسالة " الآية الكبرى " من ناحية الشكل موقعا متفردا في مجموعة رسائل النور لكونها تحتوي على " مشاهدات سائح يستنطق الكونَ حول خالقه ". وهذا السائح - الذي يلخص اسلوبه في الاستنطاق والإستجواب للوصول إلى الهدف الذي يريد بديع الزمان إنجازه في اسلوب الفكر التأملي في الكون - يقوم بسياحة عقلية في جميع عوالم وممالك الكون لمعرفة شهادتها على الخالق. ويقوم السائح باستجواب هذه العوالم بالتعاقب، ويُقال له في الجواب بأن عليه أن يشاهد وأن يدرس هذه العوالم.فمثلا نراه يستجوب الغلاف الجوي فقيل له: انظر إليّ! ...تستطيع أن تكتشف من خلالي الموضوع الذي تبحث عنه ... عن الذي أرسلك إلى هنا " لذا أدار بصره في جميع من كلف بمهمات ووظائف مختلفة فرأى الغيوم والسحب والرياح والمطر. ومن خلال مشاهدته لكل " كلمة " من هذه " الكلمات " التفت لعقله وأجرى معه حوارا منطقيا. أرجع بصره إلى الغلاف الجوي وقرأ المزيد من كلماته، وفكر بعقله مرة أخرى ثم وصل إلى النتيجة الآتية:

"ان هذا الهواء الجامد الذي لا حياة له ولاشعور ولا ثبات له ولا هدف، وهو في اضطراب دائم، وهيجان لا يسكن، وذا عواصف وأعاصير لا تهدأ، تأتي إلى الوجود وتبرز بسببه - وبصورته الظاهرة - مئات الألوف من الاعمال والوظائف والنعم والامدادات العامرة بالحكمة والرحمة والاتقان، مما يثبت بداهة: انه ليست لهذه الرياح الدائبة حركة ذاتية، فلا تتحرك بذاتها ابداً وانما يحركها أمر صادر من آمر قدير عليم مطلق وحكيم كريم مطلق، وكأن كل ذرة من ذراته تفهم وتسمع - كالجندي المطيع - كل أمر صادر من لدن ذلك الأمر وتدركه فتنقاد اليه، وتجعل الأحياء جميعها تتنفسها لتسهم في ادامة حياتها، وتشارك في تلقيح النباتات ونموها، وتعاون في سوق المواد الضرورية لحياتها، وسوق السحب وادارتها وتسيير السفن التي لا وقود لها وجعلها تمخر البحار وتسيح فيها، وتتوسط خاصة في ايصال الاصوات والمكالمات والاتصالات عبر امواج اللاسلكي والبرق والراديو، وامثال هذه الخدمات العامة الكلية، فضلاً عن ان ذرات الهواء مركبة من مواد بسيطة كالازوت ومولد الحموضة "الاوكسجين". ومع تماثل بعضها لبعض فلا أراها الاّ أنها

تستخدم بيد حكيمة وبانتظام كامل في مئات الألوف من انماط المصنوعات الربانية.

لذا حكم السائح قائلاً: حقاً مثلما صرّحت به الآية الكريمة:

"وتصريف الرياح والسحاب المسخّرِ بين السّماء والارض" "البقرة:١٦٤" فان الذي يجري أمره على الهواء ويستعمله في خدمات ووظائف ربانية غير محدودة، بتصريف الرياح، وفي اعمال رحمانية غير محدودة، بتسخير السحاب، ويوجد الهواء على تلك الصورة،ليس الاّ رباً واجب الوجود، قادراً على كل شئ، وعالماً بكل شئ ذا جلال واكرام.

ثم يرجع بنظره الى"الغيث" فيرى انه مثقل بمنافع بعدد شآبيبه ويحمل تجليات رحمانية بعدد زخاته، ويظهر حِكماً بقدر رشحاته، ويرى" أن تلك القطرات العذبة اللطيفة المباركة تُخلق في غاية الانتظام وفي منتهى الجمال والبهاء وبخاصة البَرَد الذي يرسل - وينزل حتى صيفاً - بانتظام وميزان، بحيث أن العواصف والرياح العاتية - التي تضطرب من هولها الكتل الضخمة الكثيفة - لا تخل في موازنة ذلك البَرَد ولا انتظامه، ولا تجعله كتلاً مضرة جمعاً بين حبّاته !. فهذا الماء الذي هو جماد بسيط لايملك شعوراً، يُستخدم في امثال هذه الاعمال الحكيمة، وبخاصة استخدامه في الاحياء والتروية، وهو المركب من مادتين بسيطتين جامدتين خاليتين من الشعور؛ هما مولد الماء ومولد الحموضة - الهيدروجين والاوكسجين - الاّ انه يستخدم في مئات الآلاف من الخدمات والصنائع المختلفة المشحونة بالحكمة والشعور".[٥٧]من المحتمل أن ما فكر به السائح حول الهواء وحول وظائفه لا يحتوي على شيء لا نعلمه، ولكن ما قام به هذا التفكير وهذا الحوار هو توضيحه وإشارته إلى أن شيئا خاليا من الحياة ومن الشعور كالهواء، لا يستطيع القيام بإنجاز كل هذه الوظائف والمهمات الشعورية إلا بوجود ذات متصفة بصفات الكمال التي أدرجها وذكرها، وهذا الموصوف بصفات الكمال هو الذي يستخدمه ويسخره لأداء هذه الوظائف. وهذا الأمر يبدو واضحا جدا ومنطقيا ومقنعا خاصة عندما يُنظر إلى عوالم الخلق جميعا نظرة شاملة بدرجاته الثلاثة والثلاثين التي زارها السائح. ومع بساطتها الخادعة، فإن زاوية نظر القارىء تتحول - دون أن يشعر - إلى النظرة القرآنية في " قراءة " الكائنات. أي النظر إلى ماذا تدل عليه هذه الكائنات، وإلى المعاني التي تلمِّح إليها.وبجانب هذا يقود القارىء ويهيئه نفسيا لاستجواب العديد من المفاهيم مثل الصدفة والسببية، اللتان هما من أسس الفلسفة المادية. وعلاوة على هذا فإن قيام بديع الزمان باستخدام معرفته بالعلوم الحديثة في شرح حقائق قرآن الكون وكذلك حقائق القرآن نفسه ويمزجهما في تناغم وتلاؤم - كما فعل أعلاه - يدحض وجود أي تناقض أو تصادم بينهما، فيقدم بذلك مثالا عمليا كيف يمكن اجتماعهما معا.

هنا علينا أن نتذكر "الكلمة الرابعة " المذكورة في نهاية القسم الاول من هذا البحث من الكلمات الاربعة التي تعلمها " سعيد الجديد " خلال أربعين عاما من حياته وهي كلمة "النظر" أي زاوية النظر، وهو يعرّفها كما يأتي:

"النظر يقلب علومَ الاكوان معارفَ إلهية.. فان نُظر بحساب الاسباب والوسائط فجهالات، وان نُظر بحساب الله فمعارف إلهية".[٥٨]وتحتوي رسائل النور المئات من الأدلة على وجود الله وعلى وحدانيته وعلى الحقائق الرئيسة للايمان كالنبوة والحشر والملائكة والقدر وأسماء الله الحسنى وصفاته والشؤون الإلهية في الكون. وكل هذه الحقائق مرتبطة بعضها مع البعض الآخر، وتشكل

كُلاّ لا يتجزأ. ولمزيد من الايضاح فسأقوم بايراد الأدلة حول " القدر" ببعض التفصيل لأنه متعلق بكتابة كتاب الكون؛ بينما سأتناول المواضيع الأخرى بأمثلة مختصرة لكونها متعلقة بشكل مباشر بفكرة أن الكون بمثابة كتاب معروض للقراءة. وهذه " الدروس " المعطاة من قبل كتاب الكون نتيجة لقراءته وفهم معانيه.

المعاني الاخرى لكتاب الكون ؛ " أعمدة الإيمان"

كثيرا ما يرد ذكر الرسول محمد "صلى الله عليه وسلم" في رسائل النور- لكونه الشخص الذي بلّغ القرآن الكريم - في معرض الحديث عن كتاب الكون. وفيما يأتي دليل على نبوته مأخوذ من رسالة " الآية الكبرى":

"كما ان هذا الكون يدل على صانعه وكاتبه، ومصّوره الذي اوجده، والذي يديره، ويرتبه، ويتصرف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير كأنه قصر باذخ اوكأنه كتاب كبير او كأنه معرض بديع او كأنه مشهر عظيم، فهو كذلك يستدعي لامحالة وجود من يعبّر عما في هذا الكتاب الكبير من معانٍ، ويعلم ويُعلّم المقاصد الإلهية من وراء خلق الكون، ويعلّم الحكم الربانية في تحولاته وتبدلاته، ويدرّس نتائج حركاته الوظيفية، ويعلن قيمة ماهيته وكمالات ما فيه من الموجودات. أي يقتضي داعياً عظيماً، ومنادياً صادقاً، واستاذاً محققاً، ومعلماً بارعاً، فادرك السائح ان الكون - من حيث هذا الاقتضاء - يدل ويشهد على صدق هذا النبي الكريم "صلى الله عليه وسلم" وصوابه الذي هو افضل من أتم هذه الوظائف والمهمات وعلى كونه أفضل واصدق مبعوث لرب العالمين".[٥٩]

وفي رسالة "الثمرة" نجد دليلاً مشابهاً حول الأنبياء الآخرين. وفي النص الآتي نجده يشير إلى الدور الاساسي الذي لا غنى عنه لرسول الله "صلى الله عليه وسلم" في كتاب الكون. وأن هذا الكتاب يشير إليه ويشهد عليه:

"هذا الكون كما انه يدل على صانعه وكاتبه ومصوره الذي اوجده والذي يديره وينظمه ويتصرف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير كأنه قصر باذخ أو كأنه كتاب كبير او كأنه معرض بديع، او كأنه مشهر عظيم، فهو كذلك يستدعي لامحالة وجود من يعبّر عما في هذا الكتاب الكبير من معانٍ، ويعلَم ويعلّم المقاصد الإلهية من وراء خلق الكون، ويعلّم الحكم الربانية في تحولاته وتبدلاته، ويدرّس نتائج حركاته الوظيفية، ويعلن قيمة ما هيته وكمالات ما فيه من الموجودات.. ويجيب عن الاسئلة الرهيبة المحيرة: من أين تأتى هذه الموجودات والى أين المصير ولِمَ لا تلبث هنا بل تمضى وترحل مسرعة؟. ويوضح معاني ذلك الكتاب الكبير ويفسر حكمة آياته التكوينية. أى يقتضى داعياً عظيماً، ومنادياً صادقاً، واستاذاً محققاً، ومعلماً بارعاً، فالكون من حيث هذا الاقتضاء يدل ويشهد شهادة قوية وكلية على صدق النبي الكريم "ص" وصوابه الذي هو افضل من اتم هذه الوظائف والمهمات. وعلى كونه افضل واصدق مبعوث لرب العالمين. فيشهد الكون قائلاً: اشهد ان محمداً رسول الله".[٦٠]

ويورد بديع الزمان أدلة عديدة على الحشر وعلى بعث الاموات، وتستند معظم هذه الأدلة على تجليات الأسماء الحسنى في الكون. ويستطيع القراء مراجعة الكلمة العاشرة والكلمة التاسعة والعشرين في هذا الخصوص. وقمنا أدناه بإيراد دليلين من هذه الأدلة المتعلقة بكتاب الكون. والقسم الثاني متعلق بالقدرة الالهية:

" اي إنْ لم يحدث الحشر فان جميع المعاني الحقة لكتاب الكون التي كتبت بقلم القَدر سوف تمسخ وتفسد ! وهذا لايمكن ان يكون مطلقاً، وليس له احتمال قط، بل هو محال في محال. كانكار هذه الكائنات، بل هو هذيان ليس إلاّ".[٦١]

ان كل ذي شعور يأتي إلى هذه الدنيا المضيف، ويفتح عينه يرى:

قدرة تمسك الكون كله في قبضتها، وتضم علماً ازلياً مطلقاً لا يضل ولا ينسى وحكمة سرمدية لاعبث فيها اطلاقاً وتشمل عناية بالغة، بحيث تجعل كل فرد من افراد جيش الذرات منجذباً جذبة مولوية، فتستخدمها في وظائف شتى، وتجرى في اللحظة نفسها الكرة الارضية في دائرة واسعة تبلغ مسافتها اربعة وعشرين الف سنة في سنة واحدة وتديرها كالعاشق المولوي المجذوب بالقانون نفسه.

واذ هي تجلب محاصيل المواسم إلى الحيوانات والانسان، تجعل بالقانون نفسه في اللحظة نفسها الشمس مكوكاً ودولاباً وتديرها في مركزها دوران منجذب عاشق ايضاً مسخرة النجوم السيارة التي هي افراد جيش المنظومة الشمسية في خدمات ووظائف جليلة بكمال الميزان والانتظام.

وان القدرة نفسها تكتب بقانون الحكمة نفسها في اللحظة نفسها مئات الالوف من الانواع على صحيفة الارض كافة، والتي كل منها بمثابة مئات الالوف من الكتب، تكتبها معاً ومتداخلة، وبلا التباس ولا سهو، مظهرة بها الوف نماذج الحشر الاعظم".[٦٢]

ويعطي بديع الزمان الدليل الآتي حول الإيمان بالملائكة:

"ان قلت: أية آيات كتاب الكائنات تدل على وجود معتبرين و متحيرين و متفكّرين ومسبحّين من غير الانسان؟ واي سطرٍ من ذلك الكتاب يشير اليه؟.

قيل لك: آية النظام في سطر الميزان من صحيفة الحكمة.

الا ترى انك اذا ذهبت إلى دار تمثيل - مثلا - فرأيت في تلك الدار انواعاً كثيرة من الغرائب التي تتحير فيها الانظارُ، واصنافاً من الملاهى التي تستحسنها الاسماعُ، واقساماً متنوعة من السحر والشعبذة التي تتلذذ بها العقول والخيال. وهكذا من كل ما يتلذذ به مالا يحد من لطائف الإنسان وحواسه وحسياته، ثم نظرت في ساحة محل التمثيل، فما رأيت الاّ صبياناً صماً عمياً مفلوجي الحواس والحسيات الاّ قليلا منهم. فبالضرورة العرفية تتفطن وتتيقن بأن خلف هذه الحُجُب والاستار المرسلة على وجوه الجدار عقلاء مختلفون في الاذواق والمشارب لهم حواسُ سليمة جاءوا للتنزّه، يشتاقون لكل ما ابدع وشهر في ذلك المجلس، ويرونك والتمثيل من حيث لا ترونهم.

فاذ تفطنت لسر التمثيل، فانظر من دار الدنيا إلى هذه المصنوعات. فمنها كزرابي مبثوثة، وفُرُشٍ مرفوعة، وحلل ملبوسة، وحلية منثورة، وصحائف منشورة.. ومنها ازاهير وثمرات اصطفت؛ تدعو بألوانها وطعومها وروائحها ذوى الحياة واصحاب الحاجات وتدعو بنقوشها وزينتها وصنعتها اولى الالباب وذوى الاعتبار.. ومنها نباتات شمّرت عن ساقاتها لوظيفة خلْقَتها، وحيوانات قامت على ارجلها لوظيفة عبوديتها، واكثرها لا تشعر بما أودع في أنفسها من المحاسن الرائقة واللطائف الفائقة..

فليست تلك اللطائفُ والمحاسن لِحَمَلَتَها البُهْمُ العُجْمُ، بل ما هي الاّ لغيرها السميع البصير.. ومنها إلى مالا يحد ولا يعد. فمع كل هذه الحشمة الجلابة والزينة الجذابة، وانواع التلطيفات والتوددات، وانواع التحببات والتعرفات، واقسام التعهدات والتعمدات واصناف التزينات والتبسمات واشكال الاشارات والجلوات، وغير ذلك من ألسنة الحال التي كادت ان تنطق بالقال مع انه لا نرى ظاهراً في ساحة الدنيا من ذوي الاعتبار والابتصار الاّ هؤلاء الثقلين اللذين صيرت الغفلة اكثرهم كصبيانٍ صمٍ عميٍ فلج في ظلمات طاغوت الطبيعة يعمهون.

فبالحدس الصادق وبالضرورة القطعية وبالبداهة العقلية، لابد ان يكون الكون مشحوناً من ذوي الارواح المعتبرين المسّبحين مما عدا الثقلين".[٦٣]

القدر الالهي وكتابة كتاب الكون

الأدلة التي يقدمها بديع الزمان حول " القدر الالهي " أو " القضاء والقدر " تحوي نظرات مبصرات نفاذة حول استمرار الخلق في الكون، أي حول كتابة كتابة الكون. كتب قائلا:

"ان كل شئ قبل كونه وبعد كونه مكتوب في كتاب، يصرّح بهذا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة امثال **"ولا رطب ولا يابس الاّ في كتاب مبين"** "الأنعام:٥٩" وتصدّق الكائنات قاطبة، التي هي قرآن القدرة الإلهية الكبير هذا الحكم القرآني ، بآيات النظام والميزان والانتظام والامتياز والتصوير والتزيين وامثالها من الايات التكوينية.

نعم! ان كتابات كتاب الكائنات المنظومة وموزونات اياتها تشهد على أن كل شئ مكتوب. أما الدليل على أن كل شئ مكتوب ومقدّر قبل وجوده وكونه، فهو جميع المبادىء والبذور وجميع المقادير والصور شواهد صدق. اذ ما البذور الاّ صنيدقات لطيفة ابدعها معمل "ك.ن" [١] أودع فيها القدر فهيرس رسمه، وتبني القدرة - حسب هندسة القدر - معجزاتها العظيمة على تلك البذيرات، مستخدمة الذرات. بمعنى ان كل ما سيجري على الشجرة من امور مع جميع وقائعها، في حكم المكتوب في بذرتها. لأن البذور بسيطة ومتشابهة مادةً، فلا اختلاف بينها".[٦٤]

" أما الدليل على أن تأريخ حياة كل شئ، بعد وجوده وكونه، مكتوب؛ فهو جميع الثمرات التي تخبر عن الكتاب المبين والامام المبين. والقوة الحافظة للانسان التي تشير إلى اللوح المحفوظ وتخبر عنه، كل منها شاهد صادق، وأمارة وعلامة على ذلك.

نعم! ان كل ثمرة تُكتب في نواتها - التي هي في حكم قلبها - مقدّرات حياة الشجرة ومستقبلها ايضاً".[٦٥]

و" الكتاب المبين الذي هو عنوان الارادة والاوامر التكوينية. بينما " الامام المبين" هو عنوان الأمر والعلم الإلهي".[٦٦] و" سجل للقدر الالهي، وكراس دساتيره".[٦٧]

ومع أن بديع الزمان ذكر في كتابه "المثنوي العربي النوري" عند شرحه لـ" الكتاب المبين" قال إ نه " كتاب العلم "، إلا أنه ذكر في الهامش الطويل حول هذا الموضوع في مقدمة رسالته حول حركة الذرات بأن كلا التعبيرين الواردين في القرآن هما بمعنى " عنوان العلم الالهي ". ويستنتج

---

[١] أي أمر: كن. (المترجم)

أن " الكتاب المبين" هو في الأكثر " دفتر القدرة الإلهية وأوامر الخلق".

لقد اضطررت إلى الإطالة بعض الشيء في شرح هذا لكي أبين كيف استطاع بديع الزمان بطريقته التخطيطية هذه تحويل موضوع غامض وصعب الفهم إلى موضوع يسهل فهمه حالا، كما يقوم في الوقت نفسه بشرح حقائق عديدة أخرى. وكتب في "المثنوي":

"ان كتاب الكائنات الذي هو "كتابُ القُدرة"مكتوبٌ على مِسطرِ "الكتاب المبين"الذي هو "كتاب العلم"بشهادة ان هذا النظام والميزان المشهودَين المحيطين بابان بعينهما من هذين الكتابين، ورابطة اتصالهما، وبرزخٌ بينهما، وعنوانان لقبضتي الرحمن: ولا رَطبٍ ولايابسٍ الاّ وهما داخلانِ من باب هذين البابين في الكتاب المبين. ولأجل انه لا خارج في الكون والوجود من البابين بالمشاهدة، فكل شئ داخل في ذلك الكتاب.

"واما القرآن المبين الذي هو كتاب "صفة الكلام"فهو ترجمان الكتابين الغيبيّ والشهودي، القُدرتي والعلمي. وفهرستهُ البابين وفذلكة القبضتين". [٦٨]

وبسبب العلم الالهي اللانهائي فإن خلق أو " كتابة " الكائنات يكون سهلا سهولة لانهائية "لأن القدر الإلهي هو نوع من العلم الإلهي، يعيّن مقدار كل شئ كأنه قالب معنوي له وخاص به، فيكون ذلك المقدار القَدَري بمثابة خطّة لذلك الشئ، وبحكم "موديل" وانموذج له، فعندما توجده "القدرة الإلهية" توجده على ذلك المقدار القدري بكل سهولة ويسر.

فان لم يُنسب ايجاد ذلك الشئ إلى مَن له علم محيط مطلق ازلي وهو الله القدير ذو الجلال لاتحصل الوف المشكلات فحسب، بل تقع مئات المحالات ايضاً - كما ذكر آنفاً - لانه إن لم يكن هناك ذلك المقدار القدري، والمقدار العلمي، يلزم استعمال ألوف القوالب المادية والخارجية للجسم الصغير". [٦٩]

وهكذا يشرح بديع الزمان حركة الذرات وحركة الزمن: " وهكذا باملاءٍ من الإمام المبين، أي بحُكم القَدَر الإلهي ودستوره النافذ، تكتب القدرةُ الإلهية - في ايجادها - سلسلةَ الموجودات - التي كلٌ منها آية - وتوجِد وتحرِك الذرات في لوح "المحو والاثبات" الذي هو الصحيفة المثالية للزمان.

أي ان حركات الذرات انما هي اهتزازات وحركات اثناء عبور الموجودات، من تلك الكتابة، ومن ذلك الاستنساخ، ومن عالم الغيب، إلى عالم الشهادة، أي من العلم إلى القدرة". [٧٠]

إن عالم الشهادة، أو كتاب الكون في جريان وفي تغير مستمرين.وهو يتابع كلامه فيقول:

" أما "لوح المحو والاثبات" فهو سجل متبدل للّوح المحفوظ الاعظم الثابت الدائم، ولوحة "كتابة ومحو" في دائرة الممكنات أي هو سجل للاشياء المعرضة دوماً إلى الموت والحياة، إلى الفناء والوجود. بحيث ان حقيقة الزمان هو هذا.نعم! فكما ان لكل شئ حقيقة، فحقيقة ما نسميه بالزمان الذي يجري جريان النهر العظيم في الكون هي في حكم صحيفة ومداد لكتابات القدرة الإلهية في لوح المحو والاثبات". [٧١]

وعند قيامه بشرح هذه المفاهيم القرآنية وبيان استمرار الخلق ودوامه في اسلوب واضح ومتدفق، يقوم بديع الزمان في الوقت نفسه بالإجابة أيضا على " الفلاسفة وعلى فلسفتهم الفارغة". وفي كل

نقطة يتناولها يشير إلى سهولتها وضرورتها وعلى عبث واستحالة شرحها بالعلم أو بالفلسفة المادية. ويقول حول حركة الذرات:

" ان تحولات الذرات مربوطة بالمصادفة. حتى اتخذوها قاعدة مقررة لدساتيرهم كلها، جاعلين منها مصدر ايجادٍ للمخلوقات الربانية!

فالذي يملك ذرة من الشعور يعلم يقيناً مدى بُعدهم عن منطق العقل، في اسنادهم هذه المخلوقات المزدانة بحِكَمٍ غزيرة، إلى شئ مختلط عشوائي لا حكمة فيه ولا معنى".[٧٢]

وحسب رأي بديع الزمان: " أن الفلاسفة وارباب الضلالة والغفلة! قد شعروا بوجود اللوح المحفوظ للقدرة الإلهية الفاطرة، وأحسّوا بمظاهر ذلك الكتاب البصير للحكمة الربانية، وارادتها النافذة في الاشياء، ولمسوا صُوَره ونماذجه، إلاّ انهم اطلقوا عليه اسم "الطبيعة" - حاش لله فاخمدوا نورَه".[٧٣]

ولكن ما نطلق عليه تعبير واسم " الطبيعة" هي محصلة وخلاصة مجموع القوانين الإعتبارية الجارية في الكون"[٧٤] الذي هوالشريعة الكبرى للخلق، وهو متمم للشريعة المعروفة والصادرة عن صفة الكلام والتي تنظم سلوك وتصرفات الإنسان "فهي شريعة فطرية، تجلٍّ للإرادة الإلهية في ادارة الاكوان.. ولكن يسمى خطأ بالطبيعة"[٧٥]

وبهذه الأدلة حول الوحدانية الإلهية والحقائق الاخرى كالقدرة والعلم والارادة الإلهية ذكر بديع الزمان أنه سدد ضربات مميتة على مفاهيم الطبيعة والسببية والصدف التي تشكل قاعدة العلوم المادية والفلسفة المادية، وقال:" لقد اقتحمت قلاعهم الحصينة التي يسمونها العلوم الطبيعية او الحديثة ".[٧٦]

إن القيام بايراد جميع أدلته وبراهينه خارج مهمة هذا البحث. وبعد أن رأينا كتابة الكتاب أعلاه علينا أن نضيف بعض التفاصيل القليلة لكتاب الكون لكي نتذكر أن مواد وفقرات الاوامر للقوانين المعروفة باسم " الشريعة التكوينية " قد أطلق عليها خطأ اسم " قوانين الطبيعة ". وهذه القوانين لا تملك وجودا ذاتيا أوماديا، بل هي مجرد تجليات الارادة الالهية، وهي موجودة كعلم فقط وهوتعبير عن قيام القدرة الإلهية بالعمل.وكما قال بديع الزمان في تعريفه المشهور للطبيعة:

"ان الطبيعة التي يتعلق بها الطبيعيون - ذلك الأمر الموهوم الذي ليس له حقيقة- إن كان لابد أنها مالكة لوجود حقيقي خارجي فان هذا الوجود هو:

صنعة صانع ولن يكون صانعاً، وهو نقشٌ ولن يكون نقاشاً، ومجموعة احكام ولن يكون حاكماً، وشريعة فطرية ولن يكون شارعاً، وستار مخلوق للعزة، ولن يكون خالقاً، وفطرة منفعلة ولن يكون فاطراً فاعلاً، ومجموعة قوانين ولن يكون قادراً، ومِسطَر ولن يكون مصدراً".[٧٧]

النتيجة

إن مفهوم كتاب الكون لم يكن من مبتدعات بديع الزمان، ففي كتابه "المحاكمات" وهو من أوائل كتبه المطبوعة يقتبس بعض السطور عن " الشيخ تحسين" [٧٨]والتي تبدأ بـ "إن الأبعاد الشاسعة غير المتناهية صحائف كتاب العالم".[٧٩] ولكن الشيء الأصيل الذي جاء به هو وضعه لطريقة جديدة أو

منهجية جديدة في شرح القرآن مستندة إلى العقل والى المنطق والى التفكير التأملي في الكون والذي رمز له باستعارة " الكتاب". لقد كان هذا في الحقيقة سمة بديع الزمان، لأنه لم يكن " مبتدعا " بل " مجددا ".ولكونه يأخذ إلهامه من القرآن مباشرة فإن منهجيته في شرح " قرآن الكون " يسرت القيام بشكل موضوعي بتقديم المئات من الأدلة المقنعة حول حقائق تعليمات القرآن، وفتح بهذا طريقا أصيلا وصادقا وشاملا لعبادة الله ومعرفته. وهذا الطريق مفتوح للجميع ويخاطب الجميع مهما كان وضعهم، ويشير في كل شيء إلى الطرق المؤدية إلى الله. ذلك لأن بديع الزمان يرى أن تيارات عديدة ضللت العالم الحديث، وأن " الإيمان التحقيقي " - وفي مقدمته الإيمان بالوحدانية الإلهية - هو أهم ما يحتاجه الانسان المعاصر حاليا.

وعندما يشرح بديع الزمان كلمات وصفحات كتاب الكون مستعملا معلوماته العلمية الشخصية، يبين لنا ليس عدم وجود أي تناقض او تضاد بين العلم وبين الدين بل إننا إن استهدفنا معرفة معاني هذه الكلمات ومعاني هذه الصفحات بالطريقة القرآنية فستزداد معرفتنا بالله. وكل قسم تقريبا من رسائل النور يعلمنا كيف ننظر وكيف " نقرأ " الكون المادي.

وحسب ما يقول بديع الزمان فلا يوجد هناك تقريبا من لم يتأثر بالأفكار الزائفة للفلسفة الغربية وبزاوية النظر الزائفة الغربية للعلوم. حتى أنه قال:" وحيث ان الاعتراضات والشبهات المتراكمة حول الإيمان والقرآن - التي يثيرها فلاسفة اوروبا منذ ألف سنة - قد وجدت سبيلها إلى قلوب المؤمنين، فيهاجمون بها اهل الايمان، ويحاولون بذلك زعزعة الاركان الايمانية التي هي اساس السعادة الابدية، ومدار الحياة الباقية، ومفتاح الجنة الخالدة. فلابد إذاً - وقبل كل شئ - أن نزيد إيماننا قوة ونحوّله من ايمان تقليدي إلى ايمان تحقيقي".[٨٠] ويظهر من هذا ضرورة وأهمية قيام الانسان بتأمل مفهوم القرآن المتعلق بالإشارة إلى الشؤون الإلهية في الكون وفي الإنسان، وأن يستخرج الدروس منه لاسيما في هذا العصر الذي هو عصر العلم والمادية. وهكذا فإن مفهوم كتاب الكون والامور التي أشرنا إليها في هذا المجال يتعلق بهذه المسألة في المقام الاول. وفي رايي يمكن عد هذا تناولا عصريا للقرآن يشرح مفهوما للقرآن متوجها للعصر الحديث في الاخص.

الهوامش:

٢ استعمل تعبير " التفكر"هنا بمعناه الواسع الذي يتضمن "التفكر، والتفكير المنطقي، والتدبر، والتأمل، والانتقاد.."

ويظهر ان بديع الزمان استعمل هذا التعبير بهذا المفهوم لدى الإشارة إلى العديد من البراهين الموجودة في رسائل النور مثل: اللمعة التاسعة والعشرين"رسالة التفكر" التي تحتوي على خلاصة براهين عديدة استعملها في اماكن اخرى من رسائل النور "انظر إلى اللمعات٤٥٤-٥١٥" والآية الكبرى التي سماها سياحة فكرية "الشعاعات١٣٣" وزهرة اميرداغ التي وصفها بأنها "عبادة فكرية" لتعلقها بالقرآن الكريم "الشعاعات٣٠٢" والحجة الزهراء "الشعاعات٦٢٦" الذي وصفها ثمرة فردوسية أينعت من حياتي التأملية ومن اتحاد

علم اليقين وعين اليقين في حياة النور المعنوية التحقيقية.
٣ سيرة ذاتية ص ٦٣
٤ صيقل الإسلام - محاكمات ص ٢٤
٥ صيقل الإسلام - محاكمات ص ٢١
٦ سيرة ذاتية ص ٦٥
٧ المكتوبات ص ٤٧٥
٨ اشارات الإعجاز ص ٢١
٩ صيقل الإسلام - محاكمات ص٢٣
١٠ ملحق اميرداغ "بالتركية" ص ٤٢
١١ قام بترجمة المثنوي العربي النوري إلى التركية شقيق الاستاذ النورسي الملا عبد المجيد
١٢ والرسائل التي يتضمنها المثنوي هي:قطرة، حبة، شمة، ذرة، حباب، زهرة، شعلة،
١٣ المثنوي العربي ص٣٥
١٤ اللمعات ص ٣٦٧
١٥ المثنوي العربي ص ١٧
١٦ المثنوي العربي ص٣١٨
١٧ المثنوي العربي ص ٢٠٦
١٨ المثنوي العربي ص٣١
١٩ انظر تخريج الاحياء ٥٨/١ وكشف الخفاء ٣١٠/١ والاحاديث المشكلة ص١١٣.
٢٠ اللمعات/٤٥٦-٤٥٧
٢١ المثنوي العربي ص٣١
٢٢ المثنوي العربي ص٣٢
٢٣ المثنوي العربي ص١٠٥
٢٤ المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان النورسي متكلم العصر الحديث - د. محسن عبد الحميد ص٦٩٧-٧٠١
٢٥ ملحق اميرداغ "بالتركية" ص١٤٦
٢٦ التصديق: هو ان تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر. بينما التصور: هو ادراك المعرفة من غير ان يحكم عليها بنفي أو إثبات وفي المنطق: التصديق هو ادراك النسبة التامة الخبرية على وجه الاذعان. والتصور: ادراك ما عدا ذلك..
٢٧ مأخوذة من قوله تعالى: "**قل لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا**".
٢٨ التحقيق: اثبات المسألة بدليلها بينما التقليد: قبول قول الغير بلا حجة ولادليل..
٢٩ الشهادة: هي اخبار عن عيان. والشهود: هو معرفة الحق بالحق. اما المعرفة: فهي ادراك الشئ على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم.
٣٠ الأذعان: عزم القلب، والعزم جزم الارادة.
٣١ المكتوبات ص٤٨٦
٣٢ الشعاعات ص١٨٢

٣٣ الشعاعات ص ٣٥
٣٤ الشعاعات ص١٤
٣٥ الكلمات - اللوامع ص٨٤١
٣٦ الشعاعات ص٦٥
٣٧ الشعاعات ص٩٠
٣٨ اللمعات ص ٥٢٨-٥٢٩
٣٩ اشارات الإعجاز ص ٢٢
٤٠ المثنوي العربي ص ٧٢
٤١ الكلمات ص ١٤٣
٤٢ اللمعات ص١٩٦
٤٣ انظر مثلا: المسألة السادسة والتاسعة والحادية عشرة من الشعاع الحادي عشر - الشعاعات.
٤٤ لأجل التفاصيل انظر الآتي.
٤٥ الشعاعات ص١٨٨
٤٦ المثنوي العربي ص١٠٩
٤٧ اللمعات ص٢٠٨
٤٨ الشعاعات ص ٩٢
٤٩ الكلمات ص ٦٨٨
٥٠ اللمعات ص ٥٣٠
٥١ المثنوي العربي ص٤٢٣
٥٢ انظر الايات الكريمة مثلا:٣٠/٢٠،٨-٥٩،٥٥/١٦،٢١/٦٩،٤٤،١١
٥٣ انظر الكلمة الخامسة والعشرين
٥٤ الشعاعات ص ١٣٥
٥٥ الذاريات:٥٦
٥٦ الملاحق- قسطموني ص ٢٠٨
٥٧ الشعاعات ص ١٤٥-١٤٦
٥٨ المثنوي العربي ص ١٠٥
٥٩ الشعاعات ص ١٧٠
٦٠ الشعاعات ص ٦٦٥
٦١ الشعاعات ص ٢٣٩
٦٢ الشعاعات ص ٦٣٦-٦٣٧
٦٣ المثنوي العربي ص ٢٨٦-٢٨٧
٦٤ الكلمات ص ٥٤٩
٦٥ الكلمات ص ٥٥٠
٦٦ الكلمات ص ٥٥٠
٦٧ الكلمات ص ٦٥٢

٦٨ المثنوي العربي ص ٢٧٩
٦٩ اللمعات ص ٢٩٥
٧٠ الكلمات ص ٦٥٢
٧١ الكلمات ص ٦٥٢
٧٢ الكلمات ص ٦٥٥
٧٣ الكلمات ص ٦٥٢
٧٤ المثنوي العربي ص ٤٢٥
٧٥ الكلمات - اللوامع
٧٦ المكتوبات ص ٩٠
٧٧ اللمعات ص ٢٨٣
٧٨ اصله من ألبانيا درس العلوم الحديثة في باريس ثم اصبح مديراً لدار الفنون "الجامعة" باستانبول. عالم فاضل وشاعر رقيق الاّ انه لم يطبع له ديوان. توفي سنة ١٢٩١ رومي.
٧٩ صيقل الإسلام - محاكمات ص ١٣٣
٨٠ الشعاعات ص٢١٢

الحوار والتعاون بين المسلمين والنصارى في فكر بديع الزمان النورسي

أ.د.توماس ميشل[1]

انه لشرف لي ان أدعى إلى هنا لتقديم محاضرة في الندوة العالمية المعنونة: "نحو فهم عصري للقرآن الكريم: انموذج رسائل النور".

يجب ان اعترف منذ البداية بانني لا أعد مختصاً في افكار بديع الزمان سعيد النورسي، وانا ادرك بان وجودي في هذه الندوة هو بصفة طالب وليس بصفة "عالم" في الموضوع. وانا اتطلع إلى ان اعمق فهمي للقرآن على ضوء تفسير المفكر الإسلامي الكبير بديع الزمان سعيد النورسي وطريقة فهمه وتناوله واقترابه منه.

في اثناء قراءتي لمؤلف سعيد النورسي الذي يبلغ عدة مجلدات وجدت كثيراً من وجهات النظر التي رنّت في اعماقي. لقد اكتشفت في كتابات هذا المفكر المسلم - الذي نذر نفسه لله -كثيراً من النقاط المتماسة والمتلامسة مع ايماني باله واحد أحد، هذا اضافة إلى ساحات عديدة ايضا، حتى انني تمنيت ان اعرف سعيد النورسي شخصيا لكي القي عليه بعض الاسئلة واستفيد من اجاباته.

ليست غايتي من هذه المقدمة القصيرة القيام بمسح شامل للخطوط العريضة لأفكار سعيد النورسي، ولا وضع قائمة للمجالات والساحات العديدة التي قدم فيها وجهات نظر جديدة وقيمة، بل القيام بالقاء نظرة متفحصة على نقطة واحدة وهي "الحوار والتعاون بين المسلمين وبين النصارى في فكر بديع الزمان النورسي" فطوال سنوات عديدة وحتى في اللحظات التي اشتد فيها التوتر بين النصارى وبين المسلمين -مثلما حدث في اثناء الحرب العالمية الاولى والسنوات التي تلتها- كان سعيد النورسي مفكراً يحاول حل مشكلة الحوار بين المسلمين وبين النصارى. ان نفاذ بصيرته متوافق مع فكرنا، وكثير من وجهات نظره حول الموضوع يحمل الآن ثماره المباركة بين المسلمين وبين جماهير النصارى المؤمنة كما آمل.

اتفاق المسلمين والنصارى حول نقد المدنية:

من ابرز الأهداف والمهمات في كل جماعة من المؤمنين بالله هو مواجهة تحديات العصر. فكل عصر من عصور التاريخ يقدم سلسلة من التحديات الخاصة به، ذلك لان الناس في جميع العهود والادوار التاريخية وكذلك جميع المنتسبين إلى أي اطر ثقافية يخضعون على الدوام لاغراء بوضع قيمهم واهوائهم محل القيم التي تجلب رضا الله تعالى.

وقد طبع الإيمان النصراني بمجابهة السيد المسيح "عليه السلام" لشرور عهده، وكان اهمها التواطؤ الذي تم بين القوة الحاكمة وبين القيادة الدينية، والعقلية التي اعطت وزنا اكبر للتقيد بالقانون الوضعي ورجحته وفضلته على قيم الرحمة والشفقة والمحبة. وهذه القيادة الدينية كان لها طابع الاحتكار والاقتصار على فئات معينة لها افضلية على الآخرين، بينما أهمل الفقير والغريب والمرأة والافراد غير المتضلعين وغير المدركين لرقة الدين ولطفه. وشبيه بهذا العرف الإسلامي الذي

قام على نضال محمد (ص)[٢] ضد قيم الكفار في الجزيرة العربية في عهده. واهم قيم الكفر هذه هي عدم الحاجة إلى الله وعدم الإيمان بحياة خالدة، والغطرسة والغرور. كما كانت عبادة الاوثان هي الدين التقليدي للعهد الجاهلي، كما كان هناك ظلم الاقوياء للعبيد وللنساء ولليتامى وللمنبوذين ولابناء السبيل.

وقد انتج عصرنا الحالي تحدياته الخاصة ضد المخلصين من المؤمنين بالله الذين يبتغون رضا الله تعالى في كل شئ. ونستطيع تلخيص هذه التحديات فيما يعرف بـ "المدنية الحديثة". هذه المدنية ليست كلها شرور، فقد جلبت منافع عديدة للبشرية، وليست جميع قيمها ضد الله وضد مشيئته لانها تؤكد وتؤيد كثيراً من السجايا والخصال الانسانية الجيدة. ولكن المدنية الحديثة – على اي حال- تؤيد طريقة في التفكير لا يحتاج فيها الناس أي حاجة لله. ولا يقتصر الأمر على هؤلاء الناس الذين لا يحسون باي حاجة لعبادة الله وحمده وشكره وطلب العون منه، ولكنهم في الاغلب لا ينظرون إلى كتاب الله وتعاليمه كمرشد لهم في دروب الحياة، بل يختارون في هذا السبيل افكارهم وتصوراتهم وفلسفاتهم وايدولوجياتهم الشخصية.

اما الذين يرغبون في السير في كل شأن من شوؤن حياتهم على ضوء رضا الله ومشيئته فلا مناص امامهم من نقد هذه المدنية الحديثة. وقد ادرك سعيد النورسي - الذي يعد مفكراً رائداً في قرننا الحالي - ضرورة قيام المسلمين والنصارى معاً بصياغة نقد لقيم الحداثة والمعاصرة. وقد صرح سنة ١٩٤٦ أي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بقليل بما يأتي:

"في الوقت الحاضر يجب الإتفاق ليس فقط مع الأخوة المسلمين، بل حتى مع الروحانيين المتدينين من النصارى وعدم الإلتفات إلى مسائل الإختلاف وعدم الخوض في المنازعات؛ ذلك لأن الكفر المطلق يشن هجومه"[٢]

يرى سعيد النورسي ان الد الخصوم لسعادة الانسانية وللاستقامة الخلقية هو الكفر والزندقة. أي ما يشيع بين الناس الذين يقررون تعيين طرقهم في الحياة بانفسهم دون اللجوء إلى الارشاد الالهي ودون اعارة أي اهمية لرضا الله ومشيئته، ولا للنظام الحكيم الذي وضعه للانسانية. فهؤلاء لا يريدون التخلي عن رغباتهم واهوائهم وافكارهم الحبيبة إلى نفوسهم، ولا اخضاعها لتعاليم الله حول الطبيعة الانسانية ومصيرها. وفي اثناء البحث عن طريق الهي للحياة في العصر الحديث يجد المسلمون ان حلفاءهم الطبيعيين الذين يقفون في هذا الأمر إلى جانبهم هم النصارى الخاضعون والمتعلقون بتعاليم السيد المسيح "عليه السلام" الذين يرغبون في العيش في ظل الحقيقة.

وحسب رأي سعيد النورسي فانه في مواجهة الالحاد الظالم فان على المسلمين الاتحاد "ليس فقط مع اخوتهم في الدين، بل ربما حتى مع النصارى المتدينين الحقيقيين ومع الروحانيين منهم"[٣]

لو تحقق مثل هذا الجهد الجماعي واصبح ممكناً عند ذلك سيقوم النصارى والمسلمون بالاحجام عن النقاشات والمجادلات الموجودة بينهما ولو لبعض الوقت. وعندما يقدم النورسي هذا الاقتراح فانه لا يعني انه لا يوجد أي خلافات بين المسلمين والنصارى، ولا ان هذه الاختلافات غير مهمة. فالحقيقة ان هناك اختلافات مهمة بين الإيمان النصراني والإيمان الإسلامي. ولكن وجهة نظره -

---

[٢] كلمة (ص) موضوعة من قبلنا. (المترجم)

التي اوافقه عليها - تقوم على ان التركيز على هذه الاختلافات والفروق قد تؤدي إلى تعمية انظار المسلمين والنصارى عن الهدف الأهم الذي يتقاسمونه بينهما، وهو تقديم نظرة انسانية جديدة للحياة الانسانية وللمجتمع الانساني إلى العالم الحديث يكون الله فيه هو المحور، وتكون المشيئة والارادة الإلهية هي المعيار والنموذج للقيم المعنوية. يجب الا يخطر على بال أحد بان سعيد النورسي شخص تقليدي وضد المعاصرة والحداثة وانه يحاول ارجاع الزمن إلى الماضي، فهو يدرك ان للمدنية الحالية "محاسنها ورقيها"[٤] وهذه المحاسن والقيم الايجابية ليست نتاج اوروبا وحدها. بل هي ملك للجميع وظهرت نتيجة: "تلاقح الأفكار الانسانية"، أي من تمازج الأفكار مع بعضها ومن قوانين وتعليمات الاديان السماوية ومن الحاجات الفطرية ولا سيما من الانقلاب الإسلامي الذي احدثته الشرائع المحمدية". وليس للمتدينين أي مشكلة مع هذه القيم الايجابية للحضارة الحديثة ولا أي خصام، بل يقبلونها ويبتهجون من المنافع التي جلبتها هذه الحضارة للانسانية. بجانب تقييمه الدقيق للحضارة نرى تقييمه الحاذق والماهر لاوروبا كممثل رئيس للحضارة الحديثة "طبعاً لامريكا ايضاً الداعية النشطة لهذه الحضارة". لا يحمل النورسي كرهاً مذهبياً او نظرياً لاوروبا، ولكنه يلاحظ ان دورها ومساهمتها في الحياة المعاصرة دور غامض ويحتاج ادراكه إلى فطنة والى بصيرة. ففي جانب يرى ان اوروبا جلبت خيراً كثيراً للعديد من الناس، ولكنها تسببت من جانب آخر في احداث اضرار كبيرة ومفاسد للحياة الانسانية. فهو يرى أن تيارات فكرية عديدة في التاريخ الغربي ساعدت على ظهور الجوانب السلبية للحضارة المعاصرة، بل مكنتها من السيادة والغلبة على الجوانب الجيدة منها.

كان هناك تطوران بهذا الاتجاه:

الاول: ان الحضارة الغربية - حسب رأي سعيد النورسي - اصبحت بعيدة وغريبة عن النصرانية الحقيقية، وأرست نظرتها للفرد وللمجتمع على المبادئ التي ترى ان الانسان هو محور الكون ومركزه، أي على الفلسفة اليونانية - الرومانية التي ترفع الفرد الانساني إلى مركز الكون وتبعد الله عنه وتجعله شيئاً هامشياً.

الثاني: ان الحضارة الغربية ارست قواعدها على سياسة وقوانين السوق المنفلتة عن أي رقابة مما أدت الى: "فروق ظالمة وكبيرة في الحياة المعيشية".[٥]

لذا ففي نظر المؤمنين بالله هناك وجهان لاوروبا: "اوروبا الحسنة" و"اوروبا السيئة او القبيحة" فكما قال في ١٩٣٣ - ١٩٣٤:

"ان اوروبا اثنتان:

احداهما: هي اوربا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدّت خدماتٍ لحياة الانسان الاجتماعية، وبما توصلت اليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والانصاف، فلا أخاطب - في هذه المحاورة - هذا القسم من اوربا. وانما أخاطب اوربا الثانية تلك التي تعفّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحَسبِتْ سيئات الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت مساوءها فضائل. فساقت البشرية إلى السفاهة وأردتها إلى الضلالة والتعاسة" [٦]

وقد ذكر ان هذا التيار السلبي استهدف تنفير المسلمين والنصارى من مصدر ومنبع القيم

الروحية والمعنوية وذلك بخلق العداوة بين المسلمين وبين النصارى.لذا فعلى جميع المؤمنين بالله من الذين يستهدفون وضع الإيمان بالله في لب الحياة وفي مركزها ادراك مدى الخطورة الموجودة هنا، فهو يقول:

"من الضروري للروحانيين االنصارى "رجال الدين النصارى" وللنصارى الورعين ولطلاب النور ان يكونوا على وعي تام. ذلك لان التيار القادم من الشمال "الشيوعية" سيحاول هدم الاتفاق بين الاسلام وبين المبشرين وذلك دفاعاً عن نفسه ضد هجوم الدين الإسلامي والنصرانية عليه" ولم يكن من الصدف صدور هذا التصريح من سعيد النورسي في ١٩٤٥ - ١٩٤٦ عندما كانت الشيوعية الملحدة قد انتشرت في اوروبا الشرقية.

ان المدنية الحالية في رأي النورسي كنظام للقيم نتاج منابع ومصادر عديدة، وهي على الرغم من ماهيتها الواضحة الجودة في صدام وعداء مع التعاليم الإلهية في اكثر الاحيان. وليست جميع مصادر الحداثة والمعاصرة انسانية، فالظاهر ان جزءاً منها نتيجة ايحاءات شيطانية. وهو في تفسيره للآية الكريمة:

"يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"

يقول: "ان الافراد والجماعات مع انهم قد عجزوا عن معارضة القرآن إلاّ أن المدنية الحاضرة التي هي حصيلة افكار بني البشر وربما الجن ايضاً قد اتخذت طوراً مخالفاً له واخذت تعارض اعجازه باساليبها الساحرة" [٧]

في هذه الحالة فان القرآن ينصح ويوصي بالوصول والاتفاق على "كلمة سواء" مع اهل الكتاب، وهذا معناه وصول المسلمين والنصارى إلى وعي وادراك متبادل ومشترك بان للمجتمعات المؤسسة على الإيمان بالله هدف مشترك وهو ان تكون شاهدة على القيم الإلهية وسط الحضارة الحديثة، وذلك بعيدا عن زعم "صدام الحضارات" بل عليها مهمة العمل المشترك لادامة الحوار الانتقادي الحاسم مع انصار الحداثة.

التوترات بين النصارى و المسلمين:

ان من الحقائق المؤسفة للتاريخ الانساني ان النصارى والمسلمين على الرغم من طبيعتهم المشتركة كمام تعبد وتطيع الاله الواحد نفسه... على الرغم من هذا فقد تورطوا في خلافات وخصومات، بل حتى في حروب بينهما.ونظر احدهما إلى الآخر كعدو يجب ان يقاوم ويتغلب عليه. وهكذا فان طاقة كلا الطرفين التي كان من المفروض استخدامها بشكل تعاوني في انشاء المجتمعات المرتبطة بتعاليم الله.... هذه الطاقة تبددت نتيجة الشكوك المتبادلة وحب الهيمنة والسيطرة في بحر من الدماء، وفي الكتب التي كتبها في اواخر الحرب العالمية الاولى عندما وصل التوتر والمذابح إلى ذروتها بين المسلمين والنصارى - قدم سعيد النورسي طريقاً آخر لحل هذه العقدة المستعصية.

استقبل منتسبو العشائر الكردية في شرقي الاناضول فكرة اعطاء الحرية للروم وللارمن بالنفور والكراهية، وسألوا سعيد النورسي عن رأيه في هذا الخصوص. ولم يؤكد جوابه على ان الشريعة الاسلامية تأمر باعطاء حق الحرية لهؤلاء النصارى، بل عكس الموضوع على منتسبي هذه

العشائر داعيا اياهم لادراك ان المشكلة الاعمق تكمن في قلب ولب جهلهم وقساوة قلوبهم. قال لهم: **"**ان حريتهم الاّ يُظلَموا، ولايُخلّ براحتهم، وهذا أمر شرعي. أما مازاد على هذا فهو تعدّ منهم تجاه طيشكم وسوء تصرفكم، أو استغلال لجهلكم.**"**[٨] واردف النورسي قائلاً بان عدوهم الحقيقي ليس هذه الجماعة من النصارى او تلك، بل هو"الجهل والفرقة والفقر" واذا ما نظر إلى تحليل له آخر فانه يبين ان وضع الانحطاط الذي سقط فيه الجميع، قد ترأسته "جمعية تشكلت برئاسة "الجهل" آغا و"العناد" أفندي، و"الغرض" بك، و "الانتقام" باشا و"التقليد" حضرتلرى ومسيو " الثرثرة"،"[٩]

وانا كمسيحي اجد هذا التقييم "الذي يصل إلى لب وجوهر المشكلة" مشابهاً لما قرأته في احدى كتابات القديس بولص عندما ذكر: "ان معركتنا ليست موجهة ضد القوى الانسانية، بل هي موجهة للقوى السوداء التي تحكم هذا العالم".

بعبارة اخرى فان اعمق مستويات نضالنا وكفاحنا في سبيل بناء مجتمعات تحقق مشيئة الله وتتمتع بتناغم وائتلاف وسلام يجب ان يوجه نحو اعدائنا الحقيقيين الذين ليسوا هم الناس الآخرين، بل هي قوى الجهل والفقر والعدوان التي تحجب قوى القدرة على الفهم والادراك عندنا جميعا، وتمنعنا من التصرف حسبما ينبغي. ولا توجد قوى الظلام هذه خارج انفسنا، بل هي موجودة في قلوبنا. ولذا أكد الاسلام والنصرانية على التوبة "في اليونانية metanoia " كمفتاح للتحولات الاجتماعية.

ورسالة سعيد النورسي لا تزال سارية وصحيحة حتى في ايامنا الحالية، مثلما كانت سارية وصحيحة عند كتابته لهذه الكلمات قبل ثمانين عاماً. فلا تكمن جذور التوترات والخصومات بين المسلمين وبين النصارى في الوقت الحاضر في الطبيعة الشريرة للآخرين، بل في الرغبات الانانية للسيطرة وللهيمنة على الآخرين وفي مشاعر الثأر والانتقام. وبهذا المفهوم فان تحرر الآخرين من "قوى الظلام" هذه جزء من تحرر انفسنا او كما قال سعيد النورسي:

"حرية غير المسلمين هي شعبة من حريتنا"[١٠]

جزاء الشهداء الابرياء:

في كتابته في اثناء اكثر الادوار التاريخية المأسوية للاناضول،[١١] لم يكن بمقدور سعيد النورسي تجاهل حقيقة موت العديد من الناس الابرياء. وقد كان له فضل وشرف الارتفاع والسمو فوق المشاعر الطائفية والاخلاص الطائفي عندما اشار إلى الضحايا النصارى علاوة على الضحايا المسلمين الذين سقطوا قتلى في تلك الاثناء: "ان هذه المصائب وامثالها ينطوي تحتها نوع من الرحمة والمجازاة - حتى على الكافر - بحيث يهوّن تلك المصيبة، فتظل هينة بسيطة بالنسبة اليهم. واصبح هذا التنبيه مرهماً شافياً لإشفاقي المؤلم"[١٢]

عندما رأى سعيد النورسي المصائب والويلات التي يقاسيها الناس الابرياء أحس بعاطفة قوية من الحنو والشفقة والرحمة على هؤلاء: "لقد مسّ مسّاً شديداً مشاعري واحاسيسي المفرطة في الرأفة والعطف ما اصاب الضعفاء المساكين من نكبات وويلات ومجاعات ومهالك من جراء هذه الطامة البشرية التي نزلت بهم وفي هذا الشتاء القارس..."

ورأى وعَدَّ ان هؤلاء الابرياء الذين ماتوا في تلك الظروف القاسية "هم نوع من الشهداء مهما

كانت عقيدتهم الدينية" و "أن جزاءهم ومكافأتهم ستكون كبيرة وستنقذهم من جهنم"

ويختم كلامه قائلاً: "لأن الدين - ولاسيما الاسلام - يُستر بستار اللامبالاة في آخر الزمان، وان الدين الحقيقي لسيدنا عيسى عليه السلام سيحكم ويتكاتف مع الاسلام. فيمكن القول بلا شك ان ما يكابده المظلومون من النصارى المنتسبين إلى سيدنا عيسى عليه السلام والذين يعيشون الآن في ظلمات تشبه ظلمات "الفترة" وما يقاسونه من الويلات تكون بحقهم نوعاً من الشهادة"[١٣]

ان الذين ظلموا واضطهدوا الآخرين وارتكبوا الجرائم في حق جيرانهم سيعاقبون من قبل الله. وعلى العكس من هذا فان "الذين سارعوا في اغاثة هؤلاء المظلومين الذين عانوا من آلام النكبات وناضلوا وكافحوا في سبيل السعادة البشرية وفي سبيل حفظ الاسس الدينية والمقدسات السماوية والحقوق الانسانية فلا شك انهم سيحصلون على الثمرات المادية والمعنوية الكبيرة جراء تضحياتهم، وستكون تلك المصائب سبباً في اعلاء منزلتهم وجلب السعادة لهم".

ان الرغبة في الفهم وفي المشاركة في مشاعر الآخرين وما يقاسونه، واكتشاف الخير والحسنات لدى الجماعات التي تعتنق اديانا اخرى علامة واشارة إلى انه شخص يسير في هدى التعاليم الالهية. ان معظم الافراد المتدينين يقتصرون عادة على ذكر محن جماعتهم او ذكر مآثرهم ومنجزاتهم، ولا يستطيعون تخطي هذا الأمر. ولكن موقف سعيد النورسي في سياق كلامه هذا حول "الشهداء" النصارى يذكرني بما قاله البابا بولس السادس سنة ١٩٦٩ عندما أشار إلى النصارى الاوغنديين الذين ضحوا بحياتهم في العصر الأخير ولم يرضوا الارتداد عن دينهم وايمانهم، وجلب انتباه مستمعيه إلى حقيقة وجود كثير من المسلمين في ذلك القطر ممن فضلوا الموت على خيانة ايمانهم الإسلامي او قبول أي تسوية مذلة، وقال بان الطرفين كانا مثالين للشهداء الحقيقيين في سبيل الإيمان بالله.

المصالحة والصداقة بين المسلمين والنصارى:

كان سعيد النورسي يدرك بان العلاقات بين المسلمين وبين النصارى لا تقتصر على مجرد تحالف المؤمنين في نقد وفي مواجهة خطر ايدولوجية المعاصرة والحداثة، او حل التناقضات او التعاطف مع الضحايا الابرياء، بل وجوب سير هذه العلاقات باتجاه السلام والمصالحة وحتى الصداقة. فقبل وفاته بخمس سنوات عندما قام بتأييد "حلف بغداد" قال بان فائدة هذا الحلف لا يقتصر في ان الاتراك كسبوا "٤٠٠" مليوناً من الاخوان ومن الاخوات من بين المسلمين بل ان هذا الاتفاق العالمي أكسب الاتراك المسلمين صداقة "٨٠٠" مليون مسيحي[١٤] وانه خطوة نحو مزيد من السلم الذي نحتاجه ونحو مزيد من المصالحة بين هاتين الجماعتين المؤمنتين. وفي سنواته الأخيرة بذل سعيد النورسي جهوده الشخصية في انشاء المصالحة والصداقة مع النصارى، فأرسل في سنة ١٩٥٠ مجموعة من كتبه إلى البابا بيوس الثاني عشر في روما وتسلم جوابه في ٢٢ شباط سنة ١٩٥١ مع رسالة شكر شخصية. وان الشخص المراقب يلاحظ بانه لم يمر الا عشر سنوات على هذه الرسالة حتى اعلنت الكنيسة الكاثوليكية عند انعقاد المجلس الكنسي الثاني للفاتيكان احترامها وتقديرها للمسلمين وأكدت بان الاسلام كان طريقاً اصيلاً وحقيقياً للخلاص والنجاة.[١٥] وبالطريقة نفسها وبعد سنوات قليلة قام سعيد النورسي بزيارة البطريق "أثوناكروس" في سنة ١٩٥٢ في اسطنبول للبحث عن طريق للتعاون بين المسلمين وبين النصارى لمواجهة الالحاد الظالم.

وقبل سنوات عديدة وبالضبط في ١٩١٠ - ١٩١١ سئل سعيد النورسي عن اسباب رغبته في اقامة علاقات صداقة مع النصارى. وقد جوبه بالآية **"يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء"** "٥:٥١" من قبل بعض المسلمين الذين فسروا هذه الآية ضمن حدود ضيقة وقيل له: كيف تقول اذن بان على المسلمين والنصارى ان يكونوا اصدقاء؟.

ان جوابه يلقى ضوءاً ليس على رغبة سعيد النورسي في تقوية المحبة والصداقة بين المسلمين وبين النصارى، ولكن ايضاً على طريقة فهمه للتفسير القرآني. فهو يرى ان هذا التحريم ليس عاماً بل هو مطلق، لذا يمكن تقييده وحصره، اذ قال: "ان الزمن مفسر كبير، فان اظهر قيده فلا يمكن الاعتراض عليه" أي ان توضحت مسألة خلال الزمن فلا يمكن الاعتراض عليه "ثم ان كان الحكم مشتقاً فان مأخذ الاشتقاق يكون علة الحكم".

عند تطبيق هذا المبدأ على تفسير هذه الآية يرى بان حظر الصداقة مع اليهود والنصارى يكون جارياً عندما يظهرون ويعكسون يهوديتهم او نصرانيتهم فقط، ويختم كلامه بالقول كما ان كل سلوك وتصرفات الفرد المسلم لا تعكس بالضبط تعاليم الاسلام، كذلك فان جميع سجايا اليهود والنصارى لا تعكس الكفر بالضرورة فان وجد المسلمون في يهودي او في مسيحي سجايا متوافقة مع تعاليم الاسلام فعليهم الاشادة بهذه السجايا. وهذه السجايا الحميدة هي التي تؤلف وتؤسس قاعدة الصداقة مع اليهود والنصارى. وهو يُسال: أمن الممكن ان يحب المسلم نصرانيا أو يهوديا ؟ ويجيب على السؤال بمثال رجل له زوجة من أهل الكتاب:"لا شك انه يحبها"[١٦] وحجته في هذا هي حقيقة ان سماح القرآن للمسلم بالتزوج من امرأة يهودية او نصرانية يدل على انه يحتم عليه ان يحبها.

رجوع المسيح "عليه السلام":

لا يوجد هناك تفسير صعب مثل تفسير المقاطع والفقرات المقدسة التي تتحدث عن المستقبل وعن العهود القادمة.وهذه المقاطع سواءً أكانت آيات قرآنية تتحدث عن اقتراب ساعة القيامة او كانت سفر الرؤية "رؤيا نبوية" في الكتاب المقدس للمسيحيين فهذه تكون عادة مكسوة برموز صعبة ومعقدة وباشارات وايماءات ضمنية. ويتطلب تفسير هذه المقاطع قواعد محددة وتمسكاً داخلياً وقلبياً بالنص من قبل مفسر ذي ايمان عميق وصلب، والا فان المفسر يمكن ان يضل طريقه بسهولة من قبل افكاره المسبقة ومفاهيمه الشخصية.

نرى سعيد النورسي وهويستخدم هذه القاعدة بكل عناية عندما يقوم بتفسير ما جاء في سياق بعض احاديث رسول المسلمين محمد المتعلقة برجوع السيد المسيح قبل يوم القيامة آخذاً بنظر الاعتبار بيئة ومحيط هذا القرن وهو يقبل صحة هذه الاحاديث وينتظر رجوع المسيح "عليه السلام" ويقول:

"مادام القدير على كل شيء قد وعد فإنه لا محالة سيأتيه"[١٧]

والمسيح في الوقت الحاضر موجود في السماء بجسده الدنيوي مثله في ذلك مثل ادريس "عليه السلام"[١٨] ولكنه سينزل في آخر الزمان إلى الارض ليقاتل الدجال ويقتله.

يقول النورسي بان معنى هذه الأحاديث يجب ان يدرك في ظل مفهوم الشخصية المعنوية: "أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ويحكم بالشريعة المحمدية حكمته هي الآتي:

انه ازاء ما تجريه الفلسفة الطبيعية من تيار الالحاد وانكار الالوهية في آخر الزمان، تتصفى العيسوية وتتجرد من الخرافات. وفي أثناء انقلابها إلى الاسلام، يجرّد شخص العيسوية المعنوي سيف الوحي السماوي ويقتل شخص الالحاد المعنوي، كما ان عيسى عليه السلام الذي يمثل الشخص المعنوي للعيسوية يقتل الدجالَ الممثل للالحاد في العالم. بمعنى انه يقتل مفهوم انكار الالوهية."[١٩]

يتنبأ سعيد النورسي بان خطرين كبيرين سيهددان الدين، وذلك بشكل تيارين الحاديين يمثل احدهما من قبل السفياني والآخر من قبل الدجال. التيار الاول الذي يمثله السفياني سيسعى وسيحاول هدم الشريعة المحمدية، ولكنه سيهزم من قبل المهدي المنتسب إلى سلالة الرسول "ص". والتيار الثاني الممثل من قبل الدجال سيعزز ويشجع الفلسفة المادية والطبيعية المؤدية إلى انكار الله. وسيعمل كلا التيارين من خلال الجمعيات السرية لهدم وتدمير حكم وسلطة الله من القلوب ولازالة مفهوم القداسة من الحياة الاجتماعية.[٢٠]

وستقوم النصرانية الحقيقية والمتطهرة من الشوائب والتي تمثل الشخصية المعنوية للمسيح "عليه السلام" بالتصدي للتيار الثاني. وهذه النصرانية ستنبذ الخرافات والتحريفات، وستتحد مع التعاليم الاسلامية. وفي الحقيقة فان النصرانية - كما يذكر سعيد النورسي - "سوف تنقلب إلى نوع من الاسلام"[٢١]

وليس من الضروري ان يعرف الجميع المسيح "عليه السلام" عندما يرجع. ويعتقد سعيد النورسي بان المؤمنين الحقيقيين والمقربين إلى المسيح "عليه السلام" هم الذين سيعرفون فقط انه هو المسيح الحقيقي، وليس جميع الناس. والاهم من هذا هو ان الدجال - الذي هو رمز للتيارات الالحادية في المجتمع الانساني - سيكون خصماً هائلاً وقوياً وسيخدع الكثيرين بوعوده بجنة زائفة، وباغراءات اللهو وسائر اغراءات المدنية. ومن المستحيل على من يقرأ الاوصاف التي يسردها سعيد النورسي حول الدجال الا يجد فيها اشارات وايماءات ضمنية للامبراطورية الواسعة للاتحاد السوفيتي السابق والى السيطرة العلمانية للشعوب الاوروبية.

على أي حال فانه يتطلع بشوق إلى اليوم الذي ينبثق ويظهر فيه الدين النصراني الحقيقي وينشر نوره للعديد من الناس لكي يقاتلوا ويجاهدوا ضد الجمعيات السرية للسفياني والدجال. ويصف هذه النصرانية المصفاة والمتطهرة بانها ستكون "تحت اسم جماعة عيسوية "نصرانية" متحمسة وذات حمية وتضحية ولائقة لان يطلق عليها اسم "النصارى المسلمون"" وستعمل على "توحيد الدين الحقيقي للمسيح "عليه السلام" مع حقيقة الدين الاسلامي" وستقوم تحت لواء عيسى "عليه السلام" بقتل جماعة الدجال وتشتيت شملهم وتنقذ الانسانية من الالحاد وانكار الالوهية".

وهكذا فان حركة التصفية والتنقية التي يتوقع سعيد النورسي حدوثها في النصرانية ليست قيام النصارى بالتخلي عن دينهم والدخول إلى الدين الاسلامي، بل قيامهم بتكملة الجوانب المضيئة والخيرة الموجودة لديهم أصلاً وهو يصرح: "كأنه يقول: "لايشقنّ عليكم الدخول في هذا السلك، اذ لاتخرجون عن قشركم بالمرة بل انما تكملون معتقداتكم، وتبنون على ماهو مؤسس لديكم" اذ القرآن معدِّل ومكمِّل في الاصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة واصول الشرائع السالفة. إلا انه مؤسِّس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان"[٢٢]

النتيجة:

في كل هذا يقدم سعيد النورسي افكاراً جديدة وأصيلة حول الحوار والتعاون بين المسلمين وبين النصارى. وتقوم دعوته الاساسية والمركزية على ان المسلمين والنصارى يستطيعون معاً بناء حضارة حقيقية حسب الخطة الالهية، حيث تكون العدالة والكرامة الانسانية والصداقة هي الاساس وهي المعيار. وهذا شئ ممكن ان قاموا بالبحث عن ارضية للعلاقات المتبادلة القائمة على المحبة.

في خطبته الشامية المشهورة يصرح بان الكلمة او الاساس الرابع الذي يجب ان تقوم عليه الحضارة هو المحبة: "ان اجدر شئ بالمحبة هو المحبة نفسها. واجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها. أي ان صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقق السعادة هي أليق للمحبة،"[٢٣]

و "لقد انتهى عهد الخصومة والعداوة"[٢٤]

ان هذه الدعوة للحب حتى وان كانت ضمن حدود جماعة شخص تظل صحيحة حتى الآن. وقد اظهرت الحوادث التي وقعت في العالم بعد القائه لخطبته الشامية سنة ١٩١١ مدى اهمية هذه الدعوة اذ وقعت حربان عالميتان، وحدثت نزاعات بين الهند وبين باكستان، ومذابح في "راونده" و "بروندي"، ووقع الفلسطينيون في ورطة وفي مأزق، والهدم والتخريب الذي حدث في البوسنة سابقاً وفي "قوصوه" حالياً، كما وقعت نزاعات دموية عديدة في سائر انحاء العالم. وكل هذا يذكرنا بان المحبة هي الحل الوحيد للحيلولة دون الهدم والتخريب ودون قتل الانسان لأخيه الانسان. ولا يزال العالم ينظر إلى المسلمين والى النصارى كجماعتين مؤمنتين بالله الودود والرحمن الرحيم لكي يشيروا إلى طريق المحبة كبديل الهي للكره وللحرب

---

١ ولد سنة ١٩٤١ في مدينة سانت لويز الواقعة في ولاية ميسوري في الولايات المتحدة الامريكية. بعد دراسة الفلسفة وعلم اللاهوت تعين عام ١٩٦٧ كراهب كاثوليكي. درس اللغة العربية والدين الإسلامي في لبنان ومصر. اكمل دراسة الدكتوراه حول كتابات ابن تيمية تحت اشراف البروفسور فضل الرحمن وحصل في شيكاغو عام ١٩٧٨ على درجة الدكتوراه في الفكر الاسلامي. وكان عنوان رسالته "ابن تيمية "الجواب الصحيح": جواب عالم اسلامي على النصرانية".

قام بالتدريس في جامعة "ساناتا دارما" في مدينة "يوكيا كارتا" في اندونسيا خلال اعوام ١٩٧٨ - ١٩٨١ وتعين عام ١٩٨١ في المجلس البابوي للفاتيكان للحوار بين الاديان - قسم آسيا وفي عام ١٩٨٨ اصبح رئيساً في شعبة الدين الإسلامي في القسم نفسه في الفاتيكان. وفي سنوات ١٩٩٤ - ١٩٩٦ عمل كسكرتير عام في الدائرة المسكونية وشوؤن الاديان لاتحاد المنظمات الاسقفية الاسيوية لاتحاد الكنائس "FABC-OEIA" في بانكوك عاصمة تايلند. وهو الآن امين سر في السكرتارية اليسوعية للحوار بين الاديان في روما في ايطاليا والسكرتير المسكوني لاتحاد المنظمات في الاسقفية الآسيوية لاتحاد الكنائس.

٢ - ملحق "اميرداغ" ١ صفحة ٢٠٢ "١٩٠"

٣ - "اللمعات" صفحة ١٤٦ رسالة الاخلاص والاخوة / اسطنبول ١٩٩١ صفحة ١٣

٤ - "الحباب" ضمن "المثنوي النوري" اسطنبول ١٩٨٠ صفحة ٨١ نقلاً عن شكران واحدة "بديع الزمان سعيد النورسي" اسطنبول ١٩٩٢ صفحة ١٥٨

٥ - "المحاكمات" اسطنبول ١٩٧٧ صفحة ٣٧ - ٣٨

٦ - "اللمعات" ١٧٦

٧ - الكلمة الخامسة والعشرون من "الكلمات" صفحة ٤٧٢

الترجمة الانكليزية "الكلمات the words اسطنبول ١٩٩٢ صفحة ٤٢٠

٨ - "المناظرات" اسطنبول ١٩٧٧ صفحة ٢٠ نقلاً عن واحدة شكران صفحة ٩٥

٩ - "المناظرات" "عن الطبعة العثمانية" صفحة ٤٣٣ نقلاً عن واحدة شكران صفحة ٩٥

١٠ - "المناظرات" صفحة ٢١

١١ - "المسلمون والاقليات: اهالى اناضول العثمانيون ونهاية الامبراطورية" تأليف جوشين ماك آرثي. نيويورك ١٩٨٣. جاء في صفحة "١٢٠ - ١٢١" منه ان عدد الضحايا من المسلمين والنصارى في سنوات الحرب العالمية الاولى كان اكثر بكثير من الضحايا في البلدان الاوروبية الاخرى.

١٢ - ملحق "قاصطموني" اسطنبول ١٩٦٠ صفحة ٤٥

١٣ - ملحق "قاصطموني" اسطنبول صفحة ٧٥

١٤ - ملحق "امير داغ" صفحة ٢٤ - ٥٦ نقلا عن واحدة شكران صفحة ٣٥٤

١٥ - "بديع الزمان سعيد النورسي" تأليف: شكران واحدة صفحة ٣٤٤

١٦ - "المناظرات" صفحة ٢٦ - ٢٧

١٧ - "المكتوبات" صفحة ٥٣ - ٥٤

١٨ - "المكتوبات" صفحة ٦ "الرسائل سنة ١٩٢٨ - ١٩٣٢ صفحة ٢٢"

١٩ - المصدر السابق. الصفحات نفسها

٢٠ - "المكتوبات" صفحة ٤٢٤

٢١ - "المكتوبات" صفحة ٥٢

٢٢ - "اشارات الاعجاز" اسطنبول ١٩٧٨ صفحة ٥٥ - ٥٦

٢٣ - "الخطبة الشامية" اسطنبول ١٩٩٦ صفحة ٤٩

٢٤ - المصدر السابق صفحة ٥٠

مكانة سعيد النورسي في موكب التجديد

أ.د. اوليفر ليمان[1]

هناك اتجاه عام في الاسس النظرية للدين الإسلامي يمتد منذ السنوات الاولى من ظهوره إلى يومنا الحالى. احد هذه الاتجاهات هو التعارض الواضح بين الدين والمعاصرة... بين الإيمان وبين الطرق البديلة لتفسير هذا العالم. وكذلك هناك اتجاه آخر مرتبط بهذا، وهو كيفية احياء هذا الدين. وتظهر حركة الاحياء هذه في العهود التي تتطور فيها الثقافة بحيث تبدو وكأن الاسلام اكمل دوره ولم يعد يماشي العصر وظروفه المستجدة، وهنا يبذل مدافعو الاسلام جهودهم للبحث عن تفسير وتعليل للايمان، وليبرهنوا على انه يبقى حيا وقويا على الدوام. وغايتنا هنا تناول اعمال سعيد النورسي في هذا السياق في محاولته لإحياء الاسلام، والقيام بمقارنته مع الغزالي ومحمد اقبال في هذا الخصوص وفي هذه المهمة.

قبل ان نتفحص اسلوب حركة الاحياء دعنا ندرس ونتأمل بعض المسائل المثارة عند ايضاح الصدام بين الإيمان وبين الطرق البديلة للاقتراب من الحقيقة.

عاش كل من النورسي ومحمد اقبال في عصر بدا فيه ان الهيمنة الثقافية الاوروبية بدأت تهدد بشكل جدي دور الاسلام في حياة المسلمين. ولم يكن هذا التهديد ناشئا عن محاولة الامبرياليين تحويل المسلمين عن دينهم - ذلك لان مثل هذه المحاولة لم تلق أي نجاح - لان الامبرياليين فضلوا القيام بالسيطرة السياسية على القيام بالسيطرة الدينية. ان التهديد الحقيقي للإسلام - وليس للإسلام وحده - كان كامنا في قوة تأثير معين نستطيع ان نطلق عليه اسم: "المعاصرة" او "الحداثة"، ولم تكن هذه المفاهيم مفاهيم ضد الدين. ولكنها كانت مفاهيم "لا دينية "أي لا علاقة لها مع الدين، أي انها لم تشر أي اشارة إلى الدين، كل ما عملته هو انها اعلنت واظهرت اهدافا لطرق الحياة مؤسسة ومقامة على حلول مادية لمشاكل مادية. ولم تعد هناك اهمية حقيقية للإله ولا أي تأثير لوجوده. وقد بدت ان افضل خطوة واكثرها منطقية هو ترك فكرة القداسة والالوهية والتركيز على المفاهيم والافكار العلمية التي ستقوم بايضاح كل ما يمكن ايضاحه.

قد يكون من الصعب في هذا العهد - عهد ما بعد الحداثة Post modern - الذي اشرفنا فيه إلى نهاية الألف الثاني والذي لا يوجد فيه الا أمل ضئيل في قيام العلم والحداثة بحل معضلات العصر ومعضلات الانسانية... قد يكون من الصعب استرجاع التاريخ. قبل ألف عام تقريبا واجه الغزالي وضعا مماثلا حيث واجه العالم الإسلامي تحديا من جانب الفلسفة والافكار العلمية التي لم تكن تأبه للالوهية ولا تعطي له أي دور. كان الفلاسفة آنذاك قد ارتبطوا تماما بالفلسفة الارسطوطاليسية التي كانت تعد العالم كنظام يعمل على اسس طبيعية... نظام كان دور الإله فيه يختلف تماما عما هو موجود في الاسلام...هو إله ارسطوطاليسي الذي كان قد شرحه الفارابي وابن سينا، وهو اله يختلف تماما عن الإله الموجود في العقيدة الاسلامية. ذلك لان اله الفلاسفة كان بعيدا عن العالم ولا يستمع إلى مخلوقاته ولا يعرف ماذا يفعلون ولا يبعث الموتى من قبورهم ولم يخلق العالم من العدم. والكون يأخذ - حسب هذه النظرة - طريقا محتوما ذا خصائص معلومة، ودور إله

له ذات معلومة دور ضعيف في هذا الأمر.

هذا لا يعني ان الفلاسفة لم يتكلموا حول الله، اذ كثيرا ما تكلموا عنه، ولكنه يظهر عندهم وكأنه لا دور له عندما يقومون بتعاريف وبإيضاحات الحقيقة. فدور الله عندهم يشبه دور الملوك في النظم الديمقراطية. فالقانون لا يصبح قانونا في بريطانيا الا بعد توقيع الملكة عليه، ولكن الملكة تقوم دائما بالتوقيع على القوانين المقدمة اليها من البرلمان. ولا يمكن ان يعين شخص في منصب رئيس الوزراء الا بعد تعيين الملكة له في هذا المنصب. ولكن الملكة تقوم على الدوام بتعيين من يملك اكثرية الاصوات في البرلمان. فالملك او الحاكم في النظم الملكية الدستورية لا يملك صلاحية تغيير السير الاعتيادي للاحداث. لذا يمكن القول بان الملك هنا لا يتمتع باي سلطة تخوله التأثير في سير الاحداث.. وهذا هو الدور المعطى للاله في عرف هؤلاء الفلاسفة، لذا حاول الغزالي توسيع وتطوير هذا الدور حتى اتخذ صفة القدرة الحقيقية على التصرف والعمل والارادة.

هناك حديث مشهور يتنبأ فيه الرسول بان الله سيبعث على رأس كل مائة عام من يصلح ويجدد للمسلمين دينهم. ولتجديد الدين واحيائه خطوات عدة. احدى هذه الخطوات هي اظهار ان بمقدوره عمل شيء لا يمكن لاي نظام آخر أو اي نظام بديل عمله، وانه يستطيع تقديم وتوفير الارشاد المعنوي لأمته.والخطوة الاخرى هي القيام باظهار ان براهين وادلة اعداء الدين تفشل في ايجاد أي حجة ضد الدين. ولنجاح الخطوة الاخيرة يجب ان تتردد صداها لدى الامة كلها، وليس لدى جزء او قسم منها. ان الدين عبارة عن نظام تفكير يهدف للوصول إلى قبول عام. لذا فان أي محاولة لإحيائه يجب ان تكون على اساس الضرب على وتر وعلى عصب المجتمع ككل. ان أعلام الإحياء الثلاثة الذين نتناولهم هنا قاموا جميعا باتخاذ هذه الخطوات الثلاثة وبتحقيقها. فقد تناولوا بكل جد نظام الفكرالواقف ضد الايمان، ولم يتجاهلوه بحجة انه نظام فكري ملحد او انه كفر، على العكس من هذا فقد تقبلوا كثيرا مما يقدمه هذا الفكر، وحاولوا فهم تركيبه ومدى قدرته على الاقناع في المواضيع التي تعرض له هذا الفكر بالنقد. وذكروا انه مهما قيل في مدح نظام التفكير هذا فانه لن يستطيع ان يحل محل الدين طالما ان الدين يحاول عمل شيء مختلف تماما. واخيرا فقد قدموا كتبا ومؤلفات مخططة بشكل مؤثر على الجماهير، وقادرة على ارجاع الكثيرين إلى حظيرة الدين بعد ان كانوا قد ابتعدوا كثيرا عن الله.وقناعتي الشخصية ان النورسي كان أبرع هؤلاء الثلاثة في اسلوب الإحياء، ان كان هناك ما نستطيع ان نذكره كاسلوب في حركة الاحياء في هذا النص. وعموما فان الانسان يتوقع ان يجد هذا الاسلوب في كتاب" احياء علوم الدين" للغزالي وهذا المؤلف يعد مؤلفا غير اعتيادي ويحتوي على اربعة اقسام، ويتضمن كل قسم عشرة كتب. في هذا المؤلف الموسوعي يتناول الغزالي جميع الاوجه التي يمكن تصورها للايمان وللعمل في الاسلام. لذا اصبح هذا المؤلف انموذجا لرسائل النورسي " رسائل النور". ويعترف الغزالي بعلاقته القوية بالتصوف في كتابه " الاحياء" الذي نراه يصطبغ في معظم الاحيان بصبغة شخصية ولكن في كتبه الاخرى تظهر محاولته في الرد على الفلاسفة وطريقة اقترابه وتناوله لمسائل الالوهية. واحد الجوانب القوية لدى الغزالي والظاهر في مؤلفاته الاخرى هو قيامه بسبر ادلة معارضيه بنوع ظاهر من التقدير بحيث ادى هذا في السابق ويؤدي حاليا إلى وضع الغزالي في صف من عارضهم وجادلهم بشكل صريح.[٢]

واعمال الغزالي ككل لا تبلغ درجة رد الحداثة في عهده طالما انه اظهر ان مفهوم الفلسفة

كالمنطق الارسطوطاليسي قد يكون مفيدا عند تناول مسائل الالوهية أي "المسائل اللاهوتيه" وقال بان الفلاسفة أنفسهم قد اخطأوا عند استعمالهم المبادىء الفلسفية التي يلتزمونها ويقفون في صفها.

لم تكن استراتيجيته في الرد على الفلسفة قائمة على إظهار أن الفلسفة خاطئة كمنهج وكنظام، ولكن لكي يظهر ان الفلاسفة سلكوا طرقا لا تتماشى مع المنهج الفلسفي.

هذه هي فكرة وموضوع واتجاه حركة "الاحياء" وهي كاستراتيجية حركة مؤثرة جدا. فبدلا من رد نظام فكري يراد نقضه نرى ان الغزالي والذين جاءوا من بعده بدلا من النقض المباشر للنظام الفكري المعارض لهم نراهم يقومون اولا بشرح وايضاح ماهية هذا النظام ثم يقومون بايضاح الاخطاء التي يقع فيها هذا النظام الفكري حتى ضمن مصطلحاته واسسه. ويبرهن الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة" بان الفلسفة التي تبعها الفارابي وابن سينا لا تؤدي ولا توصل إلى النتائج او الاحكام التي توصلا اليها. والحقيقة انه لو تم اتباع ذلك النظام من التفكير بدقة لتوصل إلى نتائج اخرى ربما كانت اقرب إلى الايمان. والمهم هنا هو طريقة الاقتراب، وهي ان النتائج التي تؤدي اليها الفلسفة ليست كفراً او بدعة لذا فلا موجب لرد الفلسفة. على العكس من هذا فانه مع ان النتائج المستخلصة من الفلسفة قد تكون فيها بعض الشوائب من وجهة نظر الايمان، الا ان هذا الأمر ناتج من عدم استخلاص النتائج من المقدمات الفلسفية بشكل صحيح ودقيق.

وقد اتبع اقبال هذا الخط عن قرب، فعند قيامه بنقد ما رآه ضمن الثقافة الغربية وضمن المعرفة الغربية لم يشأ الرجوع إلى جهل القرون السابقة، فلم ير ان هناك خطأ او مشكلة في العلم، بل راى انه يمكن استخلاص منافع ثقافية ومادية هائلة منه، لذا فعند القيام بنقد الثقافة الغربية المادية، فهذا لا يعني نقد الفوائد التي يمكن استخلاصها منها، بل يعني فقط نقد القوى الالحادية التي تصاحب هذه الثقافة. ويذكر اقبال بانه من المحزن ان يكون العالم الإسلامي فقيرا جدا من ناحية العلوم التجريبية في العصور الاخيرة مع ان الاسلام دين تجريبي. وهذه نقطة كثيرا ما تناولها النورسي كما سنرى. فالاسلام يتعامل مع العالم التجريبي وهو ليس عقيدة اخروية خالصة كالمسيحية، لذا فلا يوجد أي تناقض بين الاسلام وبين العلم، أو اي تضارب او تنافر. ولسوء الحظ فقد اصبح العديد من الاقطار الاسلامية - لاسباب تاريخية او سياسية مختلفة - سجينة الجهل والفقر، واصبح العلماء فيها راغبين عن تناول المواضيع الثقافية في أي مستوى او أي عمق وكارهين لها.

ولا يكمن الحل عند اقبال في تقليد الغرب الذي سجل تقدما كبيرا في الساحة المادية. ولكنه اصبح فقيرا جدا في الناحية الروحية والمعنوية، ولكن الحل يكمن في قيام المسلمين بايصال انفسهم إلى افضل مستوى مادي وعلمي ولكن في الوقت نفسه دون توريط انفسهم ضمن الاطار النظري المادي الذي اعتبر في كثير من الاوقات جزءً من الحداثة والمعاصرة. والذي يحدث في اكثر الأحيان هو ذكر ان الاسلام يغاير حركة الاغتراب "أي التحول إلى الحضارة الغربية" مغايرة كبيرة ويبدو وكأنه اصبح عتيقا وانتهى دوره ولم يعد ذا موضوع عند المقارنة بينهما.

هذا هو الوضع الكئيب الذي وقع فيه الاسلام طوال معظم تاريخه عندما حصر من قبل الكثيرين في الخطوط الهامشية من الحياة، واتخذ موضع الدفاع تجاه الشروط المتغيرة للحياة المعاصرة. لقد راى اقبال فروقا صارخة بين الحالة الفكرية المتحجرة للإسلام في عهده وحياته، وبين العصور الاولى للإسلام التي كانت هناك مناظرة وبحث ونقاش غني ومتنوع وتطور ثقافي كبير. لذا فكما لا

يوجد تصادم او تعارض بين الاسلام وبين العلم، كذلك لا يوجد مثل هذا التعارض بين الاسلام وبين الفلسفة. ففي الاسلام الشيء الكثير الذي يتلائم مع الفلسفة. ويقوم اقبال بربط "برغسون" وغيره من الفلاسفة المعاصرين له بنظرته القريبة من النظرة الاشراقية لطبيعة الحقيقة.

ان الدعوى الرئيسة لبعض الفلاسفة هي ان العالم يعمل بشكل آلي وأعمى، وهذا ما يرفضه المسلمون. ولكن هناك الكثير من النظريات الفلسفية التي تتوافق وتتلائم ولا تتعارض مع النظرة الاسلامية للعالم وللكون. والمطلوب هو احياء الاسلام وانعاشه لكي يتخذ موقفا ضمن وجهة النظر الاسلامية يتسم بالثقة امام العالم المعاصر. بعكس الغزالي نرى وجود شبه وشكوك لدى اقبال والنورسي تجاه التصوف. والغزالي نفسه صوفي غريب، اذ لا نجد هناك أي دليل على انه درس او تتلمذ على يد أي شيخ صوفي، ولكن من الواضح انه راى في الصوفية طريقا إلى "ذوق" شخصي للطبيعة الإلهية المقدسة للحقيقة. وهذا قد يعد مشكلة في مشروع "الإحياء" عنده. ذلك لان التصوف يؤكد على الدوام الطبيعة الشخصية للتجربة الصوفية التي يتعذر شرحها وبيانها للآخرين. فاذا اضفت إلى هذا ان الغزالي لم يكن منتسبا إلى أي طريقة او مدرسة صوفية، ولا إلى أي شيخ صوفي اصبح الوضع اكثر سوءا. اذ لا توجد أي طريقة اقتراب منهجية في تعيين هويته الشخصية عدى ما انشأه هو بنفسه.

وبما ان التجارب التي شرحها الغزالي لها ماهية وطبيعة شخصية وخاصة، فانه لا يكون واضحا امام القارىء العادي: كيف يستطيع بقراءة كتب الغزالي الاقتراب من الله ؟ وهذا هو السبب الرئيسي في ان اقبال والنورسي كانت تساورهم الشكوك حول كون التصوف شرطا من شروط عملية الإحياء. فالصوفية تبدو محصورة في بعض افراد الامة. لذا فانها تبدو غير ملائمة لكي تكون جزءً من عملية الاحياء طالما انها لا تقدم رسالتها الا إلى جزء محدود من الامة. وكثيرا ما يقوم النورسي بتشبيه الصوفية بالفاكهة، بينما يشبه الإيمان الصرف بالخبز، ويقول بان الانسان يستطيع ادامة حياته بالخبز وحده بسهولة.[٣] ثم يخطو النورسي خطوة اضافية فيقول ان التصوف قد يحرف الشخص الباحث عن الحقيقة عن الطريق الصحيح لان هذا الشخص قد يسيء فهم ماهية الحقيقة بواسطة تجربته الشخصية في خط التصوف. ولا شك ان النورسي يحترم بواعث وحوافز الصوفي وجهوده، ولكنه ليس متأكدا من التأثير الحقيقي للتصوف او من ضرورته.

ترى رسائل النور ان الطريق الرئيسي لحركة الإحياء يمر من خلال الفهم الصحيح للطبيعة العقلانية للاسلام. ورسائل النور حافلة بالتأكيد على اهمية المعرفة وعلى اهمية العقل.

من الصعب ايضاح طبيعة رسائل النور إن قلنا انها تفسير للقرآن، فهذا صحيح، ولكنها اكثر من مجرد تفسير للقرآن. وهي - مثلها في ذلك مثل احياء علوم الدين - عبارة عن خليط معقد من المواضيع وعن طرق معقدة في كيفية تناول هذه المواضع، ولكن رسائل النور اكثر دقة ووضوحا من "إحياء علوم الدين". ان احدى خصائص تناولها للمواضيع وتقييمها لها هي التأكيد خلال جميع الرسائل على رفض وجود أي تناقض بين الاسلام وبين العقل. ومع ان العقيدة قائمة على أساس من الغموض، الا ان الايات والاحاديث المعنية تقدم في رسائل النور بشكل واضح وبراق وخالٍ من الغموض. ويشرح النورسي ببساطة ما يظن انه معاني هذه الايات والاحاديث. ان ابرز طريقة لدى النورسي في الرد على ادلة الماديين هو هجومه على ادعائهم بان الانسان عبارة عن مادة فقط.

وهذا هو الشكل العام للاستراتيجية التي يتبعها النورسي عندما يتعامل مع معارضيه ومخالفيه. فهو يحاول البرهنة بان هؤلاء يتناولون الانسانية ببعد واحد لذا يجانبهم الصواب.

ان طبيعة البراهين المعينة للنورسي لا تعد جديدة كل الجدة، فهو يخطو خطوات اعتيادية في اثناء تقديمه البراهين فيقول ان القرآن كتاب معجز باسلوبه، وان الرسول لم يكن شخصا اعتياديا، بل شخصا رائعا وممتازاً مثلما جاءت في الايات وفي الأحاديث. والادلة الخاصة التي يسوقها في هذا الخصوص تتسم بالوضوح وبالحيوية، ولكنها ليست في ذاتها جديدة. والذي يجلب الانتباه أكثر سوقه البراهين على اننا يجب البدء بتحليل طبيعة وماهية الانسانية نفسها اولاً. وهو يرى ان كثيرا من المفكرين اخطأوا فتبنوا قيما ادت إلى فقر الانسانية والابتعاد عن ماهيتها. فمثلا راى الفلاسفة ان العقل هو الطريق المهم الوحيد للوصول إلى المعرفة وانكروا أي موقف آخر تجاه معنى ومغزى العالم. وقد فشل الماديون "وهذا المصطلح يعني جميع الذين يرون في العلم التفسير الوحيد للحقيقة" في الاعتراف بعلاقتنا مع الخالق وفي التسليم بها. ولكن ماذا يعمل لنقض الاسس النظرية لخصومه ومناوئيه؟ الجواب هو انه يتمعن في القرآن ليتجهز بالادلة ضدهم. وقد يبدو هذا استراتيجية غير موجهة إلى عدد كبير من الناس. فقد يناقش احدهم ويقول بانه لو افترض احدهم ان القرآن كتاب حق وصادق وان الرسول رسول حقيقي، اذن فان من السهل النقاش ضد هؤلاء من زوايا مختلفة. ولكنه لا يتبنى هذا الموقف العقلي غير الحاسم. ولكنه يقوم بتقديم سمو القرآن وشموليته بشكل براهين وليس بأسلوب من الجزم.

دعنا نتناول مثالا معينا حول كيفية تفكير النورسي. انه ينتقد الفلسفة كثيرا عندما تنفصل وتبتعد عن النبوة، ويتهم افلاطون وارسطو والفارابي وابن سينا بانهم "مهّدوا الطريق لكثير من الطوائف المتلبسة بأنواع من الشرك، امثال: عَبدة الاسباب وعَبدة الاصنام وعبدة الطبيعة وعبدة النجوم، وذلك بتهييجهم الانانية لتجري طليقة في اودية الشرك والضلالة، فسدّوا سبيل العبودية لله، وأغلقوا أبواب العجز والضعف والفقر والحاجة والقصور والنقص المندرجة في فطرة الانسان، فضلوا في أوحال الطبيعة فما نجوا من حمأة الشرك كلياً ولا اهتدوا إلى باب الشكر الواسع" [٤]

ثم يصرح بان مثل هذا الاعتماد الزائد عن حده على العقل يخلق هوية انسانية لا تملك قيما ومعاني اعلى منها، ويربط هذا بقبول القوة دون أي اعتراض. وغالبا ما يربط المادية بالفرعونية التي تعني استعمال القوة لتحقيق مصالح الاقوياء. والآن قد يبدو هذا في الوهلة الاولى سلسلة غريبة من النقد الموجه للعديد من المفكرين المختلفي المشارب.فمثلا من الصعب توجيه تهمة إتباع المذهب الطبيعي لافلاطون. ولكن ان نظرنا إلى الموضوع من نقطة اعلى وأشمل فسيبدو معقولا. لان جميع هؤلاء المفكرين يفترضون في تفكيرهم الفلسفي ان العقل وحده يستطيع الوصول إلى ماهية الحقيقة وطبيعتها. وفي السياسة يبدأ هؤلاء المفكرون من الفرد، ثم ينتقلون منه إلى المجتمع محاولين ربط مصالح الفرد مع مصالح المجتمع. ان اعتماد هؤلاء المفكرين على العقل وحده يقودهم إلى نظرية العلاقة بين الله وبين العالم. ولكن هذه العلاقة حسب هذه النظريات ليست علاقة مباشرة، ولما كان هؤلاء المفكرون لا يعتقدون بوجود أي سبب يقودهم للقول بان العالم خلق من قبل الله، لذا نراهم مضطرين لتفسير وايضاح كيفية الخلق بواسطة مراحل مرتبطة احداها بالاخرى، وهذا شيء قريب من الشرك. لقد بدأ الله بعملية وبآلية الخلق، ولكن هناك خطوات ضرورية قبل اكمال هذا الخلق، ولو غابت أي خطوة منها لما كان هناك أي خلق.

أي براهين يقدمها النورسي ضد وجهات النظر هذه؟ احد هذه البراهين يستند إلى تجربتنا في العالم وهي ان المخلوقات جميعها تسبح الله"١٧: ٤٤". وهو يخصص جزءا كبيرا من رسائل النور في المقارنة بين وجهتي نظر مراقبين اثنين للعالم، لا يستطيع احدهما ملاحظة أي تأثير الهي في العالم، والآخر يلاحظ هذا التأثير. فالاول يخطأ على الرغم من قيامه بسرد افكاره بكل صدق وامانة، ولكن يفوته شيء حقيقي وهو الطبيعة الإلهية للعالم."أي كون الطبيعة مخلوقة من قبل الله". ولو كان هذا الشخص مؤمنا بالرسول لما وجد صعوبة في التعرف على الوجه الحقيقي للعالم. ولو اخذنا بنظر الاعتبار كثرة الادلة والبراهين حول صدق الرسول وصدق القرآن لما بقي الا عذر قليل للمنكرين. وهذا البرهان - وهو في الحقيقة برهان - لا يستند إلى الإيمان بل إلى شواهد والى دلائل عقلية. وعندما يقبل احدهم هذا الدليل عند ذلك ينفتح امامه طريق أمين للاثبات والبرهنة. ويقول النورسي ان الاسلام لا يطلب من منتسبيه الإيمان باي شيء غير معقول. على العكس من هذا فان غير المعقول هو عدم قبول البراهين حول حقيقة الاسلام وحول حقيقة كون العالم مخلوقا من قبل الله.

لماذا يتهم الفلاسفة بالشرك؟ ان الاتهام الذي يوجهه النورسي يستند في الحقيقة إلى البرهان الذي قدمه الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة" وهو ان الفلاسفة لا يعطون أي مجال حقيقي لله. والسؤال المثار هنا: هل الله عامل قوة وتأثير؟... لكي يكون عامل قوة فهذا يعني انه يستطيع التصرف حسب رغبته وارادته. فان كان كلي القدرة فهذا يعني امتلاك قوة دون حدود او قيود. وقادرا على كل شئ معقول ومنطقي. ولكن اله الفلاسفة لا يستطيع فعل هذا، فهو مجرد شريك مع القوانين وحتى الموجودات في عالم الأسباب. فالله في فلسفة افلاطون قائم مع المادة، وهو لدى ارسطو ولدى الفلاسفة قائم مع الكون نفسه، لذا فهو بعيد من ان يكون ذاتا له قوة مستقلة. لذا فالنورسي محق تماما عندما يقول:

" هذه القاعدة للفلسفة القديمة تعطي للاسباب القائمة والوسائط نوعاً من الشراكة في الربوبية، وتُظهر ان القدير على كل شئ والغني المطلق والمستغني عن كل شئ بحاجة إلى وسائط عاجزة! بل ضلوا ضلالاً بعيداً فأطلقوا على الخالق جل وعلا اسم مخلوق وهو العقل الاول! وقسّموا سائر ملكه بين الوسائط، ففتحوا الطريق إلى شرك عظيم".[٥]

ويذكر النورسي ان هذه النظرة تجعل من الله نوعا من المخلوقات. وهو محق تماما في هذا ايضا. فالله ينقلب لدى الفلاسفة - مثل أي شئ آخر - إلى شئ يعمل من خلال ومع الأشياء الاخرى الموجودة في هذا الكون.

واخيرا: لماذا يقارن الفلاسفة والماديين مع فرعون ومع مستعملي القوة من اجل المصالح الشخصية؟. يقول النورسي: "أين هذا الدستور القويم"للنبوة" دستور التعاون وقانون الكرم وناموس الاكرام من دستور الصراع الذي تقول به الفلسفة من انه الحاكم على الحياة الاجتماعية، علماً ان الصراع ناشئ فقط لدى بعض الظلمة والوحوش الكاسرة من جراء سوء استعمال فطرتهم، بل أوغلت الفلسفة في ضلالها حتى اتخذت دستور الصراع هذا حاكماً مهيمناً على الموجودات كافة، فقررت ببلاهة متناهية: ان الحياة جدال وصراع".[٦]

وقد يبدو هذا ايضا في الوهلة الاولى حكماً غير قابل للتصديق، ولكن عندما يتفحص الانسان

الموضوع عن قرب يعرف ماذا يريد النورسي ان يقوله. يميل الفلاسفة للبدء من مبادىء الانانية، وينطلقون منها لتبرير وتسويغ وشرح العادات في المؤسسة الاجتماعية، هذه المؤسسة التي تملك فيها القوى الاجتماعية والمعنوية دورا فاعلا. ولكن النورسي يرى ان هذا يشبه وضع العربة امام الحصان، أي يرى فيه قلبا للمسائل. ويقول باننا لا نستطيع ادراك مغزى المجتمع ان لم ندرك بانه عبارة عن وضع طبيعي للامور وللشؤون والمسائل التي ينمو في ظلها الافراد. والهدف من الحياة المعنوية لا يعني تحديد وتقليل النزاعات المحتملة بين الافراد قدر المستطاع، بل السماح لنا بالعيش في تجربة الصعود الروحي والمعنوي الملائم لنا كمخلوقات انسانية. ودور النبوة هنا دور حاسم، لان النبي يشرح لنا طبيعة المجتمع، وكيف ان كل شيء في العالم يسير معا مع كل شيء كجزء من الخطة الالهية. وحتى ان نظرنا إلى الطبيعة فسنلاحظ كيف ان كل شيء فيها مترابط بعضه مع البعض الآخر ضمن عمليات وفعاليات مترابطة ومتناغمة. ومن خلال مساهمتنا في هذه العمليات والفعاليات نستطيع العيش في تلائم وتناغم مع الفطرة والصبغة الإلهية التي خلقنا فيها. ان الافتراض بان طبيعتنا طبيعة وحوش أي طبيعة وحشية يقودنا إلى نظرية او عقيدة تقول بان المجتمع مؤسس على القوة وعلى الخوف والرعب، والى القيام بتقييد قابليات الآخرين لكي يضطهدوننا، او نقوم نحن باضطهاد الآخرين. نستطيع ان نتجنب هذا المصير ان لاحظنا كيف ان كل شيء جزء من نظام روحي يسود فيه التلائم والتناغم، مما يزودنا بالعيش حسب الخطة التي وضعها الله تعالى لنا.

ان المعاني السياسية التي يتضمنها الاسلام تعين وتشير إلى بعض التصرفات غير المقبولة منه على الاطلاق، وهذا نقيض الفلسفة البعيدة عن النبوة، فهي تقبل كل شيء بحجج ذرائعية. وفي اواخر حياته كان يكرر آية يعجب بها وهي **(ولا تزر وازرة وزر اخرى)**

لقد اخذ هذه الآية كدليل على خطأ سياسة انتهاز الفرص، ذلك لان مثل هذه السياسة تعني ان أناسا سيقاسون الالام في سبيل تأمين المنافع والمصالح لآخرين. فالاسلام يمنعنا من استعمال الآخرين كوسائل أو اغراضا للوصول إلى أهداف معينة كما جاء في أحد الامثال التوضيحية للفيلسوف "كانط" لان الدين مؤسس وقائم على بديهية باننا جميعا جزء من نظام الهي. بينما ترى النظرة المادية للأشياء بان كل شيء جائز. وقد يبدو حكم النورسي هذا خشنا بعض الشيء، طالما يكون من الخطأ القول بان الفلاسفة الغربيين والفلاسفة الذين قصدهم الغزالي خاصة هم جميعا من المفكرين الذين يرون بان المصالح الشخصية تهيمن على سلوك الافراد. ولكن النقطة التي يريد النورسي ايضاحها هنا والتأكيد عليها هي ان الفلسفة المحرومة من النبوة عليها ان تجد بنفسها قوانين السلوك والاخلاق، وعادة ما تكون هذه القوانين الاخلاقية قاصرة وغير كافية على الاطلاق. وقد اشار اقبال إلى المعنى نفسه عندما قال بان العلم دون دين يكون شيئا شيطانيا. ولم يكن يعني بهذا بان العلماء هم جماعة من الشياطين والأشرار، ولا يعني ان جميع اعمالهم اعمال خبيثة وشيطانية بالضرورة، ولكن ان لم تكن هناك مبادىء دينية ومعنوية قوية وسامية ترشدهم في أعمالهم، عند ذلك قد يطبقون معارفهم وعلومهم في أي شيء وعلى أي نحو. وقد يرون انفسهم اعضاء في المجتمع الانساني ومعنيين بمصالح الناس لذا قد يمتنعون من استخدام علومهم من اجل من يستهدف الهدم والتخريب. ولكننا مع هذا نعرف جيدا من تجاربنا في هذا العصر بان العديد من الافراد استخدموا القوة والمعرفة لا من اجل مصالح المجتمع، بل من اجل اذلال الجماهير

وتجريعهم الالام. لذا فان النورسي وهو يضع المبادئ الفلسفية المادية نصب عينيه لا يستبعد القيام بمثل هذا التصرف. الفلسفة دون نبوة تكون عمياء كما يقول كانط.

فان تابعنا تعبير "كانط" إلى مرحلة أبعد نقول ان النبوة دون فلسفة عند النورسي تكون خاوية، أي انه يدافع عن شكل معين للدين يكون غنيا بالثقافة... دين مؤسس على العقل، ولكن ليس على العقل وحده. ان جزءً من حركة "الإحياء" هو من أجل اثبات ان الاسلام يملك قوة ثقافية كافية تستطيع بها منافسة الاشكال الاخرى من المفاهيم. احد الاخطار التي تظهر عند الدفاع عن الدين امام الفلسفة هو احتمال ظهور الدين وكأنه شئ غير منطقي وغير عقلي وغير قابل للنقد، وانه شئ يتم التسليم به وقبوله. واستراتيجية حركة "الإحياء" هي محاولة تجنب هذا تماما والبرهنة على انه لا يوجد أي شئ غير منطقي في مبادئ الدين، بل ان الفلسفة المادية هي التي تفتقر إلى المنطق والى العقل عندما ترفع العقل وتصعد به فوق كل شئ آخر. ولكن اليس العقل أهم ملكة وقابلية في الانسان؟. هناك مشكلة معروفة منذ عهد حركة التنوير بانه لا يمكن تبرير عملية الدنو من العقل والعقلانية على اساس من العقل لأنها ستقودنا إلى اثبات دائري، او إلى حلقة مفرغة. فما السبب الذي يقودنا للايمان بان العقل هو الحل لجميع المشاكل؟ يصف النورسي الفلاسفة بـ " المعتدين بعقولهم الفارغة"[٧]. وجزء من الايضاح لهذا الوصف هو تقبلهم الحاسم للعقل دون أي مراجعة او نقد. والجزء الآخر من الايضاح هو عدم قدرتهم على ادراك ان للعقل حدودا معينة، او وضعهم هذه الحدود بشكل غير ملائم.

للنورسي كل الحق عندما يعد الانسان شيئا أكثر من مخلوق عقلاني، وان هناك اوجه في الحقيقة الانسانية ومفاهيم تتجاوز العقل. هذه الاوجه الانسانية التي يطرحها تعاملت معها النبوة بشكل أفضل واكثر تلاؤما. وان النبوة تدرك اوجه الحقيقة هذه والتي إما نملك وسيلة محدودة للوصول اليها او لا نملك أي وسيلة، لذا فان مثل هذا الارتباط "الزائد عن حده المعقول" بالعقل يتجاهل هذا الميدان الذي يكون العلم فيه لله وحده **(قل انما العلم عند الله)** "الملك: ٢٦".

ولكن لماذا لا يكون هذا قبولا دون أي تمحيص او نقد وتسليما بان هناك حقائق دينية وحقائق الهية؟ الجواب الذي يقدمه النورسي خلال مؤلفاته هو ان هناك اسبابا جيدة وعديدة لقبول مبادئ الاسلام،كما قدمت رسالة الاسلام في هذه المؤلفات بحيث تبدوانها تخاطب فينا العقل وتخاطب عواطفنا ايضا. وهذا هو السبب في اهمية الفلسفة، ولكن على الفلسفة ان ترتبط بالنبوة لكي تستطيع ان تعكس الاوجه المختلفة لطبيعتنا ككائنات انسانية.

والآن لنقارن بين الحركات الاحيائية الثلاثة التي ذكرناها هنا. يقدم الغزالي مثالا ناصعا من الاسلوب والفصاحة المتدفقة، وعمقا قد لا يمكن مضارعته والاتيان بمثيله. ولكن هل كتبت مؤلفاته بشكل ملائم للانسان العادي في المجتمع الذي يتطلع إلى الجمع بين الاسلام وبين الحداثة او المعاصرة؟

الجواب سيكون بالنفي.

يناقش الغزالي ليدحض الفلسفة والمدارس اللاهوتية الاخرى في كتبه الاخرى. وحتىكتابه "إحياء علوم الدين" موضوع ومؤلف للطبقة المثقفة وللنخبة من المتدينين، وهو يتميز بنكهة شخصية جدا وقوة في الاسلوب. وعندما يقرأ الانسان هذا الكتاب يحس ان روحه قد اقترب حقا من الله، ولكن

تفسيره للقرآن نادرا ما يكون جديدا وملهما. والسؤال الذي يجب طرحه هو المدى الذي نجح فيه كتاب "إحياء علوم الدين" في حركة "الإحياء". وهذا الكتاب يكشف حقا عن استنتاجات الغزالي بعد ان صرف عمره في تمحيص المقدمات المنطقية والفلسفية، ولكن بما ان هذه المقدمات موجودة بشكل واسع في كتبه السابقة فمن الصعب فهم لماذا يعدّ كتابه "إحياء علوم الدين" اكثر من مجرد سياحة روحية شخصية خاصة.

اما محمد اقبال فيجب تناوله بشكل مختلف طالما ان اعماله تختلف عن اعمال الغزالي. فقد اجاب اقبال على المشاكل الفلسفية باعمال ومؤلفات ذات تقنيات ومصطلحات فلسفية، كما قدم افكاره حول الفلسفة وحول الاسلام في اشعاره وفي اعماله وجهوده السياسية، لذا فان نتاجه ومحصوله ككل يجسد حركة "الإحياء" وهو في فهمه وادراكه للفلسفة الصرفة يتقدم على النورسي ويتجاوزه. ولكن من وجهة الاسلوب هناك مشاكل في اعماله. فهو احيانا يكون غامضا جدا واحيانا بعيدا عن الاسس النظرية "Atheoretical". وكتاباته الموجهة نحو الطبقات الشعبية اكثرها من الاشعار، وهذه الاشعار لا تصلح كبراهين وحجج حول دور الاسلام في العالم المعاصر.

قدم النورسي افضل نوع من ادب "الإحياء" ولا سيما في مؤلفه "رسائل النور" وليست المسألة في انه ناقش بشكل افضل من الغزالي او من اقبال، ولا انه عبر عن نفسه بلباقة ورشاقة اكثر، ولكن الذي عمله هو انه عبر عن نفسه بوضوح وبطريقة تجمع بين العاطفة وبين العقل، فهو يمزج في نقاشه عند تناوله المشاكل او المتون الاسلامية بين تصويره الشخصي وبين البراهين غير الشخصية، مما مكنه من ايصال دعوته ورسالته إلى أوسع الجماهير.

لا شك ان احد الاسباب في ظهور مؤلفاته بهذا الشكل يعود إلى الظروف الصعبة عند التأليف وصعوبة وصوله إلى الكتب والمصادر، والضغوط النفسية التي واجهها. وقد كانت لهذه الظروف الصعبة تأثير ايجابي في صقل هذه المؤلفات وتنقيتها وتهذيبها من ناحية اسلوبها وصياغتها، أي جعلتها قابلة لتقديم فكرة حركة "الاحياء" بايجاز وبشكل مقنع. كما يوجد في هذه المؤلفات توازن جيد بين المفاهيم الاسلامية التي يمكن شرحها، وبين المفاهيم التي لا يعلم كنهها وحقيقتها سوى الله.

من المهم وجود توازن صحيح، ذلك ان قام احدهم بتقديم كل شئ في الدين وكأن عقولنا قادرة على فهمه، عند ذلك يختفي سر الدين ويزول. وان بالغنا وعزونا ونسبنا كل شئ إلى العلم الالهي، عند ذلك لا يبقى سوى النزر اليسير من المعرفة لنا. وحركة "الإحياء" الناجحة هي الحركة التي تقدم المبادئ الدينية المقنعة والقوية بشكل يكون قادرا للوصول إلى جماهير المجتمع. ولا يشك أحد في ان النورسي نجح في هذا الأمر.

والشئ المفقود هنا - إلى حد ما - هو الايضاح بشكل دقيق السبب في فشل او عدم صحة البراهين المقدمة من قبل من رآهم أعداء للدين. وهذا راجع إلى انه لا يكون مناسبا في حركة "الإحياء" تكرار واعادة كل الأفكار المعادية بالتفصيل. على العكس من هذا فالضرورة تقتضي وضع هذه الأفكار والنظرات المعادية ضمن أطر مجموعات عامة معينة ثم اظهار انها تفشل وتعجز عن ان تكون بديلة للاسلام.

هذا هو الطريق الذي سلكه النورسي في الغالب في شرح وايضاح آرائه وهو شخص في موضع من يقترب ويدنو إلى طبيعة الحقيقة وماهيتها بخطوات متسمة بحيوية الضمير وبدقة

القياس. وهو سعيد لانه يتبنى هذا الموقف لانه الموقف السائد في القرآن نفسه عندما يأخذ بيد القارئ بشكل تدريجي خلال عملية تفحص وتدقيق الحقائق وكيف كان العالم بهذا الشكل دليلا واشارة إلى حقيقة اعلى واسمى. ويقوم النورسي باخذ حركة "الإحياء" ورفعها إلى قمم عالية جديدة من الوضوح والبلاغة، وهو في الحقيقة من اعلام الفكر الإسلامي البارزين في حركة الاحياء.

---

١ استاذ الفلسفة في جامعة جون مورس بليفربول - المملكة المتحدة. وأستاذ محاضر في قسم اللاهوت والدراسات الدينية وفي قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة مانجستر. حصل على الدكتوراه من جامعة كمبرج١٩٧٩ له ابحاث كثيرة في مجال إختصاصه. نذكر من مؤلفاته:

-Death and loss:
-Evil and suffering in Jewish philosophy،
-History of Islamic Philosophy, ed. S. H. Nasr
-Orientalism and Islamic Philosophy" -
-Friendship East and West - Philosophical Perspectives.،
-History of Jewish Philosophy, ed. D. Frank Routledge،
-Moses Maimonides Curzon
-Averroes and his Philosophy Curzon،
-The Future of Philosophy:
-Key Concepts in Eastern Philosophy،

٢ - ولهذا فإن كتاب " مقاصد الفلاسفة " للغزالي فُسر من قبل القراء الغربيين على أنه مفكر مشّائي أي من المدرسة الأرسطوطاليسية. وحتى اليوم فإن بعض المفسرين لكتابات الغزالي كالسيد ريتشارد فرانك يقولون بأن فكر الغزالي لم يكن بعيدا عن فكر إبن رشد بشكل كبير كما كان الإعتقاد سائدا من قبل، كما أنه كان اكثر بعدا عن فكر الأشاعرة مما كان يحسب في السابق. انظر إلى نقد هذا التقييم الى:Asian Philosophy. 6,1:17,27، *Oliver Leaman*

٣ - المكتوبات/٢٧ قد يحسب من هذا التعريف ان الإيمان الإعتيادي يفضل التصوف، إلا أن هذا تناس لمبدأ النورسي في القناعة والإقتصاد. فهو - على الأرجح - يأتي بمثال الفاكهة لتصوير شيْ كمالي وغير ضروري

٤ - الكلمات/٦٤٢

٥ - الكلمات/٦٤٤

٦ - نفسه

٧ - الكلمات/٤٤٥

حركة التجديد والاصلاح
في اواسط القرن العشرين

جون اوبرت وول[1]

أثرت التغيرات والتقلبات الكبيرة التي حفل بها منتصف القرن العشرين في مختلف أوجه حياة الإنسان. كما أثرت تجارب الحداثة والعصرنة في العصرين الأخيرين على العقائد الدينية وعلى تقاليدها، كما لعب الدين دورا مهما في تشكيل تجارب الحداثة للمجتمعات، ولا يزال يلعب هذا الدور. ويعد أواسط القرن العشرين من أكثر الادوار الحرجة التي تجلب الاهتمام في موضوع التاثير المتبادل بين الدين وبين الحداثة.

ويمكن النظر إلى أعوام الخمسينات من هذا العصر كأعوام بلغ التأثير فيها ذروته، كما بدت فيها اولى إشارات "العالم ما بعد الحداثة Post Modern". ولم يكن في الامكان حل بعض المناقشات الرئيسة للحداثة إلا عند عدم قلبها إلى توترات ومشاكل جديدة. ومع ذلك فأن الوعي و اليقظة التي تمت في الخمسينات لا تشبه اليقظة الكبرى التي ظهرت لدى المسيحيين في المستعمرات الانكليزية في أمريكا الشمالية في القرن الثامن عشر بقيادة "جوناثان ادوارد"، ولا اليقظة التي شهدتها الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر ايضا بالحركة التي تعود عليها المسلمون و التي بدأها "محمد بن عبد الوهاب" بينهم، وان كان هناك بعض أوجه التشابه فيما بينها، فهذه الحركة لم تكن حركة "إحياء". ولم تأخذ حركة اليقظة التي تحققت في أواسط القرن العشرين شكل حركة "برانج ديفيديان" في الولايات المتحدة الامريكية ولا شكل بعض الحركات الجهادية التي ظهرت في العالم الإسلامي في الربع الاخير من القرن العشرين المتسمة بطابع الشدة أو بالطابع الديني.

على العكس من هذا فان اليقظة التي ظهرت في اواسط القرن العشرين كانت حركة أفرزتها حركة تجارب الحداثة فيما يتعلق بمسائل النظم الاجتماعية والدينية. فحركة الانبعاث الجديد - التي حدثت في الخمسينات - هيأت مثلا القواعد والاسس الثقافية واللاهوتية في العالم المسيحي وفي المجمع الكنسي الثاني للكنيسة الكاثوليكية - الذي عقد في الفاتيكان في بداية الستينات - للتحرر اللاهوتي. وكان الصعود الفجائي المتزامن للحركات الشيوعية المتطرفة وللحركات القومية عامل حجب لما يحدث من إرساء لحركة ذات طابع ثقافي ونظامي في مجال الأعراف والتعاليم والتقاليد في الاسلام والهندوسية والبوذية لتجاوز وتخطي المناقشات والتوترات التي أحدثتها المعاصرة. وقد قاوم الكثيرون تعبير "ما بعد الحداثة"بسبب بعض تماثله مع مدرسة أدبية معينة في النقد والفلسفة. ومع ذلك فمن المحتمل أنه أفضل تعبير ممكن في ملاحظة ووصف التغيرات في النظرة السائدة في المجتمعات الصناعية القائمة على "خط الإنتاج"، وفي النظرة الشائعة في العلم حول الكون والقائمة على فيزياء "نيوتن". وتملك معظم ميول "ما بعد الحداثة" جذورا قوية في التغيرات التي حدثت في الخمسينات. وقد يكون من المفيد القول بأن الحركات الدينية لهذا العقد عبارة عن تركيب ومزيج من "الحداثة" ومن "ما بعد الحداثة" في الامور التي واجهتها هذه الحركات وفي الحلول التي قدمتها.

شهدت أعوام الخمسينات تغيرات مهمة جدا في العالم الاسلامي، فقد اكتسبت البلدان الاسلامية استقلالها السياسي بسرعة كبيرة. وكان نمط الكفاح لاحراز الاستقلال يحدد إلى درجة كبيرة طبيعة التنامي والتوسع في الساحة الدينية. وكان هناك تشابه نسبي بين النشاط الديني وبين القومية. ومع ذلك فقد كانت هناك بعض البلدان الاسلامية المهمة كتركيا وايران ومصر مستقلة منذ مدة طويلة، وكان التطور الديني في هذه البلدان ينحو منحى مختلفا، فقد كانت عناصر الحداثة وما بعد الحداثة ظاهرة في هذه البلدان أكثر من غيرها، وكانتا أهم نقاط النقاش، وكان مزيج عناصر الحداثة و"ما بعد الحداثة" ظاهرة في هذه البلدان أكثر من غيرها، وكانت مواضيع النقاشات الجارية فيها تتضمن العلاقات الموجودة بين المؤسسات السياسية والثقافية الحديثة وبين الأجوبة الاسلامية لقواعد الحداثة المؤسسة الراسخة. ويظهر هذا خاصة في مصر بعد القيام بقمع حركة الاخوان المسلمين المتسمة بالحداثة ثم بداية ظهور حركة الإخوان المسلمين المتسمة بالطابع الثوري بعد وضوح قيام عبد الناصر بتأسيس حركة القومية العربية الاشتراكية المتطرفة. أما في إيران فقد كانت التطورات متعلقة ببرامج التحديث الغربية التي قامت بها السلطات الحاكمة فيها، وارتباط هذه السلطات الحاكمة بالولايات المتحدة الامريكية كقوة أجنبية متدخلة في شؤون البلد. وبدأت المؤسسة العصرية تواجه تحديا متزايدا من قبل المعارضة ذات الطابع الإسلامي ولا سيما بعد فشل وسقوط القومية العلمانية التي قادها مصدق.

أما تركيا فقد بدت في الخمسينات كبلد يحاول تجربة بعض أنواع من الانبعاث الديني[٢]. وقد نوقشت معظم هذه الفعاليات في مواجهة التطورات السياسية آنذاك. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية دخلت تركيا إلى عهد جمهورية ذات برلمان مكون من أحزاب متعددة، وكان من الطبيعي أن تأخذ المواضيع الدينية قسما أكبر من ذي قبل في المناظرات والمناقشات بين الجماهير وأفراد الشعب.وكان الفوز الذي حققه "الحزب الديمقراطي" في إنتخابات عام ١٩٥٠ قد فتح الطريق أمام التغيير في السياسة المتعلقة فيما يخص الدين، فمثلا سمح للاذان الشرعي السابق وتُرك الأذان باللغة التركية، كما سمح بحرية أوسع للتدريس والتعليم الديني. على أي حال كانت هناك أيضا ميول ثقافية وفكرية أوسع لا تتعلق بالسياسة الحزبية آنذاك. وكانت هناك مجموعة من المفكرين والقادة الروحيين الاتراك قد نذروا أنفسهم لبيان وتوضيح المبادىء الاسلامية تجاه ظروف العصر الحديث وتجاه "ما بعد الحداثة" التي بدأت معالمها بالظهور. وعلى الرغم أن "بديع الزمان سعيد النورسي" غير معروف كثيرا خارج تركيا إلا أنه يُعد من أهم الشخصيات التي لعبت دورا بارزا في هذه التطورات [٣]وكانت اعوام الخمسينات هي العقد الاخير من حياته.

غطت حياة بديع الزمان سعيد النورسي قسما كبيرا من تاريخ تركيا الحديثة، فقد ولد في شرقي تركيا عام ١٨٧٦ أي في الحقبة الاخيرة من عهد الدولة العثمانية وخدم في الجيش العثماني(*)، وكتب مقالات وطنية في أثناء حرب الاستقلال التي أعقبت الحرب العالمية الاولى مما نال بها تقدير حكومة "انقرة" الوطنية. ولكنه فقد هذا التقدير عندما ذكر لرجال البرلمان في انقرة بأن نجاحهم هذا لا يرجع ببساطة إلى جهودهم الشخصية بل إلى القدر الالهي. [٤]ثم جلب كونه مرشدا دينيا يتمتع بشعبية كبيرة شكوك الحكومة التجديدية لمصطفى كمال اتاتورك مما أدى إلى أن يقضي النورسي

(*) لم يخدم في الجيش العثماني الرسمي، بل اشترك في الحرب ضد روسيا في الحرب العالمية الأولى كقائد للمتوعطين من تلاميذه ومن المدنيين الآخرين. (المترجم)

بقية حياته في السجون أو في النفي في أرجاء نائية من تركيا.[٥]

يقوم النورسي بتقسيم حياته إلى ثلاث مراحل، ففي المرحلة الاولى منها هو "سعيد القديم"، حيث نراه إلى جانب إهتمامه النشط بالقضايا الاسلامية ذات الطابع المحافظ عسكريا فعالا في الجيش العثماني. وقد وصف النورسي فيما بعد وضعه الفكري والثقافي في تلك المرحلة فقال:

"ان "سعيداً القديم" والمفكرين، قد ارتضوا بقسم من دساتير الفلسفة البشرية، أي يقبلون شيئاً منها، ويبارزونهم باسلحتهم، ويعدّون قسماً من دساتيرها كأنها العلوم الحديثة فيسلّمون بها. ولهذا لا يتمكنون من اعطاء الصورة الحقيقية للإسلام على تلك الصورة من العمل."[٦]

بدأت مرحلة "سعيد الجديد" في السنوات التي أعقبت رجوعه من الأسر في روسيا إلى اسطنبول بعد إنتهاء الحرب العالمية الاولى. في هذه المرحلة ضعف عنده جانب الفلسفة الإنسانية وظهرت لديه الحاجة إلى التغلب على الغرور الشخصي والحاجة إلى إتخاذ القرآن المرشد الوحيد له[٧] أي دخل في تجربة يقظة معنوية وروحية. وكانت النتيجة أنه سحب نفسه من العمل السياسي والاجتماعي الفعال ونذر بقية حياته لكتابة "رسائل النور". وهذه الرسائل كتاب عمره وتتألف من مجلدات عديدة أدرج فيها تعليماته الموجهة إلى طلابه الذين تزايدوا على مر السنوات.

في أعوام الخمسينات دخل سعيد النورسي إلى مرحلة "سعيد الثالث"، وقد أمّن العهد السياسي الجديد الذي دخلت فيه تركيا إمكانية إنتشار رسائل النور وسهّل الانسجام بين طلاب رسائل النور وبين قرائها. أما التغير الرئيسي الملاحظ على سعيد النورسي في هذه المرحلة فهو إهتمامه بالحياة السياسية والاجتماعية أكثر من ذي قبل.[٨] ولا يعني هذا أن النورسي قام بتشكيل حزب سياسي أو تنظيم طريقة صوفية نمطية.بدلا من هذا فمن الافضل النظر إلى حركته "كحركة إيمانية"[٩] تتضمن منظمات نشر وجماعات من المسترشدين برسائل النور.

كان لسعيد الثالث دورا كبيرا في النهضة الدينية التي شهدتها أعوام الخمسينات.كانت أفكاره تجذب الناس من مختلف المشارب وتؤثر فيهم،وتعاملت هذه الأفكار مع مواضيع لم تقتصر على الشؤون التركية فقط.

إن تناول كتابات النورسي ودورها في مواجهة الحداثة التي تحققت في الخمسينات يحتاج إلى دراسة طويلة وشاملة. ومع ذلك فيمكن تناول بعض كتاباته في "اللمعات" كخطوة اولى في تحليل أفكاره.[١٠]

الحداثة - المعرفة - العقل

لقد واجه معظم المفكرين العالميين في مجال التعاليم الدينية تحديات ومهمات كبيرة في خصوص تقديم حقائق تعاليمهم بطريقة قوية ومؤثرة ومقنعة في العصر الحديث. وفي أواخر القرن التاسع عشر بدا بوضوح أن التغلب على مشكلات الحداثة والكفاح معها بنجاح يشكل أهم أشكال النضال والجدال. ومن المحتمل فإن أكثر المواضيع إثارة للجدل في هذا الخصوص كان تعيين العلاقة بين الإيمان الديني وبين العقل الديني.فقد أُعتبر في الغالب أن هناك نزاعا وخصاما بين العقل وبين العقيدة الدينية ولا سيما في التعاليم الفلسفية التي ظهرت كنتيجة لعهد التنوير في أوروبا. فقد إعتبر الكثيرون من الذين حاولوا تقديم تعريف لمنظور "الحداثة" بأن الإيمان الديني ليس إلا

نتاج من صنع الإنسان في العهود السابقة للعهد الحديث.فقد تم اعتبار القرون الوسطى "عهد إيمان" بينما تم إعتبار العهد الحديث القائم على النظرة الفلسفية للقرن الثامن عشر بأنه "عهد العقل".

كان النزاع بين العقل وبين الوحي قسما مهما من وعي وإدراك العقلية الحديثة في الخمسينات. وقد قُدّم هذا بوضوح في كتاب ألفه "كرين برينتن" طُبع في عام ١٩٥٠ تحت عنوان "تشكيل العقلية الحديثة"[١١] وكان له تأثير كبير. يقول المؤلف في هذا الكتاب:

"إن ما اعتقده الكثير من الرجال والنساء منذ القرن الثامن عشر وما تلاه من قرون لا يتماشى مع قسم مهم من التعاليم المسيحية التقليدية". وكان هذا يتضمن علم كونيات "كوزمولوجي" جديد والذي كان يرى أن " الاعتقاد بان البشرية تستطيع الآن بلوغ المرتبة الكاملة على هذه الارض في الفكر الغربي شيء ممكن فقط بالنسبة للمسيحيين كنعمة الهية، ثم لهم فقط بعد الموت"[١٢] كان الفكر الرئيسي لعلم الكونيات الجديد إجراء تركيب بين العقلانية وبين العلم الحديث. وكان على الشخص العقلاني في هذا السياق القيام "ليس بطرد وإبعاد أي قوة خارقة وفوق الطبيعة من الكون، بل القيام أيضا بإحلال الإنسان نفسه ضمن إطار عمل الطبيعة، أو عمل الكون المادي". والعقلانية تدين بقسم كبير من سمعتها التي صعدت وتنامت بشكل تدريجي إلى النجاحات التي حققها العلم الطبيعي. وأخيرا عندما إستطاع هذا العلم بفضل قوانين نيوتن الحصول على صورة كاملة ورائعة لنظام الكون بحيث أصبح في الإمكان تجربته رياضيا وإجراء التنبؤات الناجحة كانت المرحلة بالنسبة للنظرة العقلانية الجديدة قد وصلت إلى نهايتها".[١٣]

وعند منتصف القرن العشرين كانت هذه هي "العقلية الحديثة" التي سيطرت على معظم أنحاء العالم، وكانت هذه هي "العقلانية العلمية" التي واجهها جميع المفكرين الدينيين. وكانت أهم النقاشات الدائرة في أوساط الحداثة الدينية هي عما إذا كان على أي شخص يؤمن بدين قائم على الوحي الإيمان بالعقلانية الحديثة وبالعلم النيوتني وقبولهما أم لا. وقد حدث تطوران رئيسان في هذا المجال: فقد اتفق العقلانيون الملحدون مع الاصوليين الحرفيين على عدم وجود أي انسجام أو توافق بين العقل وبين الدين، ولا بين العلم الحديث وبين "الدين الحقيقي". بينما طورت جميع الاديان الرئيسة في العالم مدارس حديثة في الفكر لإظهار أن الاديان يمكن فهمها بالمصطلحات الحديثة. وقد تبنى المتقبلون للحداثة وضعا اعتذاريا في قبول شرعية الحداثة وعملوا على إظهار كيف أن أديانهم تتماشى معها. وفي العالم الإسلامي تقوت التقاليد الحديثة بأعمال بعض المثقفين في أواخر القرن التاسع عشر من أمثال محمد عبده.

وفي الخمسينات بدأت المواضيع الرئيسة ضمن نقاش "الدين ضد العلم" بالتغير نتيجة للتغيرات المهمة التي حدثت في ساحة العلم والتي بدأت بالنفوذ والترشح إلى أذهان الشعب وعلى نقاشات الطبقة المثقفة، فقد جاء في كتاب كُتب في الخمسينات من قبل "وارنر هايزنبرك" وهو من أشهر علماء الفيزياء في القرن العشرين شرح وبيان للتطور الذي حدث في النقاش بين العلم وبين الدين فقد كتب يقول:

"لقد انكشف في القرن التاسع عشر إطار ضيق جدا للعلوم الطبيعية. ولم يحدد هذا الإطار نظرة العلماء فقط، بل نظرة جماهير عريضة من الشعب ....وقد كان هذا الإطار من الضيق والمحدودية بحيث كان من الصعب أن نجد فيه مكانا لكثير من المفاهيم الموجودة في لغتنا والتي ترجع إلى

جوهرها ولبها مثل مفاهيم العقل أو الروح الانساني أو حول الحياة ...لقد تطور عداء واضح وصريح للعلم ضد الدين ... لقد حلت الثقة في الطرق العلمية وفي التفكير العقلاني محل جميع وسائل الوقاية والحماية للعقل الإنساني"[١٤]. وقد لاحظ هايزنبرغ:

"لقد تم قبول اللغة العلمية للميكانيكية النيوتينية بشكل خاطىء وكأنها النقطة النهائية للعلم".

ولكن الإطار الضيق القديم بدأ ينحل ويتهاوى في القرن العشرين نتيجة تأثير النظرية النسبية وميكانيكا الكم[١٥]. ولم تكن الاحكام التي وصل إليها هايزنبرغ تقوده إلى إنشاء إطار جديد وضيق، بل نراه يصرح بأنه بينما يحتمل قيام العلم الحديث بدور تمزيقي للأشكال الثقافية للمدنيات الموجودة في العالم فإنه يستطيع المشاركة في مهمة جديدة هي: "إن وضوح الفيزياء الحديثة قد يساعد بدرجة ما على إنهاء الخلاف بين التعاليم والتقاليد القديمة وبين النهج الجديد للتفكير"[١٦]. ومع ان إنتشار التكنولوجيا الحديثة قد يضر بالتقاليد الثقافية القديمة "بما أن كل هذه التطورات حدثت خلال شريط طويل من الزمن خارج سيطرة أي قوة إنسانية، علينا قبولها كملامح رئيسة لزماننا ويجب علينا محاولة ربطها قدر الإمكان بالقيم الإنسانية التي سعت إليها الثقافات والقيم الدينية".[١٧]

هذا المسعى الذي بينه هايزنبرغ كما يمثل النغمة الجديدة للنقاش في أعوام الخمسينات فإنه يقدم بعدا جديدا لفهم تأثير سعيد النورسي. كان النقاش في "الحداثة" في الماضي يدور حول عما اذا كان العلم يؤيد الدين أم ينقضه،بينما تمحور النقاش في اوائل "ما بعد الحداثة" على بذل الجهود لرؤية العلاقات والروابط بين العلم وبين الدين، والنظر إلى كل من "العلم" و "الدين"كأجزاء من لغتنا الطبيعية. ويقدم مؤلف كتاب عن حياة النورسي الحادثة الآتية التي تعكس الاتجاه المختلف للنقاش، ففي أواسط الخمسينات جاء أحد المستشرقين الانجليز إلى اسطنبول وألقى محاضرة ذكر فيها أن الايات القرآنية التي تتكلم عن "السماوات السبع" ترينا بأن القرآن يخالف العلم، لأن علم الفلك الحديث يرينا عدم وجود سبع سماوات في الفضاء. ذهب طالبان من طلاب النورسي من مستمعي المحاضرة إلى استاذهم وسالوا عن رأيه في الموضوع فكتب النورسي رسالة مستندة إلى مختارات من رسائل النور وقام طلابه باستنساخ الرسالة وطبعها ووزعوها في اليوم التالي في قاعة المحاضرة، وحسب كاتب حياة النورسي فقد ترجموا فحوى الرسالة للمستشرق الذي اختصر محاضرته في ذلك اليوم والغى محاضراته الاخرى.[١٨].

هذه الحادثة مثيرة للاهتمام من ناحية طبيعة النقاش. فمن الواضح ان المستشرق الانجليزي كان يستعمل اسلوب المناظرة العائد إلى "الحداثة" مستعملا العلم الحديث لتفنيد نصوص مقدسة مستندة إلى الوحي. إن كلا من العالم المزعوم والاصولي من الطراز القديم يتفقان على وجوب تقديم تفسير حرفي للنص المقدس. ولم يكن جواب بديع الزمان بالصيغة القديمة. ومن المحتمل أن مواد الرسالة التي سلمها النورسي لطلابه موجودة في كتابه "اللمعات" في القسم الذي يشرح فيه كيف يجب فهم معنى السماوات السبع. يبدأ بديع الزمان جوابه بذكر ما ياتي:

"لما عجز اصحاب علوم الجغرافيا والفلك بقوانينها القاصرة ودساتيرها الضيقة وموازينها الصغيرة ان يرقوا إلى سموات القرآن وان يكشفوا عن الطبقات السبع لمعاني نجوم آياته الجليلة، بدأوا يحاولون الاعتراض على الآية الكريمة وانكارها بحماقة وبلاهة."[١٩]: ان معنى الآية شئ، وأفراد ذلك المعنى ومايشتمل عليه من تلك المعاني من الجزئيات شئ آخر. فان لم يوجد فرد من

افرادٍ كثيرة لذلك المعنى الكلي فلايُنكر ذلك المعنى الكلي.[٢٠]

ويقدم بديع الزمان شرحا إضافيا في هذا الصدد مستخدما ما تعود على استخدامه على الدوام وهو سلوك "الطريق الوسط" فيقول:

"ان الحكمة القديمة قد تصورت السموات انها تسعُ سموات، فزادت على السموات السبع، العرش والكرسي الواردين في الشرع، فكان تصويراً عجيباً لها. ولقد استولت على البشرية طوال عصور مديدة تلك التعابير الرنانة لفلاسفة الحكمة القديمة وحكمائها حتى ان مفسرين كثيرين اضطروا إلى امالة ظواهر الايات إلى مذهبهم مما ادىّ إلى اسدال ستار على اعجاز القرآن، إلى حد ما.

أما الحكمة الجديدة المسماة الفلسفة الحديثة فتقول بما يفيد انكار السموات ازاء ما كانت تدّعيه الفلسفة القديمة من ان السموات غير قابلة للاختراق والالتئام. فقد فرّط هؤلاء كما أفرط اولئك. وعجز الاثنان عن بيان الحقيقة بياناً شافياً.

أما حكمة القرآن الكريم المقدسة فانها تدع ذلك الافراط والتفريط متخذة الحد الوسط، فهي تقول: ان الصانع جل جلاله خلق سبع سموات طباقاً"[٢١]

ويستمر بديع الزمان في سرد هذا الاسلوب من التعبير ذاكرا أن أناسا مختلفين يفهمون معنى الايات بطريقة تكون ملائمة لمستوى عقلياتهم وقابليتهم على الفهم فيقول:

"نعم! ان سعة خطاب القرآن وشمول معانيه واشاراته ومراعاته درجات افهام الطبقات عامة ومداركهم من ادنى العوام إلى أخص الخواص تبين: ان كل آية لها وجه متوجه إلى كل طبقة من الناس.

ولأجل هذا فقد فَهمتْ سبعُ طبقات بشرية سبعَ طبقات مختلفة من المعاني ضمن المعنى الكلي للآية الكريمة: "سبع سمـــوات".[٢٢]

ثم يتناول النورسي الطرق المختلفة التي يمكن بها فهم معنى "السماوات السبع"، ثم يصل إلى إستنتاج بأن:

"إن معنى واحداً لهذه الآية من بين تلك المعاني الكثيرة إن كان صدقاً فان المعنى الكلي يكون صدقاً وصواباً، حتى لو ان فرداً واحداً من تلك المعاني، لاوجود له في الواقع إلاّ في ألسنة الناس، يصح أن يكون داخلاً ضمن ذلك المعنى الكلي، رعايةً لأفكار العامة. فكيف ونحن نرى كثيراً جداً من افراده صدقاً وحقيقةً".[٢٣]

إن هذا المثال يقدم لنا صورة عن الجهد الاساسي الذي بذله النورسي لتقديم "جامع الدعوى" "synthesis" للعلم والدين. وخلال الخمسينات كتب النورسي مجموعة من الرسائل التي كانت الرسائل الاخيرة التي أضيفت إلى رسائل النور. وهذه الرسائل - كما يقول كاتب حياته- "تقوم بتصوير وجه من أهم أوجه رسائل النور وهو شرح العلاقة بين العلم وبين حقائق الإيمان وأنهما -بدلا من كونهما في حالة خصام وتناقض - إن تم تناولهما في ضوء القرآن فإن العلم سيقوم بتعضيد الإيمان وتقويته".[٢٤] وعلى أي حال فإن نقاش الايات حول "السماوات السبع" لم يجر بالاسلوب المعهود في "الحداثة" بين عقلاني يناقش اصوليا. بدلا من هذا فقد تحدث بديع الزمان عن "وسعة

الخطاب القرآني" وعن "لغة الشريعة" علاوة على ذكره اختلاف المفاهيم حسب الزمان والمكان وحسب الموقع الاجتماعي.بينما لم يتم تقديم هذا النقاش بأسلوب التحليل التفسيري والتأويلي. ولا شك أنه مثال واضح على أسلوب قوي من ل "ما بعد الحداثة" ظهر وبرز في الخمسينات بدلا من كونه تكرارا للأسلوب القديم في النقاش المحصور ضمن إطار "الحداثة" في معالجة موضوع المعركة بين العلم وبين الدين.

الحداثة والطريق الوسط

في أواسط القرن العشرين كان هناك الكثير من المظاهر الاجتماعية المهمة ومن الشؤون الدولية قد دخلت ضمن أقطاب متنافسة، وكان هناك قطبان واضحان في الصراع على النطاق الدولي في الحرب الباردة التي كانت جارية بين الولايات المتحدة الامريكية وبين الاتحاد السوفيتي.... الغرب في مواجهة الشرق، والرأسمالية في مواجهة الشيوعية. وهذه الحرب الباردة رسمت إطارا لكثير من العلاقات بين أبعاد الحياة. وقد شهد عقد الخمسينات ظهور حروب رئيسة بارزة في حركات تحرر الامم وصراعات اجتماعية. في ذلك العهد كتب "هارولد لاسويل" - وكان من الخبراء المعروفين في السياسة- ما يأتي:

"لم يعد أحد يشك أو يختلف بأن عهدنا هو عهد التغيرات الثورية على المستوى العالمي، ما نختلف فيه هو حول طبيعة هذه التغيرات الثورية"[٢٥]. وإذا كان عليّ أن أستعمل تعبيرا من كتاب كان واسع الانتشار آنذاك قلت أنه عهد:"المؤمنون الراسخون" وهو اسم الكتاب الذي كتبه "أريك هوفر" عام ١٩٥١ قال فيه:

"من الضروري على معظمنا في هذه الأيام أن نكون على بصيرة من حوافز وبواعث وأجوبة المؤمنين الراسخين.لأنه مع أن عصرنا عصر إلحاد إلا أنه ضد الزندقة أو عداء الدين. إن المؤمنين الراسخين موجودون في كل مكان وقد بدأوا مسيرتهم، وكل فريق يريد تشكيل عالمنا حسب الصورة الموجودة في ذهنه".[٢٦] والمقصود من تعبير "المؤمنون الراسخون" الوارد في هذا التحليل هم المتعصبون الذين يرون هذا الإيمان ضروريا لتحريك كتل الجماهير. ويتابع: "إن من يقوم بتغيير أمة أو بتغيير العالم لا يستطيع عمل ذلك بإظهار معقولية هذا التغيير المطلوب أو بإكراه وإجبار الجماهير والناس على أسلوب آخر للحياة. عليهم أن يعرفوا كيفية إثارة الامال العريضة المبالغة بها وتهييجها."[٢٧]

لقد أكدت الثورات الكبيرة على أهمية المجموعات المختلفة والمتنافسة فيما بينها وعلى أهمية الجماهير.وعندما اسندت الثورات الرئيسة نفسها إلى قاعدة آيدولوجيات المجموعات الدولية كما هو الملاحظ في الثورة الماركسية كانت الايدولوجيات مستندة إلى "الدور العالمي الفريد لطبقة البروليتاريا" وقد لوحظ أن "جميع الثورات التي نجحت في القرن العشرين نجحت بإنشائها حكومة دولة قومية موجودة في العالم ضمن دول قومية اخرى"[٢٨]. وقد عُدّت - من أوجه عديدة - الحروب التي نشبت في اواسط القرن العشرين والناتجة من خصومات ونزاعات الحركات الثورية للقرن العشرين ... عُدت ذروة وأوج الحداثة. كانت الدولة القومية ولا زالت الوجه السياسي للحداثة وظاهرتها. وفي أواسط القرن العشرين كانت عملية التحديث مقترنة في الغالب من ناحية المفاهيم مع "بناء القومية". وبينما كانت الدول القومية تستطيع العمل معا كان القوميون والثوريون من

"المؤمنين الراسخين" جزء مهما في الدول وفي المجتمعات في العالم أجمع. لقد كان عقد الخمسينات عهدا لتطرف كبير.

كانت القومية والثورة والصراع الحديث لا يزال ظواهر لعملية التقدم للحداثة العالمية في القرن العشرين. وكانت هناك في الوقت نفسه حركات مهمة ومشاهدة ايضا قد ذهبت أبعد من هذا. وكما قام آنشتاين وهايزنبرغ في حقل العلوم الطبيعية بتجاوز وتخطي فيزياء نيوتن، كانت هناك تغيرات مهمة مشابهة في ساحة السياسة والدين.وقد صرح ف. س. ج نورثروب آنذاك:

"أُفتتح القرن العشرون بقيام آنشتاين وبلانك بإعادة تركيب مذهل ومفاجيء لنظرة الإنسان إلى الطبيعة، ووصل القرن إلى منتصفه بتغيير مماثل في ساحة السياسة الداخلية والدولية. أما التغيير الذي كان مماثلا في الاهمية فقد وقع في ساحة الدين على الرغم من إنه لم يجلب الكثير من الانظار ومن الإنتباه."[٢٩].ويقول بخصوص التطور الديني:

"لقد ولد علم مقارنة الاديان في جو من الاحترام الناضج بين أديان العالم، من الانسجام وجو التفاهم في الداخل، وليس من وسط الحماسة التبشيرية من الخارج، وأصبح هذا هو الجوهر في الأمر.ولذا فليس من المصادفات في شيء أن تكون الصفات المميزة لجميع الاديان المهمة في العالم هي ذهنيتها وعقليتها العالمية".[٣٠]

كان هذا المنظر يعد من نواح عديدة إبتعادا عن الروح القتالية للاصولية الحرفية، وذلك بجانب ولصالح الاعتدال وسلوك طريق وسط جامعا في ثناياه محاولة الإقناع والمرونة والمسامحة.وهذا يعكس بدايات وعي "ما بعد الحداثة" لأهمية قبول التعددية ورفض روح المنع والحصر والخصام.

في مثل هذا العالم لم يكن بديع الزمان - حسب تعريف هوفر- من "المؤمنين المتزمتين" أي المتعصبين، بل كان شخصا مؤمنا بالإسلام بإعتباره "طريقا وسطا".وكانت نظرة بديع الزمان تقوم على جمع الدين والعلم معا وليس النظر إليهما باعتبارهما ندين متنافسين، وكانت هذه هي الصفة المميزة لنظرته الواسعة لمواضيع الإيمان والحياة العملية في سياقها الحديث. ونجد في كتاباته وارشاداته تكرارا في هذا الصدد من أن الاسلام هو طريق وسط ومسلك معتدل وغير متطرف. وهذا يمثل تعبيرا مهما عن الموضوع الذي طرحه نورثروب وهو الاتجاهات الموجودة في أديان العالم في منتصف القرن العشرين.

كثيرا ما يتناول النورسي وضعين متعاكسين ومتضادين، ثم يشرح بأن الطريق الإسلامي الصحيح هو الطريق الوسط بين هذين الوضعين. وهو يعمل هذا حتى في المواضيع المثيرة للنزاع كموضوع اختلاف السنة والشيعة في تعاليم الاسلام.وهو عند مناقشته في اختلاف السنة والشيعة يصل إلى القرار الآتي:

"انه لاخير في الافراط ولا في التفريط في كل شئ. وان الاستقامة هي الحد الوسط الذي اختاره اهل السنة والجماعة، ...فيا اهل الحق الذين هم اهل السنة والجماعة! ويا ايها الشيعة الذين اتخذتم محبة اهل البيت مسلكاً لكم! ارفعوا فوراً هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لامعنى له ولاحقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه ...فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لانكم اهل التوحيد بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد".[٣١]

وبشكل مماثل فإن بديع الزمان لا ينطبق عليه القالب أو التعريف الذي قدمه "هوفر" أو "لاسويل" للزعيم الثوري- حسب مفهوم "الحداثة" - الذي يقود الجماهير. لقد أكد على معقولية رسالة الاسلام، وتكلم في سياقات عديدة عن الاعتدال كهدف وأمل كبير للاسلام. وفي تقديمه للرسول محمد كقدوة وأسوة حسنة نراه يقول:

"لما كان الرسول"ص" قد خلق في افضل وضع وأعدله وفي اكمل صورة واتمها، فحركاته وسكناته قد سارت وفق الاعتدال والاستقامة، وسيرته الشريفة تبين هذا بياناً قاطعاً وبوضوح تام، بأنه قد مضى وفق الاعتدال والاستقامة في كل حركة من حركاته متجنباً الافراط والتفريط...وهكذا فانه"ص" قد اختار حد الاستقامة في جميع سننه الشريفة الطاهرة وفي جميع احواله الفطرية وفي جميع احكامه الشرعية، وتجنب كليا الظلم والظلمات اي الافراط والتفريط، والاسراف والتبذير، حتى انه قد اتخذ الاقتصاد دليلا له متجنبا الاسراف نهائيا، في كلامه وفي اكله وفي شربه".[٣٢]

إن طريقة بديع الزمان في تناول المواضيع يعكس ظهور وبزوغ الميول العالمية ل"ما بعد الحداثة" ... هذه الميول التي شرحها "نورثروب" وقال إن من مظاهرها الانفتاح للتنوع ولشكل من أشكال التعددية.لم يكن النورسي في وضع يمكنه من القيام بإتصالات عديدة مع غير المسلمين لمناقشة المواضيع الإيمانية معهم، ولم يكن هذا جزء واضحا من مهمته ورسالته، ومع هذا فإنه كان على وعي بأهمية تطوير العلاقات مع العالم المسيحي فزار البطريق اليوناني الارذدوكسي في اسطنبول عام ١٩٥٣. وبتعبير أوسع "مع ان بديع الزمان أيد على الدوام ودعم الصراع من أجل إستقلال العالم الإسلامي ضد الغرب، وأيد سلامة ووحدة ثقافته، فإنه تنبأ وتوقع التعاون بين الاسلام وبين المسيحيين المخلصين في وجه الإلحاد المعتدي والظالم"[٣٣].وفي هذا السياق كتب رسالة تناول فيها مسألة سياسية مهمة أيد فيها بقوة دخول تركيا إلى حلف بغداد، هذا الحلف الذي جعل تركيا وأقطارا إسلامية أخرى حليفة مع دول مسيحية كبرى ضد الكتلة الشيوعية.[٣٤]

إن مفهوم التحالف مع المسيحيين لمحاربة الإلحاد يعد إمتدادا لموقف قديم، ولا يعد إعلانا مهما لقبول التعددية.على أي حال فأن بديع الزمان كان - بشكل نسبي - من أنصار التعددية من ناحية المنهج والطريقة ومن ناحية التفسير.

ومع أن "ما بعد الحداثة" يُتهم على الدوام بأنه يدافع عن النسبية وعن عدم وجود أي حقيقة. ولكن هذا صحيح بالنسبة لبعض مفكري ما بعد الحداثة، لأن قبول الحداثة وصحة التعددية وشرعيتها والتنوع في وجهات النظر والآراء لا يُعد نسبية. إن القناعة الحديثة حول إمكانية إكتشاف والبرهنة على حقيقة علمية مطلقة يناقض تماما النسبية المفرطة لما بعد الحداثة. على أي حال هناك "طرق وسطى" بين هذين القطبين من الإفراط والتفريط. ويقدم بديع الزمان أنموذجا لإحدى هذه الطرق.

وفي مجال تفسير القرآن يصرح سعيد النورسي بأن الايات القرآنية تعكس الرسالة الإلهية الشاملة والواسعة ومعانيها العميقة:

"ان القرآن الكريم مثلما يبين الحقائق بمفاهيمها وبمعانيها الصريحة يفيد كذلك معاني اشارية كثيرة باساليبه وهيئاته. فلكل آية طبقات كثيرة من المعاني؛ ولان القرآن الكريم قد نزل من العلم المحيط، فيمكن ان تكون جميع معانيه مرادة، اذ معاني القرآن لا تنحصر في واحد او اثنين من

المعاني كما ينحصر كلام الانسان الحاصل بإرادته الشخصية وبفكره الجزئي المحدود.

فبناءً على هذا السر فقد بيّن المفسرون ما لا يحد من الحقائق لآيات القرآن.

وهناك حقائق كثيرة جداً لم يبينها المفسرون بعدُ. ولاسيما حروف القرآن واشاراته ففيها علومٌ مهمة سوى معانيها الصريحة..[٣٥]

هذا الإنفتاح على معانٍ ذات مستويات مختلفة يعكس تعددية ولا يعكس وضعا نسبيا، لأنه يؤكد فقط على أهمية دور التفسير الشخصي والفردي. ويقدم النورسي عند حديثه في موضوع "الإخلاص" هذا التوازن الدقيق للتعددية في فهم الحقيقة بكل وضوح فيقول:

"واذا ما كان ثمة غرور وانانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الاخلاص ويحبط عمله ويكون اثراً بعد عين.

والعلاج الوحيد لهذه الحالة والحيلولة دون رؤية نتيجتها الوخيمة هو في تسعة امور آتية:..

٣- واتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً، وهو ان صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "ان مسلكي حق وهو افضل واجمل" من دون ان يتدخل في امر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له ان يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" او "ان الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الاخرى وفسادها".[٣٦]

وهو عندما يشير إلى الطرق المتعددة التي يستطيع بها الناس القيام بتفسير الحقيقة يتخذ طريقا وسطا فلا يقدم وضعا نسبيا ولا وضعا مطلقا. فهو يرى بأن الوحي الالهي يقدم الحقيقة إلى كل الناس. ولكن بما أن الناس يختلفون في قابلياتهم ومداركهم وأزمانهم وأوضاعهم فإنهم يفهمون هذه الحقيقة بطرق مختلفة.و "كما ان للقرآن الكريم متشابهات، يرشد المسائل الدقيقة العميقةللعوام بالتشبيه والتمثيل، كذلك للحديث الشريف متشابهات يعبّر عن الحقائق الواسعة بتشبيهات مأنوسة لدى العوام".[٣٧] ولكن "ان التشبيهات والتمثيلات كلما انتقلت من الخواص إلى العوام، اي كلما سرت من يد العلم إلى يد الجهل عُدّت حقائق ملموسة بمرور الزمن، اي كأنها حقائق واقعة وليست تشبيهات".[٣٨]

وقدم بديع الزمان مثالا حول عقيدة شعبية قديمة بأن الارض موجودة فوق قرني ثور واقف على حوت، بينما يقول علم الفلك الحديث بأن الارض تسبح في فراغ. إن حقيقة الثور والحوت مجاز ورمز ضمن استعارة كبيرة، ويجب ألا يُفهم كوجود حقيقي ولا يبدو وكأنه خطأ في الحديث. ولكنه مجرد تأكيد على أن الحقيقة يمكن التعبير عنها بطرق مختلفة [٣٩]

بمثل هذا التناول للمواضيع يمكن أن يُنظر إلى بديع الزمان كممثل مبكر لاسلوب "ما بعد الحداثة" في الإجابة على معارضي الميتافيزيقية المحدثين في الفكر والثقافة، ولكن بصيغة هي أقرب إلى ما يدعونه باسلوب "ما بعد الحداثة المجازي metaphoric post modern" منها إلى صيغة "ما بعد الحداثة التحليلي analytic post modern".[٤٠]

ومثل معظم المفكرين الدينيين الآخرين للخمسينات الذين كانوا قد بدأوا بتجاوز الفكر الحديث

ذي الطابع القهري والاجباري، لم يكن بديع الزمان من مفكري "مابعد الحداثة" أو من أنصار المدرسة التعددية "plural ist " بشكل كلي، فقد كانت نظرته للعالم من خلال المنظور الإسلامي بشكل واضح. وهو يشبه في هذا طراز النظرة الدينية التعددية لعالم الدين الكاثوليكي "كارل رينر Karl Rahner" من خلال الاطار المفاهيمي الذي وضعه لـ "المسيحية غير المسماة anonymous Christianity".

على أي حال فقد كانت كلتا الحالتين خطوة مهمة لتجاوز مقولات الحصر والمنع الموجودة في نظرة الاصوليين المحدثين وكذلك في النظرة التبشيرية. وقدم هذه الخطوة بشكل صارم بلغة العصر وبلغة الاسلام كطريق وسط.

البيئة التركية في الخمسينات

كانت تركيا - مثل غيرها من العديد من بلدان العالم الاخرى - تجرب تحولات مهمة في الخمسينات. وهذا الأمر ملاحظ في الساحة السياسية بعد النجاح السياسي لتعدد الاحزاب في إنتخابات عام ١٩٥٠ وفي الساحة الاقتصادية، وفي الشؤون الدولية. وقد لاحظ المراقبون أن الساحة الدينية كانت مسرحا لتغيرات وتحولات مهمة. وكان العقد من ١٩٥٠ حتى ١٩٦٠ من الناحية السياسية هو عهد حكم الحزب الديمقراطي. وعند تقييم هذا العهد نرى أن المواضيع الدينية كان لها دور حاسم في تاريخ تلك الفترة. فمثلا تؤكد دراسة جرت في الستينات حول الانقلاب الذي حدث عام ١٩٦٠ وأنهى حكم الحزب الديمقراطي أن:

"ستجري النقاشات في تركيا لسنوات عديدة حول عما اذا كان عهد الحزب الديمقراطي عهد خيانة للعلمانية أم عهد إستغلال للدين أم عهد تأمين لحرية العبادة أم بداية لعهد جديد لعصرنة الاسلام".[٤١]

في نهاية الخمسينات كتب "ولفرد كانتويل سمث Wilfred Cantwell Smith" دراسة مهمة حول التجربة الاسلامية في العهد الجديد فأوضح بأن التجربة التركية كانت أنجح التجارب في العالم الإسلامي من ناحية التكيف مع الحداثة فقال:

"الاتراك هم الشعب المسلم الوحيد الذي عرف ماذا يريد. وهم الامة الوحيدة التي طورت في الاغلب أسسها الثقافية والاجتماعية بشكل ملائم مع جوهر الحداثة" [٤٢]

وقد رأى "سمث" وغيره في هذه التجربة التركية جهودا متباينة ومتناقضة في "النهضة" و "التجديد" ولكن مكملة بعضها للبعض الآخر. ويكمن التناقض بين "إحياء حقيقة قديمة إضمحلت "أي حركة الإحياء "" وبين "إصلاح وتعديل الخاطىء من الموجود فعلا "أي حركة التجديد ".[٤٣]

وكثيرا ما تكلم المراقبون آنذاك حول "التجديد" التركي في الخمسينات المتضمن كلا من التأكيد على العلمانية الليبرالية، ومن إعادة التأكيد على الهوية الاسلامية. وكان السؤال الوارد في أذهان العديدين حول هذا الموضوع هو: هل ستكون هذه التطورات الدينية بإتجاه زيادة الجهود لبعث أرثوديكسية قديمة، أم بإتجاه حركة تجديدية للإسلام تتضمن وجها جديدا لتحديث الاسلام خاصا بالأتراك ؟ [٤٤]. وكان السياق العام الذي لاحظه معظم الناس هو أنه مرحلة في عمليات التحديث وإجابة على التحديث.

كانت هناك على أي حال مؤشرات بأن تحولات أكثر أهمية بدأت تأخذ مكانها،إذ يمكن بكل وضوح مشاهدة التناقضات التي كانت موجودة في الخمسينات بين الحكومة وبين المجددين من جماعات المسلمين في صدد تحديث القديم، وردود الفعل الواردة من الجهات ذات الصبغة القديمة والتقليدية.إذ كان هذا هو الوضع فيما يتعلق بالحوادث التي ارتبطت بالطرق التيجانية[٤٥]. وكان من الممكن على أي حال مشاهدة التطورات التي تجاوزت التوترات بين الحداثة وبين الرجعية. فالشيوخ من الزعماء المسلمين في القرى والارياف كانوا يموتون ويحل محلهم خريجو مدارس الأئمة والخطباء الذين أصبح لهم تأثير قوي في الحياة الدينية المحلية، وهذا أدى إلى ضعف واضح في قوة الرجعية عند المسلمين.

قام " ريتشارد روبنسون" - الذي كان ذا اطلاع جيد آنذاك على أحوال تركيا - بشرح وتعريف الطابع الديني الذي بدأ بالظهور بالمقارنة مع طابع المجددين المسلمين القدماء فقال:

"على الرغم من وجود قوة سياسية يعتد بها للمتدينين المحافظين في عام ١٩٦٠ فانها لم تعد خطرا على الجمهورية العلمانية، بل ان الاسلام نفسه كان قد اجتاز مرحلة دقيقة من التحول حتى في مستوى القرية، فلم تعد الرفاهية المادية او الحوافز الاقتصادية او الابداع أو المكائن والتجارة تحديات للدين. فقد رأيت قرية تفتخر ببناء جامع بكلفة"١٠٠" الف ليرة تركية تفتخر أيضا بمدرستها العلمانية النظيفة والمنظمة. ولم يكن الجامع الجديد - في مجتمع هذه القرية في الاقل - يمثل رجعية دينية، لأن القرويين كانوا يتكلمون على الدوام عن زيادة مستوى رفاهيتهم المادية حاليا وما ينتظرونه في المستقبل. وقد يقوم أي مراقب سطحي برؤية الجامع الجديد فقط لكي يعطي حكما بتجدد الميل إلى الاسلام الشعبي التقليدي. ولكن هذا يكون خطأ منه، لأن التوفيق بين الاسلام التقليدي وبين الحياة العصرية كان قد بدأ فعلا".[٤٦]

كان بديع الزمان بشكل بارز ومتميز جزءاً من مجتمعه، ولم يكن من المقاتلين في الصفوف الخلفية ضد الحداثة والحياة العصرية. كما لم يكن من "الاصلاحيين التجديدين Reformists" ضمن الطبقة المثقفة التي عرّفها ووصفها "و. ك.سمث" بأنهم من "الليبراليين العصريين Liberal modernists"مثل القرويين الذين وصفهم " روبنسون"، ولم يكن من " المناضلين الثوريين الاحيائيين Revivalist renascence" حسب تعبير " سمث".ولا من أنصار " التجديد العصري Modernist reformation". بل كان رائداً لطريق وسط جديد وضعه هو "الطريق الاوسط Middle way" الذي لم يهتم بالنزاع بين مؤيدي ومعارضي التحديث "Modernization" أو بدعاويهم وأدلتهم عند البناء على الاسس الموجودة سابقا. بل تجاوز هؤلاء لتأسيس ما يؤدي في المستقبل إلى ملامح وإلى طريق ما بعد الحداثة "Post - Modern". إن كلا من حركة الإحياء "Renascence" وحركة التجديد "Reformation"تعكسان الحركات التي تأخذ أماكنها ضمن إطار عام من " الحداثة ". بينما شهدت أعوام الخمسينات بداية لحركات تخطت وتجاوزت الحداثة. ونستطيع ملاحظة ومشاهدة في الكثير مما كتبه بديع الزمان حول الاسلام وحول العقيدة الاسلامية طريقا وسطا مما يُعد تعبيرا وبيانا أوليا عن "ما بعد الحداثة".

وعلى مستوى النطاق العالمي يمكن النظر إلى بديع الزمان كحلقة من سلسلة طويلة من التحولات التي ظهرت في منتصف القرن العشرين. وتتضمن هذه التحولات التحرك من "الحداثة"

نحو "ما بعد الحداثة"، هذا على الرغم من كون "ما بعد الحداثة" مرحلة لم تتوضح بعد ملامحها بشكل كاف حتى ونحن نخطو نحو نهاية القرن العشرين. وحول هذا الخصوص قد يكون من المفيد إيراد التمييز الذي وضعه أحد العلماء المسيحيين بين الاصول "Paradigm وبين الدين "Religion" فالاصول هي:" مجموعة متألقة من صيغ السلوك والقيم المعنوية والقناعات الشعورية واللاشعورية ". بينما يقول عن الدين: " ليس الدين مجرد نموذج أساسي شعوري أو لاشعوري حول العالم والمجتمع والعقيدة والكنيسة. بل هو نظرة شعورية للحياة تتضمن جميع أمثال هذه النماذج".[٤٧]

ومن خلال التواريخ الطويلة للتقاليد والاعراف الدينية الرئيسة ولتواريخ المدنيات والحضارات يمكن تعريف النماذج الرئيسة "Major paradigms" للعهود من خلال هذه النظرةفإن منتصف القرن العشرين كان عهدا للتحول من مرحلة النموذج الذي تطور من نموذج "التنوير الحديث Modern Enlightment" إلى بداية ظهور نموذج "ما بعد الحداثة" الذي تميز بتعددية أكثر وبكونه يقترب من المسائل اللاهوتية "Theology" بصيغة تفسيرية وتأويلية. ونحن نرى في "الطريق الوسط" الذي اختطه بديع الزمان طريقا مهما يعكس هذا التحول.

وهذا الطريق الوسط ليس جزء من النقاش الدائر بين نموذج التنوير الحديث " Modrn Enlightment" السابق الجاري بين العلمانيين وبين الرجعيين التقليديين، بل هو بداية لتعريف وتوضيح النموذج الإسلامي لـ"ما بعد الحداثة" الجديد.

---

١ أستاذ التاريخ الإسلامي ومدير مركز التفاهم بين المسلمين والنصارى - جامعة جورج تاون بواشنطن - الولايات المتحدة الأمريكية. حصل على الدكتواره من جامعة هارفارد عام ١٩٦٩ حول "تاريخ الطريقة الختمية في السودان". وهو عضو في: الجمعية الأمريكية للمجتمعات المثقفة. الجمعية الأمريكية لدراسة المجتمعات الإسلامية. الجمعية الأمريكية للتاريخ. هيئة المؤلفين لدائرة معارف العالم الإسلامي المعاصر. هيئة المؤلفين للمجلة العالمية لدراسات الشرق الاوسط. رئيس هيئة المؤلفين لجمعية دراسات الشرق الاوسط. مجموعة المستشارين لبرنامج ثقافة الأمن القومي. ورئيس: جمعية نيو انكلاند للتاريخ و هئية المديرين لمجلس نيوهامشاير للشؤون العالمية ١٩٧٨ - حتى الآن. وهيئة المديرين لمجلس نيوهامشاير للشؤون الإنسانية ١٩٩١ - ٩٥. وهيئة المديرين لجمعية دراسات السودان. وله ابحاث ودراسات كثيرة نذكر من مؤلفاته المنشورة:

- Islam: Continuity and Change in the Modern World
- Historical Dictionary of the Sudan
- Sudan: State and Society in Crisis،
- Islam and Democracy, with John L. Esposito
- The Contemporary Islamic Revival, with Yvonne Haddad and John L. Esposito
- The Sudan: Unity and Diversity in a Multicultural State, with Sarah P. Voll".

Eighteenth Century Renewal and Reform in Islam, with Nehemia - Levtzion, editors

٢ من أكثر المقالات فائدة والمكتوبة آنذاك في هذا الخصوص انظر إلى: " Islamic Revival" لبنارد لويس. "" International Affairs 28 /1952 صفحة ٣٨-٤٨.

والى: "Recent Development in Turkish Islam" لـ"لويس ف. توماس "Lewiis V.Thomas" المنشور في "Middle East Journal" بتاريخ ١٩٥٢/٦ صفحة ٢٢- ٤٠.

والى مقالة "Howard A.Reed" بعنوان: " Revival of Islam in Secular Turkey" المنشورة في "East J ournal Middle" بتاريخ ٨/ ١٩٥٤ صفحة ٢٢٧ - ٢٨٢

٣ هناك كتاب تحليل مفيد للاشخاص خارج تركيا كتبه "شريف ماردين" حول حياة وأهمية النورسي تحت عنوان " Religion and social change in modern Turkey" من منشورات " Albany: State University Press of New York, 1989"

٤ انظر الى: "شريف ماردين" "The Nakshibendi Order of Turky" وإلى "Fundamentalism and the State" من منشورات " Martin E.Marty and R.Scott Appleby" "Chicago: University of Chicago Press, 1993" صفحة ٢١٨.

٥ لمعرفة تفاصيل حياة النورسي انظر إلى: Bediuzzaman Said Nursi بقلم "شكران واحدة" اسطنبول: سوزلر ١٩٩٢

٦ المصدر السابق صفحة ١٦٤-١٦٥ والمكتوبات/ ٥٦٩

٧ المصدر السابق صفحة ١٦٧

٨ المصدر السابق صفحة ٣٣٠

٩ انظر إلى: شريف ماردين: " Nurculuk" The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World

الناشر: " John L.Esposito "New York: Oxford University Press, 1995" 3:256

١٠ استفدت في كتابة هذه المحاضرة من ترجمة شكران واحدة التالية لـ "اللمعات" اسطنبول: سوزلر ١٩٩٥ وسأشير فيما بعد إلى هذا المصدر بكلمة "اللمعات"

١١ Crane Brinton، *"The Shaping of the Modern Mind"* New York: Mentor Books, 1950

١٢ المصدر السابق صفحة ١٠٧و ١١٣

١٣ المصدر السابق صفحة ١١٠-١١١

١٤ Werner Heisenberg، *Physics and Philosophy: The Revolution in Modern Science"* "New York: Harper and Row,1958"صفحة ١٩٧- ١٩٨

١٥ المصدر السابق صفحة ١٩٨- ١٩٩

١٦ المصدر السابق صفحة ٢٠٢
١٧ المصدر السابق صفحة ٢٠٢- ٢٠٣ "أضيفت الإقتباسات"
١٨ شكران واحدة صفحة ٣٤٦
١٩ Flashes صفحة ٩٧ واللمعات /١٠٠
٢٠ نفسه ٩٧ واللمعات/١٠١
٢١ نفسه صفحة ٩٩ "أضيفت الاقتباسات" واللمعات/١٠٤
٢٢ نفسه صفحة١٠١ "أضيفت الاقتباسات" واللمعات/١٠٦
٢٣ نفسه صفحة ١٠٢ واللمعات/١٠٧
٢٤ شكران واحدة صفحة ٣٣٦
٢٥ Harold D.Lasswell، " *The World Revolution of Our Time* نشر لأول مرة عام ١٩٥١ ضمن
World Revolutionary Elits: Studies in Coercive Ideological Movments
من قبل
Stanford University Press
الناشر
Harold D.Lasswell and Daniel Lerner"Cambridge: The M.I.T. Press"
صفحة ٢٩
٢٦ انظر إلى: Eric Hoffer *The True Believer: Thoughts on the Mass Movments"* Perennial Library Edition, 1966, New York: Harper and Brothers, 1951" صفحة ١٠
٢٧ المصدر السابق صفحة ١٨
٢٨ انظر إلى: John Dunn *Modern Revolutions* الطبعة الثانية "Cambridge: Cambridge University Press,1989" صفحة xii
٢٩ انظر الى: F.S.C.Northrop, " The World's Religions at Mid - century: An Introductory Essay، ضمن " *Religions and the Promise of the Twentieth Century* الناشر: Guy S.Metraux and Francois Crouzet" "New York: New American Library , 1965 سفحة xiv
٣٠ المصدر السابق صفحة xv
٣١ Flashesصفحة ٤٣ واللمعات/٣٧
٣٢ نفسه ٩٢-٩٣ واللمعات/٩٥
٣٣ شكران واحدة صفحة ٣٤٤
٣٤ المصدر السابق صفحة ٣٥٣-٣٥٤
٣٥ نفسه صفحة ٥١ واللمعات/٤٧
٣٦ نفسه صفحة ٢٠٣ واللمعات/٢٢٨

٣٧ نفسه صفحة ١٢٩ واللمعات/١٣٩
٣٨ نفسه صفحة ١٢٨واللمعات/١٣٨
٣٩ تم تناول نقاش هذا الموضوع بالتفصيل في "Flashes" صفحة ١٢٧-١٣٢
٤٠ انظر إلى:
Carl Raschke " Fire and roses, or the problem of postmodrn religious thinking "
الذي نشر ضمن: Shadow of Spirit: Postmodernism and Religion الناشر: "Philippa Berry and Andrew Wernick" London: Routledge, 1992 صفحة ١٠١-١٠٢
٤١ انظر الى: Walter F.Weiker "*The Turkish Revolution, 1960-1961*" Washington: The Brookings Institution,1963" صفحة ٩
٤٢ انظر الى:
Princton: *"Islam in Modern History*" Wilfred Cantwell Smith Princton University Press,1957صفحة ١٧٠
٤٣ المصدر السابق صفحة ١٧٠
٤٤ المصدر السابق صفحة ١٨٩- ١٩٠
٤٥ انظر مثلا إلى النقاش في مقالة : "Lewis Thomas" " Recent Developments "صفحة ٢٢-٢٣
٤٦ انظر إلى:
Richard D.Robinson "*The First Turkish Republic: A case Study in National Development*" Cambridge Harvard University Press,1963" صفحة ٢٠٥
٤٧ انظر إلى:
Hans Kung، *Theology for the Third Millennium*
ترجمة:
Peter Heinegg "New York: Doubleday,1988" صفحة ٢١١- ٢١٢

آثارالمترجم (تأليفا وترجمة)

أ-الكتب العلمية

١-(دارون ونظرية التطور)	مترجم عن التركية	مطبوع
٢-(الإنسان ومعجزة الحياة)	مترجم عن التركية	مطبوع
٣-(في نظرية التطور: هل تعرضتَ لغسيل الدماغ؟)	مترجم عن الإنجليزية	مطبوع
٤-(الانفجار الكبير أو مولد الكون)	مترجم عن التركية	مطبوع
٥-(الذرة تسبح الله)	مترجم عن التركية	مطبوع
٦-(النظريات العلمية ونظرية التطور)	مترجم عن الإنجليزية	مطبوع
٧-(نظرية التطور ليست ثابتة)	تأليف	مطبوع
٨-(تهافت نظرية التطور أمام العلم الحديث)	تأليف	مطبوع
٩-(مناقضة علم الفيزياء لنظرية التطور)	تأليف	غير مطبوع
١٠-(سجل المتحجرات يتحدى نظرية التطور)	مترجم عن الإنجليزية	غير مطبوع
١١-(الأيدز: مأساة المستقبل)	مترجم عن التركية	غير مطبوع
١٢-(الدماغ والنظام العصبي في الإنسان)	مترجم عن التركية	غير مطبوع
١٣-(الإيمان من نافذة العلم)	مترجم عن التركية	غير مطبوع
١٤-مذكرات نحلة	مترجم عن التركية	غير مطبوع
١٥- حقيقة الخلق ونظرية التطور	عن التركية	مطبوع

ب_ الكتب التاريخية :

١- السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده)	تأليف	مطبوع
٢-(سعيد النورسي: رجل القدر في حياة أمة)	تأليف	مطبوع
٣-(روائع من التاريخ العثماني)	تأليف	مطبوع
٤- قصة حزب الرفاه	تأليف	مطبوع
٥- (لنور الخالد: محمد "ص")	مترجم عن التركية	مطبوع
٦-(سعيد النورسي:نظرة عامة على حياته وآثاره): بالاشتراك مع الأستاذ إحسان قاسم	تأليف	مطبوع

ج - الكتب الفكرية

١- (موقف الدين من العلم)	عن التركية	مطبوع
٢-(حوار حول القضاء والقدر)	عن التركية	مطبوع
٣-(حوار حول الحقيقة)	عن التركية	غير مطبوع
٤-(حوار بين مؤمن وكافر)	عن التركية	مطبوع
٥-(أسئلة العصر المحيرة)	عن التركية	غير مطبوع
٦- الموازين :أضواء على الطريق	عن التركية	غير مطبوع
٧-تحليل جديد لأفكار فرويد	عن التركية	غير مطبوع
٨- رسائل إلى مبشر	تأليف	غير مطبوع
٩- ما وراء الأستار	تأليف	غير مطبوع
١٠- ترانيم روح وأشجان قلب	عن التركية	مطبوع

د _ الكتب الأدبية

١-مسرحية :(السلطان عبد الحميد)	عن التركية	غير مطبوع
٢-(الفرصة الأخيرة): قصص قصيرة	عن التركية	غير مطبوع
٣- (كيسان من الذهب) قصة للأطفال	عن التركية	غير مطبوع

... بينما تشير رسائل النور - التي أخذت الهامها من الايات الكريمة- ان الكائنات (التي هي مرايا لأسماء ولصفات الله تعالى) ترينا على الدوام وباشكال وصور وهيئات مختلفة ومتغيرة أدلة تقودنا إلى المعرفة وإلى التصديق وإلى التسليم، ثم إلى المحبة وإلى العبودية .وهكذا ترينا رسائل النور ان هناك خطوات وعمليات محددة يجب انجازها لكي يكون الإنسان مسلما بكل ما في هذه الكلمة من معنى... فمن التأمل إلى المعرفة، ومن المعرفة إلى التصديق،ومن التصديق إلى الإيمان أو إلى الاعتقاد، ومن الاعتقاد إلى التسليم. وما دامت كل دقيقة جديدة، وكل يوم جديد يرينا جوانب جديدة وملامح جديدة من الحقيقة الالهية فإن هذه العمليات تكون عمليات مستمرة ومتجددة، أي نستطيع القول بان المظاهر الإسلامية الخارجية (اي اشكال العبادات) ثابتة بينما الإيمان في حركة ... أي يزداد أو ينقص، وذلك حسب العمليات التي سبق وان ذكرتها، لذا فإن علينا ان نركز اهتمامنا على حقيقة الإيمان ... هذه الحقيقة التي ستتبعها حقيقة الاسلام.

لذا فانني استطيع ان اقول بانني كنت مسلما ولكني لم اكن مؤمنا، وان ما كنت احسبه ايمانا لم يكن في الحقيقة إلا عدم القابلية على الانكار، أي استحالة الانكار عندي. ومع ان بديع الزمان لم يقدم لي الإسلام - وهذا عمل يستطيع أي شخص القيام به - إلا انه قدم لي الإيمان ايمان من خلال البحث والتمحيص وليس من خلال التقليد.

الدكتور " كولن تورنر